

میرزا طغی . سرتاج جنگ
پری مشرب " اشوال " اسماء بحری
۱۲ اُمرو ری ۱۹۳۵ ع روز دوشنبہ

مَخْرَجُ الْمَلِكِ

تَرْجُومَةُ

الْمَلِكِ

رَوحَانُ الْمَلِكِ
مَمَّا الْاَبِ يَوْحَنَّا لَوِ الْاَبِ اَفُوسْتِينُوسِ رُودِه
مِنَ الرَّاهِبَةِ السَّوْعِيَّةِ

الجزء الأول

القسم الاول

وَهُوَ يَشْتَمِلُ عَلَى حِكَايَاتِ اَلْقِيَّةِ .



المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين

في بيروت سنة ١٨٩٦

برخصة مجلس معارف ولاية بيروت الحليفة ٣٩

مِنْ أَمْثَالِ لُقْمَانَ الْحَكِيمِ
أَسَدٌ وَتَوْرَانٌ

أَسَدٌ مَرَّةً خَرَجَ عَلَى تَوْرَانٍ . فَأَجْتَمَعَا جَمِيعًا وَكَانَا يَنْطَحَانِيهِ
يَقْرُونِهِمَا . وَلَا يُمَكِّنَانِيهِ مِنَ الدُّخُولِ بَيْنَهُمَا . فَأَنْفَرَدَ بِأَحَدِهِمَا
وَوَعَدَهُ وَوَعَدَهُ أَلَّا يُعَارِضَهُ إِنْ تَخَلَّى عَنْ صَاحِبِهِ . فَلَمَّا افْتَرَقَا
افْتَرَسَهُمَا جَمِيعًا

مَنْزَاهُ

أَنَّ مَدِينَتَيْنِ . إِذَا اتَّفَقَ عَلَى رَأْيٍ وَاحِدٍ أَهْلُهُمَا . فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ
مِنْهُمَا عَدُوٌّ . فَإِذَا افْتَرَقَا هَلَكَ جَمِيعًا
غَزَالٌ

غَزَالٌ مَرَّةً عَطَشَ فَأَتَى إِلَى عَيْنِ مَاءٍ يَشْرَبُ . فَنَظَرَ خِيَالَهُ فِي
الْمَاءِ فَحَزِنَ لِذِقَّةِ قَوَائِمِهِ وَسُرِّ وَأَبْتَهَجَ لِعَظَمِ قُرُونِهِ وَكِبَرِهَا . وَفِي
الْجَلَالِ خَرَجَ عَلَيْهِ الصَّيَّادُونَ فَأَنْهَزَمَ مِنْهُمْ . فَأَمَّا وَهُوَ فِي السَّهْلِ
فَلَمْ يُدْرِكُوهُ فَلَمَّا دَخَلَ فِي الْجَبَلِ وَعَبَّرَ بَيْنَ الشَّجَرِ لِحَقِّهِ الصَّيَّادُونَ
وَقَتَلُوهُ . فَقَالَ عِنْدَ مَوْتِهِ : أَلُوَيْلُ لِي أَنَا الْمُسْكِينُ . الَّذِي أَزْدَرَيْتُهُ
هُوَ حَلَّصَنِي . وَالَّذِي رَجَوْتُهُ أَهْلَكَنِي
أَسَدٌ وَتَعَلَبٌ

أَسَدٌ شَاخٌ وَضَعْفٌ . فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْوُحُوشِ
فَارَادَ أَنْ يَخْتَالَ لِنَفْسِهِ فِي الْمَعِيشَةِ . فَتَمَارَضَ وَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي

(١) ^{بعض المغاير} وَكَانَ كُلَّمَا أَتَاهُ زَائِرٌ مِنْ الْوُحُوشِ يَعُودُهُ أَقْتَرَسَهُ
 دَاخِلَ الْمَغَارَةِ وَأَكَلَهُ. وَأَتَى الثَّعْلَبُ. وَوَقَفَ عَلَى بَابِ الْمَغَارَةِ مُسَلِّمًا
 عَلَيْهِ قَائِلًا لَهُ: كَيْفَ حَالُكَ يَا سَيِّدَ الْوُحُوشِ. فَقَالَ لَهُ الْأَسَدُ:
 لِمَا لَكَ لَا تَدْخُلُ يَا أَبَا الْخَصَنِينِ. فَقَالَ لَهُ الثَّعْلَبُ: يَا سَيِّدُ. قَدْ
 كُنْتُ عَوَلْتُ عَلَى هَذَا غَيْرَ أَنِّي أَرَى عِنْدَكَ آثَارَ أَقْدَامِ كَثِيرٍ (١)
 قَدْ دَخَلُوا. وَلَا أَرَى أَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ أَحَدٌ
 مَغْرَاهُ

أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ لَا يَأْتِيَ أَمْرًا. إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُفَكِّرَ
 فِيهِ وَيَمِيزَهُ

أَسَدٌ وَإِنْسَانٌ

أَسَدٌ وَإِنْسَانٌ أَصْلَحَا مَرَّةً عَلَى الطَّرِيقِ. فَجَعَلَا يَتَسَاجَرَانِ
 بِالْكَلَامِ عَلَى الْقُوَّةِ وَشِدَّةِ النَّاسِ. فَجَعَلَ الْأَسَدُ يُطَنِّبُ فِي شِدَّتِهِ
 وَبَأْسِهِ. فَنَظَرَ الْإِنْسَانُ عَلَى حَاظِ صُورَةِ رَجُلٍ وَهُوَ يَخْنُقُ أَسَدًا.
 فَضَحِكَ الْإِنْسَانُ. فَقَالَ لَهُ الْأَسَدُ: لَوْ أَنَّ السِّبَاعَ مُصَوِّرُونَ
 مِثْلَ بَنِي آدَمَ. لَمَا قَدَّرَ الْإِنْسَانُ يَخْنُقُ سَبْعًا بَلْ كَانَ السَّبْعُ يَخْنُقُ
 الْإِنْسَانَ

مَغْرَاهُ

أَنَّهُ مَا يُزَكِّي الْإِنْسَانَ إِشْهَادَةُ أَهْلِ بَيْتِهِ

(•)

غَزَالٌ وَأَسَدٌ

غَزَالٌ مِنْ خَوْفِهِ مِنَ الصَّيَّادِينَ انْهَزَمَ إِلَى مَغَارَةٍ . فَدَخَلَ
إِلَيْهِ الْأَسَدُ فَأَقْتَرَسَهُ فِيهَا . فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : أَلَوَيْلُ لِي أَنَا الشَّقِيُّ
لَأَتِي هَرَبْتُ مِنَ النَّاسِ . فَوَقَعْتُ فِي يَدِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَأْسًا
مَغْرَاهُ

أَنْ كَثِيرًا يَفِرُّونَ مِنْ بَلَاءٍ فَيَقْعُونَ فِي بَلَاءٍ أَعْظَمَ .

غَزَالٌ وَثَلَبٌ

غَزَالٌ مَرَّةً عَطَشَ فَوَرَدَ عَيْنَ مَاءٍ لِيَشْرَبَ . وَكَانَ الْمَاءُ فِي
جُبٍّ عَمِيقٍ . ثُمَّ إِنَّهُ حَاوَلَ الطَّلُوعَ فَلَمْ يَقْدِرْ . فَنَظَرَهُ الثَّلَبُ فَقَالَ
لَهُ أَسَأْتُ يَا أَخِي . إِذْ لَمْ تُمَيِّزْ صُدُورَكَ قَبْلَ وُرُودِكَ
مَغْرَاهُ

مَنْ جَدَّ بِهِ الطَّمَعُ عَلَى أَنْ يَأْتِيَ أَمْرًا دُونَ تَرَوِّهِ فِيهِ . لَمْ يَأْمَنْ
عَائِلَتَهُ

أَرْبٌ وَلَبُوءٌ

أَرْبٌ مَرَّةً أَجْتَازَتْ بِلَبُوءٍ وَقَالَتْ لَهَا : أَنَا أَنْتَجِ فِي كُلِّ سَنَةٍ
أَوْلَادًا كَثِيرَةً وَأَنْتِ إِذَا تَلَدَيْتِ فِي عُمْرِكَ كُلِّهِ قَدْأَوْ زَوْأًا : فَهَلَّتْ
لَهَا اللَّبُوءَةُ : صَدَقْتَ غَيْرَ أَنَّهُ وَإِنْ يَكُنْ وَاحِدًا فَهُوَ سَبْعٌ
مَغْرَاهُ

لَيْسَ الْإِعْتِمَادُ عَلَى الْكَثْرَةِ وَإِنَّا هُوَ عَلَى الْمَفِيدِ

إِمْرَأَةٌ دَجَاجَةٌ

إِمْرَأَةٌ كَانَتْ لَهَا دَجَاجَةٌ تَبْيِضُ فِي كُلِّ يَوْمٍ بَيْضَةً فِضَّةً .
فَقَالَتْ فِي نَفْسِهَا : إِنَّا كَثُرْتُ عَلَيْهَا بَاضَاتُ بَيْضَتَيْنِ . فَلَمَّا
فَعَلَتْ ذَلِكَ انْشَقَّتْ حَوَاصِلُ الدَّجَاجَةِ فَمَاتَتْ

مَغْزَاهُ

أَنَّ كَثِيرًا بِسَبَبِ طَمَعِهِمْ يَخْسِرُونَ رَأْسَ مَا لَهُمْ
بِعَوَضَةٍ وَتَوَرُّ

بِعَوَضَةٍ يَعْنِي نَامُوسَةً وَقَفَّتْ عَلَى قَرْنِ تَوْرٍ وَظَنَّتْ أَنَّهَا ثَقَلَتْ
عَلَيْهِ . فَقَالَتْ لَهُ : إِن كُنْتُ قَدْ بَهْطْتُكَ فَأَعْلِمْنِي حَتَّى أَطِيرَ عَنْكَ :
فَقَالَ لَهَا التَّوْرُ : يَا هَذِهِ . مَا شَعَرْتُ بِزُرُوكِ حَتَّى يُرِيحَنِي فِرَاقُكَ
مَغْزَاهُ

مَنْ يَطْلُبُ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ ذِكْرًا وَمَجْدًا وَهُوَ حَقِيرٌ يَلْقَى الْهَوَانَ
بُسْتَانِي

بُسْتَانِي كَانَ يَوْمًا يُعَيُّ الْبَهْلُ . فَقِيلَ لَهُ : لِمَاذَا الْبَهْلُ الْبَرِّيُّ
بِهِي الْمُنْظَرُ وَهُوَ غَيْرُ مُخْدُومٍ وَمُنْبَتٍ : فَقَالَ : لِأَنَّهُ تُرْبِيهِ أُمُّهُ . وَغَيْرُهُ
تُرْبِيهِ رَبُّهُ ~~سَمِطُهُ~~ ~~طَرُّهُ~~

مَغْزَاهُ

أَنَّ تَرْبِيَةَ الْأُمِّ أَكْثَرُ تَأْثِيرًا فِي وَلَدِهَا مِنْ غَيْرِهَا

إِنْسَانٌ وَفَرَسٌ

إِنْسَانٌ كَانَ لَهُ فَرَسٌ يَرْكَبُهَا وَهِيَ حَامِلٌ. وَفِيهَا هُوَ فِي بَعْضِ
الطَّرِيقِ إِذْ أُتِجَتْ لَهُ مَهْرًا. فَتَبِعَ أُمَّهُ غَيْرَ بَعِيدٍ. ثُمَّ وَقَفَ وَقَالَ
لِصَاحِبِهِ: تَرَانِي صَغِيرًا لَا أَسْتَطِيعُ الْمَشْيَ. وَقَدْ مَضَيْتَ وَزَكَّيْتَنِي
هَهُنَا. فَإِنْ أَنْتَ أَخَذْتَنِي مَعَكَ وَرَبَّيْتَنِي إِلَى أَنْ أَقْوَى حَمَلْتُكَ عَلَى
ظَهْرِي وَأَوْصَلْتُكَ إِلَى حَيْثُ نَشَاءُ

مَنْزَاهُ

أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ زُرْتَنِي بَيْنَ يَسْتَفِيشُونَا وَهُمْ غَيْرُ فَادِرِينَ
إِنْسَانٌ وَخَنَزِيرٌ

إِنْسَانٌ مَرَّةً حَمَلَ عَلَى بَهِيمَةٍ لَهُ كَبْشًا وَعَنْزًا وَخَنَزِيرًا. وَقَصَدَ بِهَا
الْمَدِينَةَ لِيَبِيعَ الْجَمِيعَ. أَمَّا الْكَبْشُ وَالْعَنْزُ فَلَمْ يَكُونَا يُؤْذِيَانِ الْبَهِيمَةَ.
وَأَمَّا الْخَنَزِيرُ فَإِنَّهُ كَانَ يَفْرُضُ دَائِمًا وَلَا يَهْدَأُ. فَقَالَ لَهُ الْإِنْسَانُ:
يَا شَرَّ الْوُحُوشِ. مَا لِي أَرَى الْكَبْشَ وَالْعَنْزَ سَاكِتَيْنِ لَا يَضْطَرِبَانِ.
وَأَنْتَ لَا تَهْدَأُ وَلَا تَسْتَقِرُّ: فَقَالَ لَهُ الْخَنَزِيرُ: كُلُّ يَغْرِفُ شَأْنَهُ. أَنَا
أَعْلَمُ أَنَّ الْكَبْشَ لَصُوفِهِ. وَالْعَنْزَ لِلنَّبْهَاءِ. وَأَنَا الشَّقِيُّ فَلَا صُوفَ لِي
وَلَا لَبَنَ قَمَا يَكُونُ بَعْدَ وَصُولِي إِلَى الْمَدِينَةِ إِلَّا إِرْسَالِي إِلَى الْمُسْلَخِ

مَنْزَاهُ

أَنَّ الَّذِينَ يَفْرُقُونَ فِي الْخَطَايَا الَّتِي قَدِمَتْ أَيْدِيهِمْ يَعْلَمُونَ
سَوْءَ مُنْقَلَبِهِمْ

سُخْفَاةٌ وَأَرْزَبُ

سُخْفَاةٌ وَأَرْزَبُ تَسَابَقَا مَرَّةً . وَجَمَلًا أَحَدٌ بَيْنَهُمَا الْجَبَلَ يَسْتَبِقَانِ
إِلَيْهِ . أَمَّا الْأَرْزَبُ فَلَمَّا يَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ مِنَ الْحِمَّةِ فِي الْجُرْيِ تَوَانِي
فِي الطَّرِيقِ وَنَامَ . وَأَمَّا السُّخْفَاةُ فَلَمَّا يَثْقُلُ حَرَكَتُهَا لَمْ تَكُنْ لِتَسْتَقِرَّ
وَلَا تَتَوَانِي فِي الْمَسِيرِ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى الْجَبَلِ قَبْلَهُ . وَعِنْدَمَا
أَسْتَقِطُ مِنْ نَوْمِهِ . وَجَدَهَا قَدْ سَبَتْ قَدِيمَ حَيْثُ لَا تَنْفَعُ النَّدَامَةُ
مَغْرَاهُ

لَا يَلْبَنِي لِلْقَوِيِّ أَنْ يَتَكَلَّ عَلَى مَا عِنْدَهُ مِنَ الْقُوَّةِ وَيُغْلِبَ أَمْرَهُ .
فَيَفْشَلُ وَيَكُونُ مِنَ الْخَاسِرِينَ

ذُبُّ

ذُبُّ مَرَّةً اخْتَطَفَ خِتَوْصًا . وَفِيهَا هُوَ ذَاهِبٌ بِهِ لَقِيَهُ الْأَسَدُ
فَآخَذَهُ مِنْهُ . فَقَالَ الذَّبُّ فِي نَفْسِهِ : لَا غُرُو أَنْ يَكُونَ الْغَاصِبُ
مَنْصُوبًا . فَإِنَّ الْبَنِي مَضْرَعُهُ وَخِيمُهُ
مَغْرَاهُ

أَنَّ مَا يَكْتَسِبُ مِنَ الظُّلْمِ لَا يَدُومُ لِصَاحِبِهِ . وَإِنْ دَامَ فَلَا
يَتَنَاهَاهُ . كَمَا وَرَدَ : مَنْ أَصَابَ مَا لَا مِنْ مَهَاشٍ . أَذْهَبَهُ اللَّهُ فِي نَهَابٍ
الْعَوَسَجُ

الْعَوَسَجُ قَالَ مَرَّةً لِلْبُسْتَانِيِّ : لَوْ أَنَّ لِي مِنْ يَهْتَمُّ بِي وَيَنْصِبُنِي
وَيَسْقِينِي وَيُخْدُمُنِي . لَأَشْتَهَيْتُنِي الْمُلُوكُ وَنَظَرُوا مِنْ زَهْرِي وَثَمَرِي

فَأَخَذَهُ وَغَرَسَهُ فِي أَجُودِ مَحَلٍّ فِي الْبُسْتَانِ . وَصَارَ يَسْقِيهِ كُلَّ يَوْمٍ .
دُفَعَتَيْنِ . فَلَمَّا وَقَوِيَ . وَتَفَرَّغَتْ أَغْصَانُهُ عَلَى جَمِيعِ الشَّجَرِ . أَلَّتِي
حَوْلَهُ وَأَصْلَتْ عُرُوقُهُ فِي الْأَرْضِ . حَتَّى أَمْتَلَأَ الْبُسْتَانُ مِنْهُ وَمِنْ
كَثْرَةِ شَوْكِهِ ، فَلَمْ يَعُدْ أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَفَرَّجَ فِيهِ

مَنْزَاهُ

مَنْ يُجَاوِرُ إِنْسَانَ سُوءَ فَإِنَّهُ كَلَّمَا أَكْرَمْتَهُ كَثُرَتْ شُرُورُهُ
وَتَمَرَّدَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ : وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْأَنْيَمَ تَمَرَّدَا

صَبِي

صَبِيٌّ رَمَى بِنَفْسِهِ مَرَّةً فِي نَهْرٍ . وَلَمْ يَكُنْ يُحْسِنُ السَّبَاحَةَ .
فَأَشْرَفَ عَلَى الْفَرَقِ . فَاسْتَعَانَ بِرَجُلٍ غَابِرٍ فِي الطَّرِيقِ . فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ
وَجَمَلَ يُلُومُهُ عَلَى زَوَلِهِ إِلَى النَّهْرِ . فَقَالَ الصَّبِيُّ : يَا هَذَا . خَلَصَنِي
أَوَّلًا مِنَ الْمَوْتِ ثُمَّ لَمَنِي

مَنْزَاهُ

إِذَا وَقَعَ صَدِيقُكَ فِي شِدَّةٍ نَجِّهِ وَخَلِّصْهُ أَوَّلًا ثُمَّ لَهُ

صَبِيٌّ وَعَقْرُبٌ

صَبِيٌّ مَرَّةً كَانَ يَصِيدُ الْجَرَادَ . فَظَنَرَ عَقْرَبًا فَظَنَهَا جَرَادَةً .
فَقَدْ يَدُهُ لِيَأْخُذَهَا ثُمَّ تَبَاعَدَ عَنْهَا . فَقَالَتْ لَهُ : لَوْ أَنَّكَ قَبَضْتَنِي بِيَدِكَ
لَتَخَلَّيْتَ عَنْ صَيْدِ الْجَرَادِ

مَنْزَاهُ

أَنَّ سَبِيلَ الْإِنْسَانِ أَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ . وَيُدِيرَ
لِكُلِّ شَيْءٍ تَذِيرًا عَلَى حَدِّهِ
حَمَامَةُ

حَمَامَةٌ مَرَّةً عَطَشَتْ . فَأَقْبَلَتْ تَحْمُومٌ حَوْلَ حَائِطٍ فِي طَلَبِ الْمَاءِ .
فَنَظَرَتْ عَلَيْهِ صُورَةَ صُحَيْفَةٍ مَمْلُوءَةٍ مَاءً . فَطَارَتْ بِسُرْعَةٍ وَضَرَبَتْ
نَفْسَهَا عَلَى تِلْكَ الصُّورَةِ فَأَنْشَتَتْ حَوْصَلَتَهَا . فَقَالَتْ : الْوَيْلُ لِي .
فَإِنِّي لَمْ أَتَرَوْ فِي الصَّحِيحِ وَالْمُفْتَعِلِ . وَأَفْرُقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ .
حَتَّى جَلَبْتُ الْمُنِيَّةَ لِرُوحِي بِيَدِي

مَنْزَاهُ

أَنَّ الْمُسْتَحِيلَ لَا يَسْلَمُ مِنْ تَبِعَةِ عَجَلَتِهِ وَأَنَّ الْحَزَمَ فِي الثَّانِي
حَدَّادٌ وَكَأَبٌ

حَدَّادٌ كَانَ لَهُ كَأَبٌ دَابُّهُ التَّوَانِي وَالرُّقَادُ مَا دَامَ الْحَدَّادُ
عَامِلًا . فَإِذَا رَفَعَ الْعَمَلَ وَجَلَسَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ لِيَأْكُلُوا أَسْتَقِظَ
الْكَأَبُ . فَيَقَالَ لَهُ الْحَدَّادُ : يَا كَأَبُ السُّوءِ . مَا لِي أَرَى صَوْتَ
الْمُطَارِقِ الَّتِي تُزْعِرُ الْأَرْضَ لَا يُنْبِئُكَ . وَحَسَّ الْمَضْغَ الْحَفِيَّ
تَسْمَعُهُ فَيُوقِظُكَ

مَنْزَاهُ

أَنَّ الْغَبِيَّ يَتَّقَا عَسْ عَنْ الْوَعْظِ . وَإِذَا سَمِعَ اللَّهُوْ أَنْصَبَ إِلَيْهِ

الْبَطْنُ وَالرِّجْلَانِ

الْبَطْنُ وَالرِّجْلَانِ تَخَاصَّمَا عَلَى أَيِّهِمْ يَحْمِلُ الْجِسْمَ . فَقَالَتْ
الرِّجْلَانِ : نَحْنُ بَهْوَتَا نَحْمِلُهُ : فَقَالَ الْجَوْفُ : إِذَا أَنَا لَمْ أَغْذِ مِنَ
الطَّعَامِ . فَلَا تَسْتَطِيعَانِ الْمَشْيَ . فَضَلَا عَنْ أَنْ تُقَالَا شَيْئًا

مَغْزَاهُ

مَنْ يَتَوَلَّى أَمْرًا فَإِنْ لَمْ يَفْضُذْهُ مَنْ هُوَ أَرْفَعُ مِنْهُ يَفْشَلُ

الْشَّمْسُ وَالرِّيحُ

الْشَّمْسُ وَالرِّيحُ تَخَاصَّمَا عَلَى أَيِّهِمَا يَقْدِرُ أَنْ يُجَرِّدَ الْإِنْسَانَ
ثِيَابَهُ . فَاشْتَدَّتِ الرِّيحُ فِي هُبُوبِهَا وَعَصَفَتْ جِدًّا . فَكَانَ الْإِنْسَانُ
كُلَّمَا تَرَايَدَ هُبُوبُهَا ضَمَّ إِلَيْهِ ثِيَابَهُ وَالتَفَّ بِهَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ .
فَلَمَّا ارْتَفَعَ النَّهَارُ وَاشْتَدَّ الْحَرُّ . خَافَ ثِيَابَهُ وَحَمَلَهَا عَلَى كَتِفِهِ

مَغْزَاهُ

مَنْ كَانَ عِنْدَهُ الْإِتِّصَاعُ وَدِمَائَةُ الْأَخْلَاقِ . نَالَ مِنْ
صَاحِبِهِ مَا يُرِيدُ

دِيكَانٍ

دِيكَانٍ كَانَا يَتَقَاتِلَانِ عَلَى قَهْقُورٍ . فَغَلَبَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ .
أَمَّا الْمَغْلُوبُ فَمَضَى مِنْ وَقْتِهِ إِلَى مَأْوَاهُ . وَأَمَّا الْغَالِبُ فَصَعِدَ
فَوْقَ السَّطْحِ . وَجَمَلَ يُصَفِّقُ بِجَاحِيهِ وَيَصْبِيحُ وَيَهْتَخِرُ . فَبَصُرَ بِهِ
بَعْضُ الْجَوَارِحِ فَأَنْقَضَ إِلَيْهِ . وَاخْتَطَفَهُ

مَغْرَاهُ

أَنْ إِلَّا اقْتَحَارَ بِالْقُوَّةِ رَبًّا أَوْقَعَ صَاحِبُهُ فِي تَهْلُكَةٍ لَا مَنَاصَ لَهُ مِنْهَا
ذِنَابُ

ذِنَابُ أَصَابُوا جُلُودَ بَقَرٍ فِي مَسِيلٍ فِيهِ مَاءٌ وَلَيْسَ عِنْدَهُ أَحَدٌ.
فَاتَّقُوا عَلَى أَكْلِهَا جَمِيعًا. وَأَنْهُمْ يَشْرَبُونَ الْمَاءَ كُلَّهُ حَتَّى يَصِلُوا إِلَى
الْجُلُودِ. فَمِنْ كَثَرَةِ مَا شَرِبُوا انْفَلَقُوا. وَمَا تُوقِلُ أَنْ يَبْلُغُوا أَرْبَعَهُمْ (١)

مَغْرَاهُ

مَنْ كَانَ قَلِيلَ الرَّأْيِ. عَمِلَ مَا كَانَتْ عَاقِبَتُهُ وَبَالَآ عَلَيْهِ
الْوَزُّ وَالْخُطَافُ

الْوَزُّ وَالْخُطَافُ تَشَارَكَا فِي الْمَعِيشَةِ. فَكَانَ مَرَعَاهُمَا كِلَيْهِمَا فِي
مَحَلٍّ وَاحِدٍ. فَمَرَّ بِهِمَا الصَّيَّادُونَ يَوْمًا فَمَا كَانَ مِنَ الْخُطَافِ إِلَّا أَنْ
طَارَ وَسَلِمَ. فَأَمَّا الْوَزُّ فَأَذْرَكَ وَذُبِجَ
مَغْرَاهُ

مَنْ عَاشَرَ مَنْ لَا يُشَاكِلُهُ. أَحَاقَ بِهِ السُّوءُ

بَطَّةٌ وَضَوْءٌ كَوُكَبٌ

بَطَّةٌ رَأَتْ فِي الْمَاءِ ضَوْءَ كَوُكَبٍ فَظَنَّتْهُ تَمَكَّةً. فَحَاوَلَتْ أَنْ
تَصِيدَهَا. فَأَمَّا جَرَّبَتْ ذَلِكَ مِرَارًا عَلِمَتْ أَنَّهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ يُصَادُ.

(١) أَضْرَبَ الذَّنَابَ بِضَمِّيرِ الْعَلَاءِ لِأَنَّهُ تَرَلَّمَا مِثْلَهُمْ إِذْ هِيَ كَيَاةٌ عَنْهُمْ وَقَسَّ
عَلَى ذَلِكَ مَا أَشْبَهَهُ

فَتَرَكْتُهُ ثُمَّ رَأَتْ فِي غَدِ ذَلِكَ الْيَوْمِ سَمَكَةً . فَطَشَتْهَا مِنْهُ الَّذِي
رَأَتْهُ بِالْأَمْسِ . فَتَرَكْتَهَا

مَغْرَاهُ

أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ . وَلَا يُوقِعَ
أَحَدَهُمَا مَوْقِعَ الْآخَرِ



نُحْبُ

مِنْ الْكِتَابِ الْمَعْرُوفِ بِأَلْفِ لَيْلَةٍ وَلَيْلَةٍ

حِكَايَةُ الْمَلِكِ جُلَيْعَادَ

وَأَبْنَاهُ الَّذِي هُوَ

زَعُمُوا أَنَّهُ كَانَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ وَسَالِفِ الْعَصْرِ وَالْأَوَانِ مَلِكٌ
فِي بِلَادِ الْهِنْدِ . وَكَانَ مَلِكًا عَظِيمًا طَوِيلَ الْقَامَةِ . حَسَنَ الصُّورَةِ . حَسَنَ
الْخُلُقِ كَرِيمَ الطَّبَاعِ مُحْسِنًا لِفُقَرَاءِ مُحِبًّا لِلرَّعِيَّةِ وَلِجَمِيعِ أَهْلِ دَوْلَتِهِ .
وَكَانَ اسْمُهُ جُلَيْعَادَ . وَكَانَ تَحْتَ يَدِهِ فِي مَمْلَكَتِهِ أَثْنَانِ وَسَبْعُونَ
مَلِكًا . وَلِبِلَادِهِ ثَلَاثَانِةٌ وَخَمْسُونَ قَاضِيًا . وَكَانَ لَهُ سَبْعُونَ وَزِيرًا
وَقَدْ جَعَلَ عَلَى كُلِّ عَشْرَةٍ مِنْ عَسْكَرِهِ رَئِيسًا . وَكَانَ أَكْبَرُ وَزُرَائِهِ
شَخْصًا يُقَالُ لَهُ شِمَاسُ . وَكَانَ عُمُرُهُ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً . وَكَانَ
حَسَنَ الْخُلُقِ وَالطَّبَاعِ لَطِيفًا فِي كَلَامِهِ . لَيِّبًا فِي جَوَابِهِ . حَازِقًا فِي
جَمِيعِ أُمُورِهِ . حَكِيمًا مُدِيرًا رَئِيسًا مَعَ صَغُرِ سِنِهِ . عَارِفًا بِكُلِّ حِكْمَةٍ

وَأَدَبٍ . وَكَانَ الْمَلِكُ يُحِبُّهُ حُبَّةَ عَظِيمَةٍ وَيَعِيلُ إِلَيْهِ لِمَعْرِفَتِهِ بِأَنْفَصَاحِهِ
وَالْبَلَاغَةِ وَأَحْوَالِ السَّاسَةِ . وَلَمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الرَّحْمَةِ وَخَفَضَ
الْجَنَاحَ لِلرَّعِيَّةِ . وَكَانَ ذَلِكَ الْمَلِكُ عَادِلًا فِي مَمْلَكَتِهِ حَافِظًا لِرِعَايَةِ
مَوَاصِلَ كَبِيرِهِمْ وَصَغِيرِهِمْ بِالْإِحْسَانِ . وَمَا يَلِيقُ بِهِمْ مِنَ الرِّعَايَةِ
وَالْعَطَايَا وَالْأَمَانِ وَالطَّمَأْنِينَةِ وَمُخَفِّفًا لِلْخُرَاجِ عَنْ كَامِلِ الرِّعَايَةِ . وَكَانَ
مُحِبًّا لَهُمْ كَبِيرًا وَصَغِيرًا وَمُعَامِلًا لَهُمْ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ وَالشَّفَقَةِ عَلَيْهِمْ .
وَأَتَى بِحُسْنِ سِيرَتِهِ بَيْنَهُمْ بِمَا لَمْ يَأْتِ بِهِ أَحَدٌ قَبْلَهُ . وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ لَمْ
يَرْزُقْهُ اللَّهُ تَعَالَى وَلَدًا . فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ . فَاتَّفَقَ أَنَّ
الْمَلِكَ كَانَ مُضْطَّجِعًا فِي لَيْلَةٍ مِنَ اللَّيَالِي وَهُوَ مُشْغُولُ الْفِكْرِ فِي عَاقِبَةِ
أَمْرِ مَمْلَكَتِهِ . ثُمَّ غَلَبَ عَلَيْهِ النَّوْمُ فَرَأَى فِي مَنَامِهِ كَأَنَّهُ يَصُبُّ مَاءً فِي
أَصْلِ شَجَرَةٍ وَحَوْلَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ أَشْجَارٌ كَثِيرَةٌ وَإِذَا بِنَارٌ قَدْ خَرَجَتْ
مِنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَحْرَقَتْ جَمِيعَ مَا كَانَ حَوْلَهَا مِنَ الْأَشْجَارِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ
أَنْتَبَهَ الْمَلِكُ مِنْ مَنَامِهِ فَرَعَا وَاسْتَدْعَى أَحَدَ غُلَمَائِهِ وَقَالَ لَهُ : أَذْهَبَ
بِسُرْعَةٍ وَأَتَيْتَنِي بِشَّمْسِ الْوَزِيرِ عَاجِلًا : فَذَهَبَ الْغُلَامُ إِلَى شَّمْسٍ وَقَالَ
لَهُ : إِنَّ الْمَلِكَ يَدْعُوكَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ لِأَنَّهُ أَنْتَبَهَ مِنْ نَوْمِهِ مَرْغُوبًا .
فَارْسَلَنِي إِلَيْكَ لِيَتَخَضَّرَ عِنْدَهُ عَاجِلًا : فَلَمَّا سَمِعَ شَّمْسُ كَلَامَ الْغُلَامِ
قَامَ مِنْ وَقْتِهِ وَسَاعَتِهِ وَتَوَجَّهَ إِلَى الْمَلِكِ وَدَخَلَ عَلَيْهِ . فَرَأَاهُ قَاعِدًا عَلَى
فِرَاشِهِ . فَسَجَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ دَاعِيًا لَهُ بِدَوَامِ الْعِزِّ وَالنِّعَمِ . وَقَالَ :
لَا أَخْرَنُكَ اللَّهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ مَا الَّذِي أَقْلَقَكَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَمَا سَبَبُ

طَلَبِكَ إِنِّي بِسُرْعَةٍ فَأَذِنَ لَهُ الْمَلِكُ بِالْجُلُوسِ فَجَلَسَ . وَصَارَ يَقْصُ
عَلَيْهِ مَا رَأَى قَائِلًا : إِنِّي رَأَيْتُ فِي لَيْلَتِي هَذِهِ مَنَامًا أَهَالَنِي . وَهُوَ كَأَنِّي
أَصْبُ مَاءً فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ وَحَوْلَ ثَلَاثِ الشَّجَرَةِ أَشْجَارٌ كَثِيرَةٌ . فَبَيْنَمَا أَنَا
فِي هَذِهِ الْحَالَةِ . وَإِذَا بِنَارٍ خَرَجَتْ مِنْ أَصْلِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَحْرَقَتْ
جَمِيعَ مَا حَوْلَهَا مِنْ الْأَشْجَارِ . فَقَزَعْتُ مِنْ ذَلِكَ وَأَخَذَنِي الرُّعْبُ
فَأَنْتَبَهْتُ عِنْدَ ذَلِكَ وَأَرْسَلْتُ دَعْوَتَكَ لِكَثْرَةِ مَعْرِفَتِكَ وَتَعْيِيرِكَ
الرُّؤْيَا . وَلَمَّا أَعْلَمَهُ مِنْ اتِّسَاعِ عِلْمِكَ وَغَزَاةِ فَهْمِكَ

فَأَطْرَقَ شَمْسُ رَأْسِهِ سَاعَةً ثُمَّ تَبَسَّمَ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَا رَأَيْتَ
يَا شَمْسُ أَصْدُقْتَنِي الْخَبَرَ وَلَا تُخْفِ عَنِّي شَيْئًا : فَأَجَابَهُ شَمْسٌ وَقَالَ
لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَوَّلَكَ وَأَقَرَّ عَيْنَكَ . وَأَمْرُ هَذِهِ الرُّؤْيَا
يَأُولُ إِلَى خَيْرٍ . وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرْزُقُكَ وَلَدًا ذَكَرًا . يَكُونُ وَارِثًا
لِلْمَلِكِ عَنكَ مِنْ بَعْدِ طَوِيلِ عُمُرِكَ . غَيْرَ أَنَّهُ يَكُونُ فِيهِ شَيْءٌ لَا أُحِبُّ
تَفْسِيرَهُ فِي هَذَا الْوَقْتِ لِأَنَّهُ غَيْرُ مُوَافِقٍ لِتَفْسِيرِهِ : فَقَرِحَ الْمَلِكُ
بِذَلِكَ قَرَحًا عَظِيمًا . وَزَادَ سُرُورَهُ وَذَهَبَ عَنْهُ فَزَعُهُ وَطَابَتْ نَفْسُهُ .
وَقَالَ : إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ مِنْ حُسْنِ تَأْوِيلِ هَذَا الْمَنَامِ . فَكَمَلْ لِي
تَأْوِيلَهُ إِذَا جَاءَ الْوَقْتُ الْمُوَافِقُ لِكَمَالِ تَأْوِيلِهِ . لِأَجْلِ أَنْ يَكْمَلَ فَرَحِي .
لِأَنِّي لَا أَتَّبِعِي بِذَلِكَ غَيْرَ رِضَى اللَّهِ سُجَّانَهُ وَتَعَالَى : فَلَمَّا رَأَى شَمْسُ
مِنَ الْمَلِكِ أَنَّهُ مُصَيِّمٌ عَلَى تَمَامِ تَفْسِيرِهِ . اخْتَجَّ لَهُ بِحُجَّةٍ دَفَعَ عَنْ نَفْسِهِ .
فَعِنْدَ ذَلِكَ دَعَا الْمَلِكُ بِالْمُتَحَمِّينَ وَجَمِيعِ الْمُعْبِرِينَ لِلْأَحْلَامِ الَّذِينَ فِي

ثَمَلَكْتَهُ . فَحَضَرُوا جَمِيعًا بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَصَّ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ الْمَنَامَ . وَقَالَ لَهُمْ :
أُرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تُخْبِرُونِي بِصُحَّةِ تَفْسِيرِهِ : فَتَقَدَّمَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَأَخَذَ
إِذَا نَا مِنْ الْمَلِكِ بِالْكَلَامِ . فَلَمَّا أَذِنَ لَهُ قَالَ : أَعْلَمُ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّ وَزِيرَكَ
شَمَّاسًا لَيْسَ بِعَاجِزٍ عَنْ تَفْسِيرِ ذَلِكَ وَإِنَّمَا هُوَ أَحْتَشَمَ مِنْكَ وَسَكَنَ
رَوْعَكَ وَلَمْ يُظْهِرْ لَكَ جَمِيعَ التَّأْوِيلِ بِالْكَلِمَةِ . وَلَكِنْ إِذَا أَذِنْتَ لِي
بِالْكَلَامِ تَكَلَّمْتُ : فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : تَكَلَّمْ أَيُّهَا الْمُفَسِّرُ بِمَا أَحْتَشِمُ .
وَأَصْدُقْ فِي كَلَامِكَ : فَقَالَ الْمُفَسِّرُ : أَعْلَمُ أَيُّهَا الْمَلِكُ . أَنَّهُ يُظْهِرُ مِنْكَ
غَلَامٌ يَكُونُ وَارِثًا لِلْمَلِكِ عَنْكَ بَعْدَ طَوِيلِ حَيَاتِكَ . وَلَكِنَّهُ لَا يَسِيرُ
فِي الرِّعْيَةِ بِسَيْرِكَ بَلْ يُخَالِفُ رُسُومَكَ وَيَجُورُ عَلَى رَعِيَّتِكَ وَيُصِيبُهُ
مَا أَصَابَ الْفَارَ مَعَ السِّنُورِ فَاسْتَعَاذَ بِاللَّهِ تَعَالَى . فَقَالَ الْمَلِكُ : وَمَا
حِكَايَةُ السِّنُورِ وَالْفَارِ

(حِكَايَةُ السِّنُورِ وَالْفَارِ)

فَقَالَ الْمُفَسِّرُ : أَطَالَ اللَّهُ عُمْرَ الْمَلِكِ . إِنَّ السِّنُورَ وَهُوَ الْقَطُ . مَرَحَ
لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي إِلَى شَيْءٍ يَنْتَرِسُهُ فِي بَعْضِ الْغَيْطَانِ . فَمَا وَجَدَ شَيْئًا .
وَضَعُفَ مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ وَالْمَطَرِ الَّذِي صَارَ فِي نِلِكَ الْآلِيَةِ فَلَاخَذَ
يُحْتَالُ لِنَفْسِهِ شَيْءًا يَقُورُ بِهِ . فَبَيْنَمَا هُوَ دَائِرٌ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ إِذْ رَأَى
وَكْرًا فِي أَسْفَلِ شَجَرَةٍ قَدْنَا مِنْهُ وَصَارَ يُشْمِشُ وَيُدْنِدُنُ حَتَّى أَحَسَّ
بِأَنَّ دَاخِلَ الْوَكْرِ قَارًا . فَحَاوَلَهُ وَهَمَّ بِالْدُخُولِ عَلَيْهِ لِكَيْ يَأْخُذَهُ . فَلَمَّا
أَحَسَّ بِهِ أَنَّهُ أُرِ اعْطَاهُ قَفَاهُ وَصَارَ يَذْحِفُ عَلَى يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ لِكَيْ

يَسُدُّ بَابَ الْوَكْرِ عَلَيْهِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ صَارَ السَّنُورُ يُصَوِّتُ صَوْتًا ضَعِيفًا وَيَهْوُلُ لَهُ : لِمَ تَفْعَلُ ذَلِكَ يَا أَخِي . وَأَنَا مُتَعَجِّئٌ إِلَيْكَ لِتَفْعَلَ مَعِيَ رَحْمَةً بِأَنْ تُقَرِّبَنِي فِي وَكْرِكَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ . لِأَنِّي ضَعِيفُ الْحَالِ مِنْ كِبَرِ سِنِّي وَذَهَابِ قُوَّتِي . وَلَسْتُ أَقْدِرُ عَلَى الْحَرَكَةِ . وَقَدْ تَوَغَّلْتُ فِي هَذَا الْغَيْطِ هَذِهِ اللَّيْلَةَ . وَكَمْ مَرَّةً دَعَوْتُ بِالمَوْتِ عَلَى نَفْسِي لِكَيْ أَسْتَرْجِحَ وَهَذَا أَنَا عَلَى بَابِكَ طَرِيجٌ مِنَ الْبَرْدِ وَالطَّرِ . وَأَسْأَلُكَ بِاللَّهِ مِنْ صَدَقَتِكَ أَنْ تَأْخُذَ بِيَدِي وَتَدْخُلَنِي عِنْدَكَ وَتَأْوِيَنِي فِي دِهْلِيزِ وَكْرِكَ . لِأَنِّي غَرِيبٌ وَمَسْكِينٌ . وَقَدْ قِيلَ : مَنْ أَوَى بِمَنْزِلِهِ غَرِيبًا مَسْكِينًا كَانَ مَأْوَاهُ الْجَنَّةَ يَوْمَ الدِّينِ فَأَنْتَ يَا أَخِي حَقِيقٌ بِأَنْ تَكْسِبَ أَجْرِي . وَتَأْذَنَ لِي فِي أَنْ أَبِيتَ عِنْدَكَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى الصَّبَاحِ ثُمَّ أَرْوَحَ إِلَى حَالِ سَبِيلِي : فَلَمَّا سَمِعَ الْفَارُ كَلَامَ السَّنُورِ . قَالَ لَهُ : كَيْفَ تَدْخُلُ وَكْرِي وَأَنْتَ لِي عَدُوٌّ بِالطَّبَعِ وَمَعَاشِكَ مِنْ لَحْمِي . وَأَخَافُ أَنْ تَنْدُرَ بِي . لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ شَيْمَتِكَ . لِأَنَّهُ لَا عَهْدَ لَكَ . وَقَدْ قِيلَ : لَا يَنْبَغِي الْأَمَانُ لِلْفَقِيرِ عَلَى الْمَالِ وَلَا لِلنَّارِ عَلَى الْحَطَبِ وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ عَلَيَّ أَنْ أَسْتَأْمَنَكَ عَلَى نَفْسِي وَقَدْ قِيلَ : عِدَاوَةُ الطَّبَعِ كُلَّمَا ضَمُفَ صَاحِبُهَا كَانَتْ أَقْوَى : فَأَجَابَ السَّنُورُ قَائِلًا بِأَخْمَدِ صَوْتٍ وَأَسْوَأِ حَالٍ : إِنَّ الَّذِي قُلْتُهُ مِنَ الْمَوَاعِظِ . وَلَسْتُ أَنْكِرُ عَلَيْكَ . وَلَكِنْ أَسْأَلُكَ الصَّفْحَ عَمَّا مَضَى مِنَ الْعِدَاوَةِ الطَّبِيعِيَّةِ الَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ لِأَنَّهُ قَدْ قِيلَ : مَنْ صَفَحَ عَنْ مَخْلُوقٍ مِثْلَهُ صَفَحَ خَالَهُ عَنْهُ . وَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ ذَلِكَ عَدُوًّا

لَكَ وَهَذَا أَنَا الْيَوْمَ طَائِبٌ صَدَقْتُكَ . وَقَدْ قِيلَ : إِذَا أَرَدْتَ أَنْ يَكُونَ
عَدُوَّكَ صَدِيقًا لَكَ فَأَفْعَلْ مَعَهُ خَيْرًا . وَأَنَا يَا أَخِي أَعْطَيْكَ عَهْدَ اللَّهِ
وَمِيثَاقَهُ أَتَى لَا أَضُرُّكَ أَبَدًا . وَمَعَ هَذَا لَيْسَ لِي قُدْرَةٌ عَلَى ذَلِكَ
فَتَقَى بِاللَّهِ وَأَفْعَلْ خَيْرًا . وَأَقْبَلَ عَهْدِي وَمِيثَاقِي : فَقَالَ الْقَارُ : كَيْفَ
أَقْبَلَ عَهْدَ مَنْ تَأَسَّسَتِ الْعَدَاوَةُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ . وَعَادَاتُهُ أَنْ يَغْدِرَ لِي .
وَلَوْ كَانَتْ الْعَدَاوَةُ بَيْنَنَا عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ غَيْرِ الدَّمِ لَهَانَ عَلَيَّ
ذَلِكَ . وَلَكِنَّهَا عَدَاوَةٌ طَبِيعِيَّةٌ بَيْنَ الْأَرْوَاحِ . وَقَدْ قِيلَ مَنْ أَسْتَأْمَنَ
عَدُوَّهُ عَلَى نَفْسِهِ كَانَ كَمَنْ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي قَمَرٍ الْأَفْقَى : فَقَالَ السَّنُورُ
وَهُوَ مُتَمَلِّئٌ غَيْظًا : قَدْ ضَاقَ صَدْرِي وَضَعُفَتْ نَفْسِي . وَهَذَا أَنَا فِي
الْتَزَعِ وَعَنْ قَلِيلٍ أَمُوتُ عَلَى بَابِكَ وَيَبْقَى إِنَّمَا عَلَيْكَ لِأَنَّكَ قَادِرٌ
عَلَى نَجَاتِي يَمَا أَنَا فِيهِ . وَهَذَا آخِرُ كَلَامِي مَعَكَ : فَحَصَلَ لِلْقَارِ خَوْفٌ
مِنَ اللَّهِ تَعَالَى . وَزَلَّتْ فِي قَلْبِهِ الرَّحْمَةُ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : مَنْ أَرَادَ
الْمُعُونَةَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عَدُوِّهِ فَلْيَصْنَعْ مَعَهُ رَحْمَةً وَخَيْرًا . وَأَنَا مُتَوَكِّلٌ
عَلَى اللَّهِ فِي هَذَا الْأَمْرِ وَأَنْتَ هَذَا السَّنُورُ مِنْ هَذَا الْمَلَكِ لَا تَنْسِبْ
أَجْرَهُ : فَغَدَّ ذَلِكَ خَرَجَ الْقَارُ إِلَى السَّنُورِ وَأَدْخَلَهُ فِي وَكْرِهِ سَجَبًا . فَأَقَامَ
عِنْدَهُ إِلَى أَنْ أَشْتَدَّ وَاسْتَرَاحَ وَتَعَاثَى قَلِيلًا . فَصَارَ بَتَاسَفٍ عَلَى ضَعْفِهِ
وَذَهَابِ قُوَّتِهِ وَقَلَّةِ أَصْدِقَائِهِ . فَصَارَ الْقَارُ يَتَرَفَّقُ بِهِ وَيَأْخُذُ بِخَطِيرِهِ
وَيَتَقَرَّبُ مِنْهُ وَيَسْعَى حَوْلَهُ . فَأَمَّا السَّنُورُ فَإِنَّهُ زَحَفَ إِلَى الْوَكْرِ حَتَّى
مَلَكَ الْخُرْجَ خَوْفًا أَنْ يُخْرِجَ مِنْهُ الْقَارُ . فَلَمَّا أَرَادَ الْخُرُوجَ قَرُبَ مِنْ

السَّيَّورِ عَلَى عَادَتِهِ . فَلَمَّا صَارَ قَرِيبًا مِنْهُ قَبَضَ عَلَيْهِ وَأَخَذَهُ بَيْنَ
أُظْفَارِهِ وَصَارَ يَعْضُهُ وَيَنْثَرُهُ وَيَأْخُذُهُ فِي فَمِهِ وَيَرْقَعُهُ عَنِ الْأَرْضِ
وَيَرْمِيهِ وَيَجْرِي وَرَاءَهُ وَيَنْهَشُهُ وَيُعَذِّبُهُ . فَعِنْدَ ذَلِكَ اسْتَفَاتَ الْقَارُ
وَطَلَبَ الْخَلَاصَ مِنَ اللَّهِ . وَجَمَلَ يُمَاتِبُ السَّيَّورَ وَيَقُولُ : أَيْنَ الْهَدَى
الَّذِي عَامَدْتَنِي بِهِ . وَأَيْنَ أَقْسَامُكَ الَّتِي أَقْسَمْتَ بِهَا . أَهَذَا جَزَائِي
مِنْكَ . وَقَدْ أَذْخَلْتُكَ وَكَرَّيْتُ وَأَسْتَأْمَنْتُكَ عَلَى نَفْسِي . وَلَكِنْ صَدَقَ
مَنْ قَالَ : مَنْ أَخَذَ عَهْدًا مِنْ عَدُوِّهِ لَا يَتَّبِعِي لِنَفْسِهِ نَجَاةً . وَمَنْ قَالَ :
مَنْ سَلَّمَ نَفْسَهُ لِعَدُوِّهِ كَانَ مُسْتَوْجِبًا لِنَفْسِهِ الْهَلَاكَ . وَلَكِنْ تَوَكَّلْتُ
عَلَى خَالِقِي فَهُوَ الَّذِي يُخَلِّصُنِي مِنْكَ : فَيَنْمَازُ هُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ مَعَ
السَّيَّورِ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَنْجُمَ عَلَيْهِ وَيَفْتَرِسَهُ . إِذَا بِرَجُلٍ صَيَّادٍ مَعَهُ كَلَابُ
جَارِحَةٌ مُعَوَّدَةٌ عَلَى الصَّيْدِ . فَمَرَّ مِنْهَا كَلْبٌ عَلَى بَابِ الْوَكْرِ فَسَمِعَ
فِيهِ مَعْرَكَةً كَبِيرَةً فَظَنَّ أَنَّ فِيهِ ثَعْلَبًا يَفْتَرِسُ شَيْئًا . فَأَنْدَفَعَ الْكَلْبُ
مُتَحِدًّا لِيَصْطَادَهُ فَصَادَفَ السَّيَّورَ فَجَذَبَهُ إِلَيْهِ . فَأَمَّا وَقَعَ السَّيَّورُ بَيْنَ
يَدَيِ الْكَلْبِ أَلْتَهَى بِنَفْسِهِ وَأَطْلَقَ الْقَارَ حَيًّا لَيْسَ فِيهِ جُرْحٌ . وَأَمَّا
هُوَ فَإِنَّهُ خَرَجَ بِهِ الْكَلْبُ الْجَارِحُ بَعْدَ أَنْ قَطَعَ عَصَبَهُ وَرَمَاهُ مَيِّتًا .
وَصَدَقَ فِي حَقِّهِمَا قَوْلُ مَنْ قَالَ : مَنْ رَحِمَ رُحِمَ آجِلًا . وَمَنْ ظَلَمَ
ظَلَمَ عَاجِلًا

هَذَا مَا جَرَى لَهُمَا أَيُّهَا الْمَلِكُ . فَلِذَلِكَ لَا يَتَّبِعِي لِأَحَدٍ أَنْ يَنْهَضَ
عَهْدًا مِنْ أَسْتَأْمَنَهُ . وَمَنْ غَدَرَ وَخَانَ يَحْصُلُ لَهُ مِثْلُ مَا حَصَلَ لِسَيَّورٍ .

لَآئِهٖ كُلَّمَا يَدِينُ أَتَيْتُ يَدَانِ وَمَنْ يَرْجِعْ إِلَى الْخَيْرِ يَنْلِ الثَّوَابَ. وَلَكِنْ لَا
تُحْزَنُ أَيُّهَا الْمَلِكُ وَلَا يَشْقُ عَلَيْكَ ذَلِكَ. لِأَنَّ وَلَدَكَ بَعْدَ ظُلْمِهِ وَعَسْفِهِ
رُبَّمَا يَعُودُ إِلَى حُسْنِ سِيرَتِكَ. وَإِنَّ هَذَا الْعَالَمَ الَّذِي هُوَ وَزِيرُكَ
شَّمْسٌ أَحَبُّ أَنْ لَا يَكُنَّ عَلَيْكَ شَيْئًا فِيمَا رَمَزَهُ إِلَيْكَ. وَذَلِكَ رُشْدٌ مِنْهُ
لَآئِهٖ قَدْ قِيلَ: أَكْثَرُ النَّاسِ خَوْفًا أَوْ سَهْمًا عِلْمًا وَأَعْظَمُهُمْ خَيْرًا: فَأَذِنَ
الْمَلِكُ عِنْدَ ذَلِكَ وَأَمَرَ لَهُمْ بِالْكَرَامِ جَزِيلٍ. ثُمَّ صَرَّفَهُمْ وَقَامَ وَدَخَلَ
مَكَانَهُ وَصَارَ يَتَفَكَّرُ فِي عَاقِبَةِ أَمْرِهِ. وَسَلَّمْ أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ الَّذِي فِي يَدِهِ
جَمِيعُ الْأُمُورِ. فَلَمْ يَمُضِ زَمَانٌ كَثِيرٌ إِلَّا أَتَتْهُ الْبُشْرَى بِتَحْقِيقِ أَمَلِهِ
فَقَالَ: صَدَقَتْ رُؤْيَايَ وَاللَّهِ الْمُسْتَعَانُ: ثُمَّ إِنَّهُ دَعَا بَعْضَ الْعُلَمَاءِ
وَأَرْسَلَهُ لِيُخْبِرَ شَمْسًا. فَلَمَّا حَدَّثَهُ الْمَلِكُ بِمَا صَارَ مِنْ حَمْلِ زَوْجَتِهِ وَهُوَ
فَرَحَانٌ قَائِلًا: قَدْ صَدَقَتْ رُؤْيَايَ وَأَتَّصَلَ رَجَائِي فَلَمَلْ ذَلِكَ الْحَمْلَ
يَكُونُ وَلَدًا ذَكَرًا أَوْ يَكُونُ وَارِثًا لِمُلْكِي. فَمَا تَقُولُ يَا شَمْسُ فِي ذَلِكَ:
فَسَكَتَ شَمْسٌ وَلَمْ يَنْطِقْ بِجَوَابٍ. فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا لِي أَرَاكَ لَا تَفْرَحُ
بِقُرْحِي وَلَا تَرُدُّ لِي جَوَابًا. يَا تَرَى هَلْ أَنْتَ كَارِهِ لِهَذَا الْأَمْرِ يَا شَمْسُ:
فَسَجَدَ عِنْدَ ذَلِكَ شَمْسٌ بَيْنَ يَدَيْ الْمَلِكِ وَقَالَ: أَيُّهَا الْمَلِكُ أَطَالَ
اللَّهُ عُمْرَكَ. مَا الَّذِي يَنْفَعُ الْمُسْتَظِلَّ بِشَجَرَةٍ إِذَا كَانَتِ النَّارُ تَخْرُجُ
مِنْهَا وَمَا لَذَّةُ شَارِبِ الْخَمْرِ الصَّافِي إِذَا حَصَلَ لَهُ بِهَا الشَّرْقُ. وَمَا
قَائِدَةُ النَّاهِلِ مِنَ الْمَاءِ الْعَذْبِ الْبَارِدِ إِذَا غَرِقَ فِيهِ. وَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ
لِلَّهِ وَلَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ. وَلَكِنْ قَدْ قِيلَ: ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ

أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي شَأْنِهَا إِلَّا إِذَا تَمَّتْ: الْمَسَافِرُ حَتَّى يَرْجِعَ مِنْ سَفَرِهِ .
وَالَّذِي فِي الْحَرْبِ حَتَّى يَهْرَ عَدُوَّهُ . وَالْمَرْأَةُ الْحَامِلُ حَتَّى تَضَعَ حَمْلَهَا .
فَاعْلَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ . أَنَّ الْمَتَكَلَّمَ بِشَأْنِ شَيْءٍ لَمْ يَتِمَّ مِثْلُ النَّاسِكِ
الْمَدْفُوقِ عَلَى رَأْسِهِ أَسْتَمْنُ : فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ حِكَايَةُ النَّاسِكِ
وَمَا جَرَى لَهُ

(حِكَايَةُ النَّاسِكِ وَمَا جَرَى لَهُ)

فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ . إِنَّهُ كَانَ نَاسِكٌ عِنْدَ شَرِيفٍ مِنْ أَشْرَافِ
بَعْضِ الْمَدَنِ . وَكَانَ لِلنَّاسِكِ جَرَايَةٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ رِزْقِ ذَلِكَ
الشَّرِيفِ . وَهِيَ : ثَلَاثَةُ أَرْغَفَةٍ مَعَ قَلِيلٍ مِنَ أَسْتَمْنِ وَالْعَسَلِ . وَكَانَ
أَسْتَمْنُ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ غَالِيًا . وَكَانَ النَّاسِكُ يُجْمَعُ الَّذِي يَجِيءُ إِلَيْهِ
فِي جَرَّةٍ عِنْدَهُ حَتَّى مَلَأَهَا وَعَلَّقَهَا فَوْقَ رَأْسِهِ خَوْفًا وَأَحْتِرَاسًا . فَبَيْنَمَا
هُوَ ذَاتَ لَيْلَةٍ مِنَ اللَّيَالِي جَالِسٌ عَلَى فِرَاشِهِ وَعَصَاهُ فِي يَدِهِ . إِذْ
عَرَضَ لَهُ فِكْرٌ فِي أَمْرِ أَسْتَمْنِ وَغَالِيَتِهِ . فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : يَنْبَغِي أَنْ
أَبِيعَ هَذَا أَسْتَمْنِ الَّذِي عِنْدِي جَمِيعَهُ . وَأَشْتَرِي بِهِ نَجْمَةً وَأُشَارِكَ عَلَيْهَا
أَحَدًا مِنَ الْفَلَاحِينَ . فَإِنَّهَا فِي أَوَّلِ عَامٍ تَلِدُ ذَكَرًا وَأُنْثَى . وَثَانِي عَامٍ
تَلِدُ أُنْثَى وَذَكَرًا . وَلَا تَزَالُ هَذِهِ النِّعَمُ تُتَوَلَّدُ ذُكُورًا وَإِنَاثًا حَتَّى
تَصِيرَ شَيْئًا كَثِيرًا . وَأَقْسِمُ بِحَصْنِي بَعْدَ ذَلِكَ وَأَبِيعُ مَا شِئْتُ .
وَأَشْتَرِي الْأَرْضَ الْفَلَانِيَّةَ وَأُنْشِي فِيهَا غَيْطًا وَأَبْنِي فِيهَا قَصْرًا عَظِيمًا
وَأَقْنِي ثِيَابًا وَمَلْبُوسًا . وَأَشْتَرِي عَيْدًا وَجَوَارِي وَأَتَزَوَّجُ بِنْتِ التَّاجِرِ

أَتَقْلَانِي وَأَعْمَلُ عُرْسًا مَا صَادَ مِنْهُ قَطُّ. وَأَذْبَحُ الذَّبَائِحَ وَأَعْمَلُ
 الْأَطِيمَةَ أَتَقَاخِرَهُ وَالْحُلُوبَاتِ الْمُلْبَسَاتِ وَغَيْرَهَا. وَأَجْمَعُ فِيهِ أَهْلَ
 الْمَلَاعِبِ وَأَرْبَابَ الْفُنُونِ وَآلَاتِ السَّمْعِ وَأَجْهَزُ الْأَزْهَارِ وَالشُّمُومَاتِ
 وَأَصْنَافِ الرِّيَاحِينَ وَأَدْعُو الْأَغْنِيَاءَ وَالْفُقَرَاءَ وَالْعُلَمَاءَ وَالرُّؤَسَاءَ
 وَأَرْبَابَ الدَّوَلَةِ. وَكُلُّ مَنْ حَلَبَ شَيْئًا أَحْضَرْتُهُ إِلَيْهِ. وَأَجْهَزُ أَنْوَاعَ
 الْمَأْكَلِ وَالْمَشَارِبِ. وَأُطْلِقُ مُنَادِيًا يُذَادِي. مَنْ يَطْلُبُ شَيْئًا يَنَالُهُ.
 وَبَعْدَ ذَلِكَ تَحْمِلُ زَوْجَتِي وَتَلِدُ غُلَامًا ذَكَرًا. فَأَفْرَحُ بِهِ وَأَعْمَلُ لَهُ
 الْوَلَانِيمَ وَأَرِيهِ فِي الدَّلَالِ. وَأَعْلِمُهُ الْحِكْمَةَ وَالْأَدَبَ وَالْحِسَابَ
 وَأَشْهَرُ اسْمَهُ بَيْنَ النَّاسِ. وَأَقْتَحِرُ بِهِ عِنْدَ أَرْبَابِ الْمَجَالِسِ. وَآمُرُهُ
 بِالْمَعْرُوفِ فَلَا يُخَالِفْنِي وَأَنْتَاهُ عَنِ الْفَاحِشَةِ وَالْمُنْكَرِ. وَأُوصِيهِ بِالْتَّقْوَى
 وَفِعْلِ الْخَيْرِ. وَأَعْطِيهِ الْعَطَايَا الْحَسَنَةَ السَّيِّئَةَ. فَإِنْ رَأَيْتُهُ لَزِمَ الطَّاعَةَ
 زِدْتُهُ عَطَايَا صَالِحَةً. وَإِنْ رَأَيْتُهُ مَالَ إِلَى الْمَعْصِيَةِ أُنْزِلُ عَلَيْهِ بِهَذِهِ
 الْعَصَا وَرَفَعَهَا لِيَضْرِبَ بِهَا وَلَدَهُ فَأَصَابَتْ جَرَّةَ السَّمَنِ الَّتِي فَوْقَ رَأْسِهِ
 فَكَسَرَتْهَا. فَعِنْدَ ذَلِكَ نَزَلَتْ بِشَقَافَتِهَا عَلَيْهِ وَسَاحَ السَّمَنِ عَلَى رَأْسِهِ
 وَعَلَى ثِيَابِهِ وَحِجَّتِهِ وَصَارَ عِبْرَةً. فَلِأَجْلِ ذَلِكَ أَتَاهَا الْمَلِكُ. لَا يَنْبَغِي
 لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَكَلَّمَ عَلَى شَيْءٍ قَبْلَ أَنْ يَصِيرَ

فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: لَقَدْ صَدَقْتَ فِيمَا قُلْتَ. وَنَعِمَ الْوَزِيرُ أَنْتَ.
 لَكُونْكَ بِالْصِّدْقِ نَطَقْتَ. وَبِالْخَيْرِ أَشْرْتَ. وَلَقَدْ صَارَتْ رَبَّتُكَ
 عِنْدِي عَلَى مَا تُحِبُّ وَلَمْ تَزَلْ مَقْبُولًا. فَسَجَدَ شَمْسُ اللَّهِ لِلْمَلِكِ وَدَعَا

لَهُ يَدَوَامِ النِّعَمِ وَقَالَ لَهُ: أَدَامَ اللَّهُ أَيَّامَكَ وَأَعْلَى شَأْنَكَ . وَأَعْلَمَ
 أَنِّي لَسْتُ أَكْتُمُ عَنْكَ شَيْئًا لَا فِي السِّرِّ وَلَا فِي الْعَلَانِيَةِ وَرِضَاكَ
 رِضَائِي وَغَضَبُكَ غَضَبِي وَلَيْسَ لِي فَرْحٌ إِلَّا بِفَرْحِكَ وَلَا يُمَكِّنُنِي أَنْ
 أَبَيْتَ وَأَنْتَ سَاخِطٌ عَلَيَّ . لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَزَقَنِي كُلَّ خَيْرٍ بِإِكْرَامِكَ
 إِيَّايَ . فَاسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَخْرُسَكَ بِمَلَائِكَتِهِ . وَيُحَسِّنَ ثَوَابَكَ
 عِنْدَ لِقَائِهِ : فَاتَّبَعَهُ الْمَلِكُ عِنْدَ ذَلِكَ : ثُمَّ قَامَ شَمْسٌ وَأَنْصَرَفَ مِنْ
 عِنْدِ الْمَلِكِ

ثُمَّ بَعْدَ مُدَّةٍ وَضَعَتْ زَوْجَةُ الْمَلِكِ غُلَامًا ذَكَرًا . فَهَضَّ
 الْمُبَشِّرُونَ إِلَى الْمَلِكِ وَبَشَّرُوهُ بِفُلَامٍ فَقَرِحَ بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا .
 وَشَكَرَ اللَّهُ شُكْرًا جَزِيلًا وَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَزَقَنِي وَلَدًا . بَعْدَ
 الْيَأْسِ وَهُوَ الشَّفُوقُ الرَّؤُفُ عَلَى عِبَادِهِ : ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ كَتَبَ إِلَى
 سَائِرِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ لِيُعْلِمَهُمْ بِالْخَبَرِ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى مَنْزِلِهِ . فَحَضَرَ لَهُ
 الْأُمَرَاءُ وَالرُّؤَسَاءُ وَالْعُلَمَاءُ وَأَرْبَابُ الدَّوْلَةِ الَّذِينَ نَحَتَ أَمْرِهِ . هَذَا
 مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْمَلِكِ

وَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ وَلَدِهِ . فَإِنَّهُ قَدْ دَقَّتْ لَهُ الْبَشَائِرُ وَالْأَفْرَاحُ
 فِي سَائِرِ الْمَمْلَكَةِ . وَأَقْبَلَ أَهْلُهَا إِلَى الْحَضُورِ مِنْ سَائِرِ الْأَقْطَارِ .
 وَأَقْبَلَ أَهْلُ الْعُلُومِ وَالْفَلَسَفَةِ وَالْأَدَبِ وَالْحِكْمَةِ وَدَخَلُوا جَمِيعُهُمْ
 إِلَى الْمَلِكِ . وَوَصَلَ كُلُّ مِنْهُمْ إِلَى حَدِّ مَقَامِهِ . ثُمَّ أَشَارَ إِلَى الْوُزَرَاءِ
 السَّبْعَةِ الْكِبَارِ الَّذِينَ رَئِيسُهُمْ شَمْسٌ أَنْ يَتَكَلَّمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى

قَدَرِ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْحِكْمَةِ فِي شَأْنِ مَا هُوَ بِصَدَدِهِ . فَأَبْدَأَ رِيسَهُمُ
الْوَزِيرُ شَمْسُ . وَاسْتَأْذَنَ الْمَلِكَ فِي الْكَلَامِ . فَأَذِنَ لَهُ .

فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْشَأَنَا مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ الْمُتَعَمِّمِ
عَلَى عِبَادِهِ الْمُلُوكِ أَهْلَ الْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ بِمَا أَوْلَاهُمْ مِنَ الْمَلِكِ
وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ . وَبِمَا أَجْرَاهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ لِرِعِيَّتِهِمْ مِنَ الرِّزْقِ وَخُصُوصًا
مَلِكِنَا الَّذِي أَحْيَا بِهِ مَوَاتَ بِلَادِنَا بِمَا أَسَدَاهُ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنَ النِّعَمِ .
وَرَزَقَنَا مِنْ سَلَامَتِهِ بِرِخَاءِ الْعَيْشِ وَالطَّمَأِينَةِ وَالْعَدْلِ . فَأَيُّ مَلِكٍ
يَصْنَعُ بِأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ مَا صَنَعَ الْمَلِكُ بِنَا مِنْ الْقِيَامِ بِمَصَالِحِنَا وَأَدَاءِ
حُقُوقِنَا وَإِنصَافِ بَعْضِنَا مِنْ بَعْضٍ وَقَاةِ الْفُتْلَةِ عَنَّا وَرَدِّ مَطَالِمِنَا . وَمِنْ
فَضْلِ اللَّهِ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَكُونَ مَلِكُهُمْ مُتَعَمِّدًا لِأُمُورِهِمْ . وَحَافِظًا
لَهُمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ لِأَنَّ الْعَدُوَّ غَايَةٌ قَصْدِهِ أَنْ يَقْهَرَ عَدُوَّهُ وَأَنْ
يَمْلِكَهُ فِي يَدِهِ . وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يُقَدِّمُونَ أَوْلَادَهُمْ إِلَى الْمُلُوكِ
خَدَمًا فَيَصِيرُونَ عِنْدَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْعَبِيدِ . لِأَجْلِ أَنْ يَمْنَعُوا عَنْهُمْ الْأَعْدَاءَ
وَأَمَّا نَحْنُ فَلَمْ يَطَأْ بِلَادِنَا أَعْدَاءٌ فِي زَمَنِ مَلِكِنَا . فَهَذِهِ النِّعْمَةُ الْكُبْرَى
وَالسَّعَادَةُ الْعَظْمَى الَّتِي لَمْ يَقْدِرِ الْوَاصِفُونَ عَلَى وَصْفِهَا وَإِنَّمَا هِيَ فَوْقَ
ذَلِكَ . وَأَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ حَقِيقٌ بِأَنَّكَ أَهْلٌ لِهَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ
وَنَحْنُ نَحْتَ كَتِفِكَ وَفِي ظِلِّ جَنَاحِكَ أَحْسَنَ اللَّهُ تَوَاتُكَ وَأَدَامَ
بَقَاءَكَ . لِأَنَّنَا كُنَّا قَبْلَ ذَلِكَ نَجِدُ فِي الطَّلَبِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَمُنَّ
عَلَيْنَا بِالْإِجَابَةِ وَيُنْفِيكَ لَنَا وَيُعْطِيكَ وَلَدًا صَالِحًا تَقَرُّ بِهِ يَمِينُكَ وَاللَّهُ

سَمَّيْنَاهُ وَتَعَالَى قَدْرُهُ بَلْ مِنَّا وَاسْتَجَابَ دُعَاءَنَا وَأَتَانَا بِالْفَرْجِ الْقَرِيبِ
مِثْلَمَا أَتَى لِبَعْضِ السَّمَكِ فِي غَدِيرِ الْمَاءِ : فَقَالَ الْمَلِكُ : وَمَا حِكَايَةُ
السَّمَكِ وَكَيْفَ ذَلِكَ

(حكاية السمك وما جرى له)

فَقَالَ شَمَّاسٌ : أَعْلَمُ أَيُّهَا الْمَلِكُ . أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ الْأَمَاكِينِ
غَدِيرُ مَاءٍ . وَكَانَ فِيهِ بَعْضُ سَمَكَاتٍ . فَعَرَضَ لِذَلِكَ الْغَدِيرِ أَنَّهُ قَلَّ
مَآوُهُ . وَصَارَ يَنْضَمُّ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ وَلَمْ يَبْقَ فِي الْمَاءِ مَا يَسْتَعْمَلُهَا
فَكَادَتْ أَنْ تَهْلِكَ . وَقَالَتْ : مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ مِنْ أَمْرِنَا . وَكَيْفَ
نُخْتَلِ وَمَنْ تَسْتَشِيرُهُ فِي نَجَاتِنَا : فَقَامَتْ سَمَكَةٌ مِنْهُنَّ وَكَانَتْ أَكْبَرَهُنَّ
عَقْلًا وَسِنًا وَقَالَتْ : مَا لَنَا حِيلَةٌ فِي خَلَاصِنَا إِلَّا الطَّابُ مِنَ اللَّهِ .
وَلَكِنْ نَلْتَمِسُ الرَّأْيَ مِنَ السَّرَطَانِ فَإِنَّهُ أَكْبَرُنَا فَهُمُومِنَ بِنَا إِلَيْهِ لِنَنْظُرَ
مَا يَكُونُ مِنْ رَأْيِهِ لِأَنَّهُ أَكْثَرُ مِنَّا مَعْرِفَةً بِحَقَائِقِ الْكَلَامِ : فَاسْتَحْسَنَ
رَأْيَهَا وَجُنَّ بِأَجْمَعِهِنَّ إِلَى السَّرَطَانِ . فَوَجَدَنَّهُ رَاضِيًا فِي مَوْضِعِهِ .
وَلَيْسَ عِنْدَهُ عِلْمٌ وَلَا خَبْرٌ بِمَا هُنَّ فِيهِ . فَسَلَّمَنَ عَلَيْهِ وَقُلْنَ لَهُ :
يَا سَيِّدَنَا . أَمَا يَنْبِيكَ أَمْرُنَا . وَأَنْتَ حَاكِمُنَا وَرَبِّسُنَا : فَأَجَابَهُنَّ
السَّرَطَانُ قَائِلًا : وَعَلَيْكُنَّ السَّلَامُ . مَا الَّذِي يَكُنَّ . وَمَا تُرَدْنَ :
فَقَصَصْنَ عَلَيْهِ قِصَّتَهُنَّ وَمَا دَهَاهُنَّ مِنْ أَمْرِ نَقْصِ الْمَاءِ وَإِنَّهُ مَتَى
نَشَفَ حَصَلَ لَهُنَّ الْهَلَاكُ . ثُمَّ قُلْنَ لَهُ : وَقَدْ جِئْنَاكَ مُنْتَظِرَاتٍ رَأَيْكَ
وَمَا يَكُونُ فِيهِ النُّجَاةُ . لِأَنَّكَ كَبِيرُنَا وَأَعْرَفُنَا : فَمِنْدَ ذَلِكَ أَطْرَقَ

رَأْسُهُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ : لَا شَكَّ أَنَّ عِنْدَكَ نَفْصَ قَمَلٍ لِيَأْسُكَ مِنْ
رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَكَفَالَتِهِ بِأَرْزَاقِ خَلَائِقِهِ جَمِيعًا . أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ
تَعَالَى سُبْحَانَهُ يَرْزُقُ عِبَادَهُ بِغَيْرِ حِسَابٍ . وَقَدَّرَ أَرْزَاقَهُمْ قَبْلَ أَنْ
يَخْلُقَ شَيْئًا مِنَ الْأَشْيَاءِ . وَجَعَلَ لِكُلِّ شَخْصٍ عُمْرًا مَحْدُودًا وَرِزْقًا
مَقْشُومًا بِقُدْرَتِهِ الْإِلَهِيَّةِ . فَكَيْفَ نَحْمِلُ هَمَّ شَيْءٍ هُوَ فِي الْغَيْبِ
مَسْطُورٌ . وَالرَّأْيُ عِنْدِي أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحْسَنَ مِنَ الطَّلَبِ مِنَ
اللَّهِ تَعَالَى . فَيَنْبَغِي أَنْ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا يُصَلِّحُ سَرِيرَتَهُ مَعَ رَبِّهِ فِي سِرِّهِ
وَعَلَانِيَتِهِ . وَيَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُجَازِنَنَا وَيَنْفُذَنَا مِنَ الشَّدَائِدِ . لِأَنَّ اللَّهَ
تَعَالَى لَا يُخَيِّبُ رَجَاءً مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ . وَلَا يَرُدُّ طَلَبَ مَنْ تَوَسَّلَ
إِلَيْهِ فَإِذَا أَعْجَلْنَا أَحْوَالَنَا اسْتَقَامَتْ أُمُورُنَا وَحَصَلَ لَنَا كُلُّ خَيْرٍ
وَنِعْمَةٍ . وَإِذَا جَاءَ الشَّتَاءُ وَعَمَرَ أَرْضُنَا بِدُعَاءِ صَالِحِنَا فَلَا يَهْدِمُ الْخَيْرَ
الَّذِي بَنَاهُ . فَالرَّأْيُ أَنْ نَصْبِرَ وَنَنْتَظِرَ مَا يَفْعَلُهُ اللَّهُ بِنَا . فَإِنْ كَانَ
يَحْصُلُ لَنَا مَوْتُ عَلَى الْمَادَةِ اسْتَرْحَنَّا . وَإِنْ كَانَ يَحْصُلُ لَنَا مَا يُوجِبُ
الْهَرَبَ هَرَبْنَا وَرَحَلْنَا مِنْ أَرْضِنَا إِلَى حَيْثُ يُرِيدُ اللَّهُ : فَأَجَابَ السَّمَكُ
جَمِيعَهُ مِنْ قَمٍ وَوَاحِدٍ : صَدَقْتَ يَا سَيِّدَنَا . جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا خَيْرًا : وَتَوَجَّهَ
كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى مَوْضِعِهِ . فَمَا مَضَى إِلَّا أَيَّامٌ قَلِيلٌ وَأَتَاهُنَّ اللَّهُ
بِمَطَرٍ شَدِيدٍ حَتَّى مَلَأَ مَحَلَّ الْعَدِيرِ زِيَادَةً عَمَّا كَانَ أَوَّلًا
وَهَكَذَا نَحْنُ أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنَّا يَا لَسِينَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ وَلَدٌ .
وَحَيْثُ مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَيْكَ هَذَا الْوَلَدُ الْمُبَارَكُ . فَسَأَلَ اللَّهُ تَعَالَى

أَنْ يَجْعَلَهُ وَلَدًا مُبَارَكًا. وَأَنْ يُقَرَّ بِهِ عَيْنَكَ وَيَجْعَلَهُ خَلِيفَةً صَالِحَةً.
وَيَرْزُقْنَا مِنْهُ مَا رَزَقْنَا مِنْكَ. فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُخَيِّبُ مَنْ قَصَدَهُ.
وَلَا يَتَّبِعِي لِأَحَدٍ أَنْ يَقْطَعَ رَجَاءَهُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ

ثُمَّ قَامَ الْوَزِيرُ الثَّانِي وَسَلَّمَ عَلَى الْمَلِكِ. فَأَجَابَهُ الْمَلِكُ قَائِلًا :
وَعَلَيْكَ السَّلَامُ : فَقَالَ ذَلِكَ الْوَزِيرُ : إِنَّ الْمَلِكَ لَا يُسَمِّي مَلِكًا إِلَّا
إِذَا أَعْطَى وَعَدَل . وَحَكَّمَ وَأَكْرَمَ وَأَحْسَنَ سِيرَتَهُ مَعَ رَعِيَّتِهِ بِإِقَامَةِ
الشَّرَائِعِ وَالسُّنَنِ الْمُلُوفَةِ بَيْنَ النَّاسِ . وَأَنْصَفَ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ
وَحَقَّنَ دِمَاءَهُمْ وَكَفَّ الْأَذَى عَنْهُمْ وَيَكُونُ مَوْصُوفًا بِعَدَمِ الْغَفْلَةِ
عَنْ قُرْبَانِهِمْ وَإِسْعَافِ أَعْلَانِهِمْ وَأَذْنَاهُمْ وَإِعْطَانِهِمْ الْحَقَّ الْوَاجِبَ
لَهُمْ حَتَّى يَصِيرُوا جَمِيعًا دَاعِينَ لَهُ مُتَمَثِّلِينَ لِأَمْرِهِ . لِأَنَّهُ لَا شَكَّ أَنَّ
الْمَلِكَ الَّذِي بِهِذِهِ الصِّفَةِ مُحْبُوبٌ عِنْدَ الرِّعْيَةِ مُكْتَسِبٌ مِنَ الدُّنْيَا عِلَاقَهَا
وَمِنَ الْآخِرَةِ شَرَفَهَا وَرِضَى خَالِقِهَا . وَنَحْنُ مَعَاشِرُ الْعَبِيدِ مُعْتَرِفُونَ
لَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ بِأَنْ جَمِيعَ مَا وَصَفْنَاهُ عِنْدَكَ . تَحْمَدُ قِيلَ : خَيْرُ الْأُمُورِ أَنْ
يَكُونَ مَلِكُ الرِّعْيَةِ عَادِلًا . وَحَكِيمًا مَاهِرًا . وَعَالِمًا خَيْرًا عَامِلًا بِعِلْمِهِ .
وَنَحْنُ الْآنَ مُتَعِمِّمُونَ بِهِذِهِ السَّعَادَةِ . وَكُنَّا قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ وَقَعْنَا فِي
الْيَأْسِ مِنْ حُصُولِ وَلَدٍ لَكَ يَرِثُ مُلْكَكَ . وَلَكِنَّ اللَّهَ جَلَّ اسْمُهُ لَمْ
يُخَيِّبْ رَجَاءَكَ وَقِيلَ دُعَاؤُكَ لِحَسَنِ ظَنِّكَ بِهِ وَتَسْلِيمِ أَمْرِكَ إِلَيْهِ .
فَنَعْمَ الرَّجَاءُ رَجَاؤُكَ . وَقَدْ صَارَ فِيكَ مَا صَارَ لِلْغُرَابِ وَالْحَيَّةِ : فَقَالَ
الْمَلِكُ : كَيْفَ ذَلِكَ وَمَا حِكَايَةُ الْغُرَابِ وَالْحَيَّةِ

«حكاية الغراب والحية»

فَقَالَ الْوَزِيرُ: أَعْلَمُ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّهُ كَانَ غُرَابٌ سَاكِنًا فِي شَجَرَةٍ
هُوَ وَزَوْجَتُهُ فِي أَرْغَدٍ عَيْشٍ إِلَى أَنْ بَلَغَا زَمَانَ تَفْرِيجِهِمَا. وَكَانَ زَمَنُ
الْقَيْظِ. فَخَرَجَتْ حَيَّةٌ مِنْ وَكْرِهَا. وَقَصَدَتْ تِلْكَ الشَّجَرَةَ فَتَمَلَّقَتْ
يَفْرُوعَهَا إِلَى أَنْ صَعِدَتْ إِلَى عُشِّ الْغُرَابِ وَرَبَضَتْ فِيهِ. وَمَكَثَتْ
مُدَّةَ أَيَّامٍ الصَّيْفِ. وَصَارَ الْغُرَابُ مَطْرُودًا لَا يَجِدُ لَهُ فُرْصَةً وَلَا مَوْضِعًا
يَرْقُدُ فِيهِ. فَلَمَّا انْقَضَتْ أَيَّامُ الْحَرِّ ذَهَبَتِ الْحَيَّةُ إِلَى مَوْضِعِهَا. فَقَالَ
الْغُرَابُ لِزَوْجَتِهِ: نَشْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى الَّذِي نَجَّانَا وَخَلَّصَنَا مِنْ هَذِهِ
الْآفَةِ وَلَوْ كُنَّا حُرْمًا مِنَ الزَّادِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ. لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا
يَقْطَعُ رَجَاءَنَا. فَنَشْكُرُهُ عَلَى مَا مَنَّ عَلَيْنَا مِنَ السَّلَامَةِ وَصِحَّةِ أَبْدَانِنَا.
وَلَيْسَ لَنَا أَتَكَالُ إِلَّا عَلَيْهِ. وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ وَعِشْنَا إِلَى الْعَامِ الْقَابِلِ
نَحْوِضُ اللَّهَ عَلَيْنَا نَتَاجَنَا: فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ تَفْرِيجِهِمَا. خَرَجَتْ الْحَيَّةُ مِنْ
مَوْضِعِهَا وَقَصَدَتْ الشَّجَرَةَ. فَبَيْنَمَا هِيَ مُتَمَلِّئَةٌ بِبَعْضِ أَغْصَانِهَا. وَهِيَ
فَاصِدَةٌ عَشِّ الْغُرَابِ عَلَى الْعَادَةِ. وَإِذَا بِجِدَادٍ قَدْ انْقَضَتْ عَلَيْهَا
وَضَرَبَتْهَا فِي رَأْسِهَا فَخَدَشَتْهَا. فَعِنْدَ ذَلِكَ سَقَطَتِ الْحَيَّةُ عَلَى الْأَرْضِ
مَغْشِيًا عَلَيْهَا. وَطَاعَ عَلَيْهَا الْبَلُّ فَأَكَلَهَا. وَصَارَ الْغُرَابُ مَعَ زَوْجَتِهِ
فِي سَلَامَةٍ وَعِلْمَانَتِهِ. وَفَرَحَا أَوْلَادًا كَثِيرَةً وَشَكَرَا اللَّهَ عَلَى سَلَامَتِهِمَا
وَعَلَى حُصُولِ الْأَوْلَادِ. وَنَحْنُ أَيُّهَا الْمَلِكُ: يَجِبُ عَلَيْنَا شُكْرُهُ عَلَى مَا
أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْنَا وَهَذَا الْمَوْلُودُ الْمُبَارَكُ السَّعِيدُ. بَعْدَ

الْيَاسُ وَقَطِرَ الرَّجَاءُ . أَحْسَنَ اللَّهُ ثَوَابَكَ وَعَاقِبَةَ أَمْرِكَ لَا
 ثُمَّ قَامَ الْوَزِيرُ الثَّلَاثُ وَقَالَ : أَيْبُرُ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْعَادِلُ بِالْخَيْرِ
 الْعَاجِلِ وَالْثَوَابِ الْآجِلِ . لِأَنَّ كُلَّ مَنْ تُحِبُّهُ أَهْلُ الْأَرْضِ تُحِبُّهُ أَهْلُ
 السَّمَاءِ . وَاللَّهُ تَعَالَى قَسَمَ لَكَ الْحُبَّةَ . وَجَعَلَهَا فِي قُلُوبِ أَهْلِ مَمْلَكَتِكَ .
 فَلَهُ الشُّكْرُ وَلَهُ الْحَمْدُ مِنَّا وَمِنْكَ لِكَيْ يَزِيدَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَيْنَا بِكَ .
 وَاعْلَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ . أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَسْتَطِيعُ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى .
 وَأَنَّهُ هُوَ الْمُنْطَبِي . وَأَنَّ كُلَّ خَيْرٍ عِنْدَ شَخْصٍ إِلَيْهِ يَنْتَهِي . فَسَمِ النِّعَمَ
 عَلَى عَيْبِهِ كَمَا يُحِبُّ فَيَنْهَمُ مِنْ أَعْطَاهُ مَوَاهِبَ كَثِيرَةً . وَمِنْهُمْ مَنْ
 شَغَلَهُ بِتَحْصِيلِ الثُّغُوبِ . وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهُ رَئِيسًا . وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهُ
 زَاهِدًا فِي الدُّنْيَا . رَاغِبًا إِلَيْهِ . لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي قَالَ : أَنَا الْأَضَارُ النَّافِعُ .
 أَشْفِي وَأَمْرُضُ . وَأَغْنِي وَأَفْقِرُ . وَأُمِيتُ وَأُحْيِي . وَبِيَدِي كُلُّ شَيْءٍ
 وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ . فَوَاجِبُ عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ شُكْرُهُ . وَأَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ مِنْ
 السُّعْدَاءِ الْأَبْرَارِ . كَمَا قِيلَ : إِنَّ أَسْعَدَ الْأَبْرَارِ مَنْ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ بَيْنَ
 خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . وَفَقِعَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ وَيَشْكُرُهُ عَلَى مَا أَوْفَاهُ .
 وَمَنْ تَعَدَّى وَطَابَ غَيْرَ مَا قَدَّرَ اللَّهُ لَهُ وَعَلَيْهِ يُشْبِهُ حِمَارَ الْوَحْشِ
 وَالْعُغْلَبَ : قَالَ الْمَلِكُ : وَمَا حَدِيثُهُمَا

(حِكَايَةُ حِمَارِ الْوَحْشِ وَالْعُغْلَبِ)

قَالَ الْوَزِيرُ : أَعْلَمَ أَيُّهَا الْمَلِكُ . أَنَّ ثَمَلْبَا كَانَ يُخْرِجُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ
 وَطَنِهِ وَيَسْعَى عَلَى رِزْقِهِ . فَيَنَامُ هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي بَعْضِ الْجِبَالِ :

وَإِذَا بِالنَّهَارِ قَدْ انْقَضَى . وَقَصَدَ الرُّجُوعَ . فَأَجْتَمَعَ عَلَى ثَلَاثٍ رَأَى
لَحْمًا مَاشِيًا . وَصَارَ كُلُّ مِنْهُمَا يَحْكِي لِصَاحِبِهِ حِكَايَتَهُ مَعَ مَا أَفْتَرَسَهُ . فَقَالَ
أَحَدُهُمَا : إِنِّي بِالْأَمْسِ وَقَعْتُ فِي حِمَارٍ وَخَشٍ وَكُنْتُ جَائِعًا . وَكَانَ
لِي ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ مَا أَكَلْتُ . فَقَرِخْتُ بِذَلِكَ وَشَكَرْتُ اللَّهَ تَعَالَى الَّذِي
سَخَّرَهُ لِي . ثُمَّ إِنِّي عَمَدْتُ إِلَى قَلْبِهِ فَأَكَلْتُهُ وَشَبِثْتُ . ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى
وَطَنِي وَمَضَى عَلَيَّ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ لَمْ أَجِدْ شَيْئًا أَكَلُهُ مَعَ ذَلِكَ أَنَا وَشَبَّانَ
إِلَى الْآنَ . فَلَمَّا سَمِعَ الثَّلَبُ الْحِكَايَةَ حَسَدَهُ عَلَى شَبْعَةَ . وَقَالَ فِي
نَفْسِهِ : لَا بُدَّ لِي مِنْ أَكْلِ قَابِ حِمَارِ الْوَحْشِ . فَتَرَكَ الْأَكْلَ أَيَّامًا
حَتَّى أَنْهَزَلَ وَأَشْرَفَ عَلَى الْمَوْتِ وَقَصَرَ سَعْيُهُ وَاجْتِهَادُهُ وَرَبَضَ فِي
وَطْنِهِ . فَبَيْنَمَا هُوَ فِي وَطْنِهِ ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ . وَإِذَا بِصَيَّادَيْنِ
مَاشِيَيْنِ قَاصِدَيْنِ الصَّيْدَ قَوَّعَ لَهُمَا حِمَارٌ وَخَشٍ . فَأَقَامَا النَّهَارَ كُلَّهُ فِي
أَتْرِهِ طَرْدًا . ثُمَّ إِنَّ بَعْضَهُمَا رَمَاهُ بِسَهْمٍ مُشَعَّبٍ فَأَصَابَهُ وَدَخَلَ جَوْفَهُ
وَاتَّصَلَ بِقَلْبِهِ فَفَتَاهُ مُبَالَةً وَكَرَى الثَّلَبُ الْمَذْكُورَ . فَأَذْرَكَهُ الْيَأْدَانِ
مُوَاجِدَاهُ مَيِّتًا . فَأَخْرَجَا السَّهْمَ الَّذِي أَصَابَهُ فِي قَلْبِهِ . فَلَمْ يُخْرِجْ إِلَّا
الْعُودَ . وَبَقِيَ السَّهْمُ مُشَعَّبًا فِي بَطْنِ حِمَارِ الْوَحْشِ فَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ
خَرَجَ الثَّلَبُ مِنْ وَطْنِهِ وَهُوَ يَتَصَبَّرُ مِنَ الضُّعْفِ وَالْجُوعِ فَرَأَى
حِمَارَ الْوَحْشِ عَلَى بَابِهِ طَارِحًا . فَقَرِحَ قَرِحًا شَدِيدًا حَتَّى كَادَ أَنْ
يَطِيرَ مِنَ الْقَرِحِ . فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَسِّرُ لِي شَهْوَتِي مِنْ غَيْرِ تَعَبٍ
لَا إِنِّي كُنْتُ لَا أَمَلُ أَنِّي أُصِيبُ حِمَارَ وَحْشٍ وَلَا غَيْرَهُ . وَلَمَّا لَمْ يَلَمْزِ

أَوْقَعَ هَذَا وَسَاقَهُ إِلَيَّ فِي مَوْضِعِي : ثُمَّ وَثَبَ عَلَيْهِ وَشَقَّ بَطْنَهُ وَأَدْخَلَ
رَأْسَهُ . وَصَارَ يَجُولُ بِهِ فِي أَمْعَائِهِ إِلَى أَنْ وَجَدَ الْقَلْبَ فَالْتَمَسَهُ
بِهِ وَابْتَلَعَهُ : فَلَمَّا صَارَ دَاخِلَ حَلْقِهِ أَشْتَبَكَ شُعْبُ السَّهْمِ فِي عَظْمِ
رَقَبَتِهِ وَلَمْ يَمْدِدْ عَلَى إِدْخَالِهِ فِي بَطْنِهِ وَلَا عَلَى إِخْرَاجِهِ مِنْ حَلْقِهِ
وَأَقْنَنَ بِالْهَلَاكِ . وَقَالَ حَتَّى لَا يَنْبَغِي لَخُلُوقٍ أَنْ يَطْلُبَ لِنَفْسِهِ فَوْقَ
مَا قَسَمَهُ اللَّهُ لَهُ . لِأَنِّي لَوَقَّيْتُ بِمَا قَسَمَهُ اللَّهُ لِي لَمَّا صِرْتُ إِلَى
الْهَلَاكِ

فَلِهَذَا أَيُّهَا الْمَلِكُ . يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَرْضَى بِمَا قَسَمَهُ اللَّهُ لَهُ
وَيَشْكُرَ نِعْمَهُ عَلَيْهِ وَلَا يَقْطَعَ رَجَاءَهُ مِنْ مَوْلَاهُ . وَهَذَا أَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ
بِحُسْنِ نِيَّتِكَ وَإِسْدَادِ مَعْرِفِكَ رِزْقَكَ اللَّهُ وَلَدًا بَعْدَ الْيَأْسِ . فَسَأَلُ
اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَرْزُقَهُ عُمَرَا طَوِيلًا وَسَعَادَةً دَائِمَةً . وَيَجْعَلَهُ خَافًا مُبَارَكًا
مُوفِيًا بِعَهْدِكَ مِنْ بَعْدِكَ بَعْدَ طَوْلِ عُمَرَكَ

ثُمَّ قَامَ الْوَزِيرُ الرَّابِعُ وَقَالَ : إِنَّ الْمَلِكَ إِذَا كَانَ فِيمَا عَالِمًا
بِأَبْوَابِ الْحِكْمَةِ وَالْأَحْكَامِ وَالسِّيَاسَةِ . مَعَ صَالِحِ النَّيَّةِ وَالْعَدْلِ فِيهِ
الرَّعِيَّةِ وَإِكْرَامِ مَنْ يَجِبُ إِكْرَامُهُ . وَتَوْقِيرِ مَنْ يَجِبُ تَوْقِيرُهُ . وَالْعَفْوِ
عِنْدَ الْقُدْرَةِ فِيمَا لَا يَدُ مِنْهُ . وَرِعَايَةِ الرُّؤَسَاءِ وَالرُّؤُوسِينَ . وَالْتِقَافِ
عَنْهُمْ وَالْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ . وَصَوْنِ دِمَائِهِمْ وَالْوَفَاءِ بِهِمْ . كَانَ حَقِيقًا
بِالسَّعَادَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْآخِرَوِيَّةِ . فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُعْزِدُهُمْ وَيُعِينُهُمْ
عَلَى ثَبَاتِ مُلْكِهِ . وَنُصْرَتِهِ عَلَى أَعْدَائِهِ وَبُلُوغِ مَأْمُولِهِ مَعَ زِيَادَةِ نِعْمَتِهِ

اللَّهِ عَلَيْهِ وَتَوْفِيقِهِ لِسُكْرِهِ وَأَنْفُوزِ بَعَائِيَتِهِ . وَإِنَّ الْمَلِكَ إِذَا كَانَ
بِخِلَافِ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَمْ يَزَلْ فِي مَصَائِبَ وَبَلَايَا هُوَ وَأَهْلُ مَمْلَكَتِهِ .
لِكُونَ جَوْرِهِ عَلَى الْغَرِيبِ وَالْقَرِيبِ . وَيَصِيرُ فِيهِ مَا صَارَ لِابْنِ الْمَلِكِ
السَّاحِجِ : فَقَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

(حكاية ابن الملك الساجح)

فَقَالَ الْوَزِيرُ : أَعْلَمُ أَيُّهَا الْمَلِكُ . أَنَّهُ كَانَ فِي بِلَادِ الْغَرْبِ مَلِكٌ
حَازٌ فِي حُكْمِهِ ظُلْمٌ غَاشِمٌ عَافٍ مُضِيعٌ لِرِعَايَةِ رَعِيَّتِهِ وَجَمِيعٍ مَنْ
يَدْخُلُ فِي مَمْلَكَتِهِ فَكَانَ لَا يَدْخُلُ فِي مَمْلَكَتِهِ أَحَدٌ إِلَّا وَتَأْخُذُ عَمَالُهُ
مِنْهُ أَرْبَعَةَ أَخْمَاسِ مَالِهِ وَيُيْثُونَ لَهُ الْخُمْسَ لَا غَيْرَ . فَقَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ
كَانَ لَهُ وَلَدٌ سَعِيدٌ مُوَفَّقٌ . فَلَمَّا رَأَى أَحْوَالَ الدُّنْيَا غَيْرَ مُسْتَقِيمَةٍ تَرَكَهَا
وَخَرَجَ سَاحِجًا عَائِدًا لِلَّهِ تَعَالَى مِنْ صِغَرِهِ وَرَفَضَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَخَرَجَ
فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى يَسْرَحُ فِي الْبَرَارِيِّ وَالْقِفَارِ وَيَدْخُلُ الْمَدْنَ . فَبَقِيَ
بَعْضُ الْأَبَامِ دَخَلَ تِلْكَ الْمَدِينَةَ . فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى الْحُفَاطِينَ أَخَذُوهُ
وَفَتَّشُوهُ فَلَمْ يَرَوْا مَعَهُ شَيْئًا سِوَى ثَوْبَيْنِ أَحَدُهُمَا جَدِيدٌ وَالْآخَرُ عَتِيقٌ .
فَنَزَعُوا مِنْهُ الْجَدِيدَ وَتَرَكُوا لَهُ الْعَتِيقَ بَعْدَ الْإِهَانَةِ وَالْتِخْفِيرِ . فَصَارَ هُوَ
يَشْكُو وَيَقُولُ : وَيَحْكُمُ أَيُّهَا الظَّالِمُونَ . أَنَا رَجُلٌ فَقِيرٌ وَسَاحِجٌ وَمَا عَسَى
أَنْ يَنْفَعَكُمْ مِنْ هَذَا الثَّوْبِ . وَإِذَا لَمْ تُعْطُوهُ لِي دَهَبْتُ لِلْمَلِكِ وَشَكَّوْكُمْ
إِلَيْهِ : فَأَجَابُوهُ قَائِلِينَ : إِنَّا فَعَلْنَا ذَلِكَ بِأَمْرِ الْمَلِكِ . فَمَا يَدَا لَكَ أَنْ
تَفْعَلَهُ فَأَفْعَلَهُ : فَصَارَ السَّاحِجُ يَمْشِي إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى بَلَاطِ الْمَلِكِ وَأَرَادَ

الدُّخُولَ فَنَعَهُ الْعُجْبَابُ فَرَجَّ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: مَالِي إِلَّا أَنِّي أَرُصُّهُ
 حَتَّى يُخْرَجَ وَأَشْكُو إِلَيْهِ حَالِي وَمَا أَصَابَنِي: فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ
 يَنْتَظِرُ خُرُوجَ أَمْلِكٍ إِذْ سَمِعَ أَحَدَ الْأَجْدَادِ يُخْبِرُهُ عَنْهُ. فَأَخَذَ يَتَقَدَّمُ ^{سباسب}
 قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى وَقَفَ قُبَالَهَ الْبَابِ. فَمَا شَمَرَ إِلَّا وَالْمَلِكُ خَارِجٌ فَمَارَصَهُ ^{لوحا}
 السَّامِعُ وَدَعَا لَهُ بِالْتَّمَرِ. وَأَخْبَرَهُ بِمَا وَقَعَ لَهُ مِنَ الْمُحَافِظِينَ وَشَكَا إِلَيْهِ
 حَالَهُ. وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ اللَّهِ رَفِضَ الدُّنْيَا وَخَرَجَ طَالِبًا ^{وريش}
 رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى فَصَارَ سَانِحًا فِي الْأَرْضِ. وَكُلُّ مَنْ وَقَعَ عَلَيْهِ مِنْ ^{هنا}
 النَّاسِ أَحْسَنَ إِلَيْهِ بِمَا أَمَكْنَهُ. وَصَارَ يَدْخُلُ كُلَّ مَدِينَةٍ وَكُلَّ قَرْيَةٍ ^{سروار}
 وَهُوَ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ. ثُمَّ قَالَ: فَلَمَّا دَخَلَتْ هَذِهِ الْمَدِينَةُ تَرَجَّيْتُ أَنْ ^{ميدان}
 يَفْعَلَ بِي أَهْلُهَا مِثْلَ مَا يُفْعَلُ بغيرِي مِنَ السَّامِعِينَ. فَمَارَصَنِي
 أَتْبَاعُكَ وَزُرْعُوا أَحَدَ أَتَوَائِي وَأَلْفُوْنِي ضَرْبًا. فَأَنْظُرْ فِي شَأْنِي وَخُذْ ^{تايد}
 بِيَدِي وَحَلِّصْ لِي تَوِي. وَأَنَا لَا أَقِيمُ بِهِذِهِ الْمَدِينَةِ سَاعَةً وَاحِدَةً: ^{بجهد}
 فَأَجَابَهُ الْمَلِكُ الظَّالِمُ قَائِلًا: مَنْ أَشَارَ عَلَيْكَ بِدُخُولِكَ هَذِهِ الْمَدِينَةِ.
 وَأَنْتَ غَيْرُ عَالِمٍ بِمَا يَفْعَلُ مَالِكُهَا: فَقَالَ: بَعْدَ أَنْ أَخَذَ تَوِي أَفْعَلُ
 بِي مُرَادَكَ ^{مر}

فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ الظَّالِمُ مِنَ السَّامِعِ هَذَا الْكَلَامَ. حَصَلَ عِنْدَهُ
 تَغْيِيرُ مَزَاجٍ فَقَالَ: أَيُّهَا الْجَاهِلُ زُرْعَا عَنْكَ ثَوْبَكَ لِكَيْ تَذِلَّ وَحَيْثُ
 وَقَعَ مِنْكَ مِثْلُ هَذَا الصِّبَاحِ عِنْدِي. فَأَنَا أَتَزِعُ نَفْسَكَ مِنْكَ: ثُمَّ أَمَرَ
 بِسُجْنِهِ. فَلَمَّا دَخَلَ السِّجْنَ جَعَلَ يَنْدُمُ عَلَى مَا وَقَعَ مِنْهُ مِنَ الْجَوَابِ ^{بجهد}

وَعَفَّفَ نَفْسَهُ حَيْثُ لَمْ تَتْرُكْ ذَلِكَ وَيَفُوزَ بِرُوحِهِ . فَلَمَّا كَانَ نِصْفُ
 اللَّيْلِ قَامَ عَلَى قَدَمَيْهِ وَصَلَّى صَلَاةَ مُطَوَّلَةٍ . وَقَالَ : يَا اللَّهُ . إِنَّكَ
 أَنْتَ الْحَكَمُ الْعَدْلُ . تَعْلَمُ بِحَالِي وَمَا أَنْطَوَى عَلَيْهِ أَمْرِي مَعَ هَذَا
 الْمَلِكِ الْجَائِرِ . وَأَنَا عَبْدُكَ الْمَظْلُومُ أَسْأَلُكَ مِنْ فَيْضِ رَحْمَتِكَ أَنْ
تَنْقُذَنِي مِنْ يَدِ هَذَا الْمَلِكِ الظَّالِمِ وَتُحِلَّ بِهِ قَتْلَكَ لِأَنَّكَ لَا تَغْفُلُ
 عَنْ ظُلْمِ كُلِّ ظَالِمٍ . فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ ظَالِمِي فَأَحِلِّ نَفْسَكَ
 عَلَيْهِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَأُزِلْ بِهِ عَذَابَكَ لِأَنَّ حُكْمَكَ عَدْلٌ وَأَنْتَ غِيَاثُ
 كُلِّ مَظْلُومٍ (١) . يَا مَنْ لَهُ الْقُدْرَةُ وَالْعِظَمَةُ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ : فَلَمَّا
 سَمِعَ السَّجَّانُ دُعَاءَ هَذَا الْمُسْكِينِ صَارَ جَمِيعُ مَا فِيهِ مِنَ الْأَعْضَاءِ
 مَرْعُوبًا . فَيَنِمَّا هُوَ كَذَلِكَ وَإِذَا بَدَأَ اتَّقَدَّتْ فِي النَّصْرِ الَّذِي فِيهِ
 الْمَلِكُ . وَأَحْرَقَتْ جَمِيعَ مَا فِيهِ حَتَّى بَابَ السِّجْنِ وَلَمْ يَخْلُصْ سِوَى
 السَّجَّانِ وَالسَّامِخِ فَأَنْطَلَقَ السَّامِخُ وَسَارَ هُوَ وَالسَّجَّانُ . وَلَمْ يَزَالَا
 سَارِبِينَ حَتَّى وَصَلَا إِلَى غَيْرِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ . وَأَمَّا مَدِينَةُ الْمَلِكِ الذَّالِمِ
 فَإِنَّهَا احْتَرَقَتْ عَنْ آخِرِهَا بِسَبَبِ جَوْرِ مَلِكِهَا . وَأَمَّا نَحْنُ أَيُّهَا الْمَلِكُ
 السَّعِيدُ . فَمَا نَسِي وَنُضِجُ إِلَّا وَنَحْنُ دَاعُونَ وَشَاكِرُونَ اللَّهُ تَعَالَى

(١) هذه طلبة مظلوم لم يستر بنور تعليم المسيح الغافر لاعدايه . فن آمن بهذه المحكمة
 الالهية والحدوة الازلية هذا حذوه تعالى معتذرا السوء غافرا لمن اساء اليه مستديرا بموجب
 كلام الرب القائل : احووا اعداءكم واحسنوا الى من ييغضكم وصلوا على من يطردهم ويظلمكم
 لكيما تكونوا بني ابيكم الذي في السموات الذي يشرق شمسهُ على الاخيار والاشرار ويمطر
 على الصديقيين والظالمين (متى : ٥ : ٤٤ و ٤٥)

عَلَى فَضْلِهِ بِوُجُودِكَ مُطْمَئِنِّينَ بِعَدْلِكَ وَحُسْنِ سَيْرِكَ. وَكَانَ عِنْدَنَا
 غَمٌّ كَثِيرٌ لِعَدَمِ وَلَدِكَ يَرِثُ مُلْكَكَ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَصِيرَ عَلَيْنَا
 مُلْكٌ غَيْرُكَ مِنْ بَعْدِكَ. وَالْآنَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ بِكَرَمِهِ عَلَيْنَا وَأَزَالَ
 عَنَّا الْغَمَّ وَأَتَانَا بِالْسُرُورِ بِوُجُودِ هَذَا الْغَلَامِ الْمُبَارَكِ. فَسَأَلُ اللَّهُ
 تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهُ خَلِيفَةً صَالِحَةً وَيَرْزُقَهُ الْغِزَّ وَالسَّعَادَةَ الْبَاقِيَةَ
 وَالْخَيْرَ الدَّائِمَ ۝

٥

ثُمَّ قَامَ الْوَزِيرُ الْخَامِسُ وَقَالَ: تَبَارَكَ اللَّهُ الْعَظِيمُ مَا نَحْضُ الْعَطَايَا
 الصَّالِحَةَ وَالْمَوَاهِبَ السَّيِّئَةَ. وَبَعْدُ فَإِنَّا نَحْقُقُنَا أَنَّ اللَّهَ يَنْعِمُ عَلَى مَنْ
 يَشْكُرُهُ وَيُحَافِظُ عَلَى دِينِهِ. وَأَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ السَّعِيدُ الْمَوْصُوفُ
 بِهَذِهِ الْمَنَاقِبِ الْجَلِيلَةِ وَالْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ بَيْنَ رَعِيَّتِكَ بِمَا يُرْضِي اللَّهُ
 تَعَالَى. فَلَأَجَلَ ذَلِكَ أَعْلَى اللَّهُ شَأْنَكَ وَأَسْعَدَ أَيَّامَكَ وَوَهَبَ لَكَ
 هَذِهِ الْعَطِيَّةَ الصَّالِحَةَ الَّتِي هِيَ هَذَا الْوَلَدُ السَّعِيدُ بَعْدَ الْيَأْسِ. وَصَارَ
 لَنَا بِذَلِكَ الْفَرَحِ الدَّائِمِ وَالسُّرُورِ الَّذِي لَا يَنْقُطُ. لَأَنَّنَا قَبْلَ ذَلِكَ
 كُنَّا فِي هَمٍّ شَدِيدٍ وَغَمٍّ زَائِدٍ بِسَبَبِ عَدَمِ وَلَدِكَ. وَفِي أَفْكَارٍ
 فِيمَا أَنْتَ مُنْطَبِطٌ عَلَيْهِ مِنْ عَدْلِكَ وَرَأْفَتِكَ بِنَا. وَخَوْفًا أَنْ يَضِيَّ اللَّهُ
 عَلَيْكَ بِالْمَوْتِ. وَلَمْ يَكُنْ لَكَ مَنْ يَخْلُقُكَ وَيَرِثُ الْمُلْكَ مِنْ بَعْدِكَ.
 فَيُخَلِّفُ رَأْيُنَا وَيَقَعُ بَيْنَنَا الشَّقَاقُ وَيَصِيرَ بَيْنَنَا مَا صَارَ لِلْغُرَابِ:
 وَقَالَ الْمَلِكُ: وَمَا حِكَايَةُ الْغُرَابِ

١٣١

عذارتي

هـ

(حكاية الغراب)

فَأَجَابَهُ الْوَزِيرُ قَائِلًا: أَعْلَمُ أَيُّهَا الْمَلِكُ السَّعِيدُ. أَنَّهُ كَانَ فِي
بَعْضِ الْبَرَارِيِّ وَادٍ مُتَّسِعٍ. وَكَانَ بِهِ أَنْهَارٌ وَأَشْجَارٌ وَأَنْهَارٌ وَبِهِ أَطْيَارٌ
تُسَبِّحُ اللَّهَ الْوَاحِدَ الْهَمَّامَ. خَالِقَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ. وَكَانَ مِنْ جَمَلَةِ
الطُّيُورِ غُرَبَانٌ. وَكَانَتْ فِي أَطْيَبِ عَيْشٍ. وَكَانَ الْمَقْدَمَ عَلَيْهِنَّ
وَالْحَاكِمَ بَيْنَهُنَّ غُرَابٌ رَوُفٌ بِهِنَّ شَفُوقٌ عَلَيْهِنَّ وَكَانَتْ مَعَهُ فِي
أَمَانٍ وَطَمَ أُنَيْنَةٍ. وَمِنْ حُسْنِ تَصَرُّفِهِنَّ فِيمَا بَيْنَهُنَّ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَ
الطُّيُورِ يَقْدِرُ عَلَيْهَا. فَاتَّفَقَ أَنْ مَقْدَمَهُنَّ تُوْفِّيَ وَجَاءَهُ الْأَمْرُ بِالْمُخْتَوَمِ
عَلَى سَائِرِ الْخَلَاقِ فَحَزَنَتْ عَلَيْهِ حَزَنًا شَدِيدًا. وَمِنْ زِيَادَةِ حُزْنِهِنَّ
أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِيهِنَّ أَحَدٌ مِثْلُهُ يَوْمَ مَقَامِهِ. فَاجْتَمَعْنَ جَمِيعًا وَاتَّعَرَّنَ
فِيمَا بَيْنَهُنَّ عَلَى مَنْ يَقْرُمُ عَلَيْهِنَّ بِحَيْثُ يَكُونُ صَالِحًا. فَطَائِفَةٌ مِنْهُنَّ
اخْتَرْنَ غُرَابًا. وَقُلْنَ إِنَّ هَذَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ مَلِكًا عَلَيْنَا. وَآخَرُ
اِخْتَلَفْنَ فِيهِ. وَلَمْ يَرِدْنَهُ فَوْقَ بَيْنَهُنَّ الشَّقَاقُ وَالْجِدَالُ وَعَظُمَتِ
الْفِتْنَةُ بَيْنَهُنَّ. وَبَعْدَ ذَلِكَ حَصَلَ بَيْنَهُمَا تَوَافُقٌ. وَتَعَاهَدْنَ عَلَى أَنْ
يَمْنَعَنَّ تِلْكَ الْأَيْلَةَ. وَلَا يَبْكُرَ أَحَدٌ إِلَى السُّرُوحِ فِي طَلَبِ الْمَعِيشَةِ غَدًا.
بَلْ يَصْبِرْنَ جَمِيعًا إِلَى الصَّبَاحِ. وَعِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ يَكُنَّ مُجْتَمِعَاتٍ فِي
مَوْضِعٍ وَاحِدٍ. ثُمَّ يَنْظُرْنَ كُلُّ طَائِرٍ يَسْبِقُ فِي الطَّيْرِ. وَقُلْنَ إِنَّهُ
هُوَ الَّذِي يَكُونُ مَأْمُورًا مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا وَمُخْتَارًا عِنْدَنَا لَمَلِكٍ. فَتَجَمَّلَهُ
مَلِكًا عَلَيْنَا وَنَوَّاهُ أَمْرَنَا. فَرَضِينَ كُلُّهُنَّ بِذَلِكَ وَعَاهَدْنَ بَعْضُهُنَّ

بَعْضًا وَاتَّقِنَ عَلَى هَذَا الْعَهْدِ . فَيُنَا هِيَ عَلَى ذَلِكَ الْحَالِ إِذْ طَامَ بَارُ .
 فَقُلْنَا لَهُ : يَا أَبَا الْخَيْرِ . نَحْنُ اخْتَرْنَاكَ وَإِلَيْنَا لِنَنْظُرَ فِي أَمْرِنَا :
 فَرَضِي الْبَارُ بِمَا قُلْتَهُ . وَقَالَ لَهُنَّ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى سَيَكُونُ أَكْبَرُ
 مِنِّي خَيْرٌ عَظِيمٌ : ثُمَّ إِنَّهُنَّ بَعْدَ مَا وَلَّيْنَهُ عَلَيْهِنَّ . صَارَ كُلُّ يَوْمٍ إِذَا
 سَرَحَ وَسَرَحَ الْفَرْبَانُ يَسْتَفِرِدُ بِأَحَدِهِنَّ وَيَضْرِبُهُ وَيَأْكُلُ دِمَاعَهُ
 وَعَيْنِيهِ وَيَتْرَكَ الْبَاقِي . وَلَمْ يَزَلْ يَصِلُ مَعَهُنَّ هَكَذَا حَتَّى فَطِنَتْ بِهِ
 فَرَأَتْ غَايِبَهَا قَدْ هَلَكَ فَأَيَقَنَتْ بِالْهَلَاكِ . وَقَالَ بَعْضُهُنَّ لِبَعْضٍ :
 كَيْفَ نَصْنَعُ وَقَدْ هَلَكَ أَكْثَرُنَا . وَمَا أَنْتَبَهْنَا حَتَّى هَلَكَ أَكْثَرُنَا .
 فَيَنْبَغِي أَنْ نَحْفَظَ عَلَى أَنْفُسِنَا : فَلَمَّا أَصْبَحَتْ نَفَرَتْ مِنْهُ وَتَفَرَّقَتْ
 مِنْ حَرَالِهِ . وَنَحْنُ الْآنَ نَخْشَى أَنْ يَقَعَ لَنَا مِثْلُ هَذَا وَيَصِيرَ عَلَيْنَا
 مَلَكٌ غَيْرُكَ . وَلَكِنْ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا بِهَذِهِ النِّعْمَةِ وَوَجَّهَكَ إِلَيْنَا .
 وَنَحْنُ وَاثِقُونَ الْآنَ بِالصَّلَاحِ وَجَمْعِ الشُّمْلِ . وَالْأَمْنِ وَالْأَمَانَةِ
 وَالسَّلَامَةِ فِي الْوَطَنِ . فَتَبَارَكَ اللَّهُ الْعَظِيمُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ وَالنَّشَاءُ
 الْجَمِيلُ . وَبَارَكَ اللَّهُ لِلْمَلِكِ وَلَنَا مَعَشَرَ الرِّعْيَةِ وَرَزَقًا وَإِيَّاهُ السَّعَادَةُ
 الْعُظْمَى . وَجَعَلَهُ سَعِيدَ الْوَقْتِ قَائِمَ الْجِدِّ .

ثُمَّ قَامَ الْوَزِيرُ السَّادِسُ وَقَالَ : هُنَاكَ اللَّهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ بِأَحْسَنِ
 الْهَنَاءِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . فَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِ الْمُتَقَدِّمِينَ أَنَّ مَنْ
 صَلَّى وَصَامَ وَقَامَ بِحُقُوقِ الْوَالِدَيْنِ وَعَدَلَ فِي حُكْمِهِ لِقِي رَبِّهِ وَهُوَ
 رَاضٍ عَنْهُ . وَقَدْ وُلِّيتَ عَلَيْنَا فَعَدَلْتَ . فَكُنْتَ فِي ذَلِكَ سَعِيدَ

الْحَرَكَاتِ . فَسَأَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُخْرِجَ ثَوَابَكَ وَيَأْجُرَكَ عَلَى إِحْسَانِكَ .
 وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قَالَ هَذَا الْعَالَمُ فِيمَا نَتَخَوَّفُ مِنْ حِرْمَانِ حَظِّنَا بَعْدَ
 الْمَلِكِ أَوْ بِوُجُودِ مَلِكٍ آخَرَ لَا يَكُونُ نَظِيرَهُ . فَيَعْظُمُ اخْتِلَافُنَا بَعْدَهُ
 وَيَقَعُ الْبَلَاءُ فِي الْأَخْتِلَافِ . وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا ذَكَرْنَا فَالْوَاجِبُ
 عَلَيْنَا أَنْ نَنْتَهِلَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالْدُّعَاءِ . لَعَلَّهُ يَهَبُ لِمَلِكٍ وَلَدًا سَعِيدًا .
 وَيَجْعَلُهُ وَارِثًا لِلْمَلِكِ بَعْدَهُ . ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ رُبَّمَا كَانَ الَّذِي يُحِبُّهُ الْإِنْسَانُ
 مِنَ الدُّنْيَا وَيَسْتَهْيِيهِ مَجْهُولُ الْعَاقِبَةِ لَهُ . وَحَيْثُ لَا يَنْبَغِي الْإِنْسَانُ أَنْ
 يَسْأَلَ رَبَّهُ أَمْرًا لَا يَذَرِي عَاقِبَتَهُ . لِأَنَّهُ رُبَّمَا كَانَ ضَرَرُ ذَلِكَ أَقْرَبَ
 إِلَيْهِ مِنْ نَفْعِهِ . فَيَكُونُ هَلَاكُهُ فِي مَطْلُوبِهِ وَيُصِيبُهُ مِثْلُ مَا أَصَابَ
 الْحَاوِيَّ وَأَوْلَادَهُ وَزَوْجَتَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ : قَالَ الْمَلِكُ : وَمَا حِكَايَةُ الْحَاوِي
 وَأَوْلَادِهِ وَزَوْجَتِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ

(حِكَايَةُ الْحَاوِي وَأَوْلَادِهِ وَزَوْجَتِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ)

قَالَ الْوَزِيرُ : أَعْلَمُ أَيُّهَا الْمَلِكُ . أَنَّهُ كَانَ إِنْسَانٌ حَاوِيًا وَكَانَ
 يُرَبِّي الْحَيَّاتِ . وَهَذِهِ كَانَتْ صَنْعَتُهُ . وَكَانَ عِنْدَهُ سَلَّةٌ كَبِيرَةٌ . فِيهَا
 ثَلَاثُ حَيَّاتٍ لَمْ يَعْلَمْ بِهَا أَهْلُ بَيْتِهِ . وَكَانَ كُلَّ يَوْمٍ يُخْرِجُ يَدَوْرُ
 بِهَا فِي الْمَدِينَةِ . وَيَتَسَبَّبُ بِهَا لِتَحْصِيلِ رِزْقِهِ وَرِزْقِ عِيَالِهِ . وَدَجَعُ
 عِنْدَ الْمَسَاءِ فِي بَيْتِهِ وَيَضَعُ الْأَحْيَاءَ فِي السَّلَّةِ سِرًّا . وَعِنْدَ الصَّبَاحِ
 يَأْخُذُهَا وَيَدَوْرُ بِهَا فِي الْمَدِينَةِ . فَكَانَ هَذَا دِرَاجَتُهُ عَلَى الدَّوَامِ . وَلَمْ يَعْلَمْ
 أَهْلُ بَيْتِهِ بِمَا فِي السَّلَّةِ أَفَافَتْ فَقَالَ أَنَّهُ لَمَّا عَادَ الْحَاوِي إِلَى بَيْتِهِ عَلَى

جَرِي عَادَتِهِ . سَأَلَتْهُ زَوْجَتُهُ . وَقَالَتْ لَهُ : مَا فِي هَذِهِ السَّلَّةِ : فَقَالَ لَهَا
الْحَاوِي : وَمَا مُرَادُكِ مِنْهَا . أَلَيْسَ الرَّادُّ عِنْدَكُمْ كَثِيرًا زَانِدًا . فَأَقْبَعِي بِنَا
قَسَمَ اللَّهُ لَكَ . وَلَا تَسْأَلِي عَنْ غَيْرِهِ : فَسَكَتَتْ عَنْهُ تِلْكَ الْمَرَّةَ . وَصَارَتْ
تَقُولُ فِي نَفْسِهَا : لَا بُدَّ لِي أَنْ أَفْتَشَ هَذِهِ السَّلَّةَ وَأَعْرِفَ مَا فِيهَا .
وَصَمَّتْ عَلَى ذَلِكَ وَأَعْلَمَتْ أَوْلَادَهَا وَأَكْثَرَتْ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسْأَلُوا
وَالِدَهُمْ عَنْ السَّلَّةِ وَيُلْحِقُوا عَلَيْهِ فِي السُّؤَالِ لِأَجْلِ أَنْ يُخْبِرَهُمْ . فَعِنْدَ
ذَلِكَ تَلَقَّى خَاطِرُ الْأَوْلَادِ بَانَ فِيهَا شَيْئًا يُؤْكَلُ . فَصَارَ الْأَوْلَادُ كُلُّ
يَوْمٍ يَطْلُبُونَ مِنْ آبِيهِمْ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا فِي السَّلَّةِ . وَكَانَ أَبُوهُمْ
يُدَافِعُهُمْ وَيُرَاضِيهِمْ وَيَنَهَاهُمْ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ . فَمَضَتْ لَهُمْ مُدَّةٌ وَهُمْ
عَلَى ذَلِكَ الْحَالِ . وَأُمُّهُمْ تَحْثُمُهُمْ عَلَى ذَلِكَ . ثُمَّ اتَّفَقُوا مَعَهَا عَلَى أَنَّهُمْ لَا
يَدُقُّونَ طَعَامًا وَلَا يَشْرَبُونَ شَرَابًا لِوَالِدِهِمْ حَتَّى يُلَبِّغَهُمْ طَلَبَتَهُمْ .
وَيَفْتَحَ لَهُمُ السَّلَّةَ . فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ ذَاتَ لَيْلَةٍ إِذْ حَضَرَ الْحَاوِي وَمَعَهُ
شَيْءٌ كَثِيرٌ مِنَ الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ . فَصَعَدَ وَدَعَاهُمْ لِيَأْكُلُوا مَعَهُ فَأَبَوْا
الْحُضُورَ إِلَيْهِ . وَبَيَّنُّوا لَهُ الْغَيْظَ . فَجَعَلَ يُلَاحِظُهُمْ بِالْكَلَامِ الْحَسَنِ ،
وَيَسْئَلُهُمْ : أَنْظَرُوا مَاذَا تُرِيدُونَ حَتَّى أَجِيَّ بِهِ إِلَيْكُمْ أَكْلًا أَوْ شَرِبًا
أَوْ مَلْبُوسًا : فَقَالُوا لَهُ يَا وَالِدَنَا . مَا نُرِيدُ مِنْكَ إِلَّا فَتَحَ هَذِهِ السَّلَّةَ
لِنَنْظُرَ مَا فِيهَا وَإِلَّا قَتَلْنَا أَنْفُسَنَا : فَقَالَ لَهُمْ يَا أَوْلَادِي . لَيْسَ لَكُمْ فِيهَا
خَيْرٌ . وَإِنَّمَا فَتَحَهَا ضَرَرٌ لَكُمْ : فَعِنْدَ ذَلِكَ أَرْدَدُوا غَيْظًا . فَلَمَّا رَأَاهُمْ
عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ . أَخَذَ يَهْدِدُهُمْ وَيُسِيرُهُمْ بِالضَّرْبِ إِنْ لَمْ يَرْجِعُوا

عَنْ تِلْكَ الْحَالَةِ . فَلَمْ يَرْدَاوَا إِلَّا غَيْظًا وَرَغْبَةً فِي السُّؤَالِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ غَضِبَ عَلَيْهِمْ . وَأَخَذَ عَصًا لِيَضْرِبَهُمْ بِهَا . هَرَبُوا قُدَّامَهُ فِي الدَّارِ . وَكَانَتِ السَّلَةُ حَاضِرَةً لَمْ يَخَفْهَا الْحَاوِي فِي مَكَانٍ . فَخَلَّتِ الْمَرْأَةُ الرَّجُلَ مَشْنُوعًا بِالْأَوْلَادِ . وَفَتَحَتِ السَّلَةَ بِسُرْعَةٍ لِكَيْ تَنْظُرَ مَا فِيهَا . وَإِذَا بِالْحَيَاتِ قَدْ خَرَجَتْ مِنْ السَّلَةِ وَلَدَعَتِ الْمَرْأَةُ أَوَّلًا فَمَتَلَتْهَا ثُمَّ دَارَتْ فِي الدَّارِ وَأَمْلَكَتِ الْكِبَارَ وَالصَّغَارَ مَا عَدَا الْحَاوِي . فَتَرَكَ الْحَاوِي الدَّارَ وَخَرَجَ . فَلَمَّا تَحَقَّقَتْ ذَلِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ السَّعِيدُ . عَلِمَتْ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَيْسَ لَهُ أَنْ يَتَمَنَّى شَيْئًا غَيْرَ الَّذِي لَمْ يُرِدِ اللَّهُ تَعَالَى بَلْ يَطِيبَ نَفْسًا بِمَا قَدَرَهُ اللَّهُ لَهُ وَأَرَادَهُ . وَهَذَا أَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ . مَعَ غَزَاةٍ عِلْمِكَ وَجُودَةٍ فَهْمِكَ . أَقْرَبُ اللَّهِ عَيْنَكَ بِحُضُورِ وَلَدِكَ بَعْدَ الْيَأْسِ وَطَيْبَ قَلْبِكَ . وَنَحْنُ نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهُ مِنْ خُلَفَاءِ الْعَادِلِينَ الْمَرْضِيِّينَ لِلَّهِ تَعَالَى وَالرَّعِيَّةِ

ثُمَّ قَامَ الْوَزِيرُ السَّامِعُ وَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ . إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ وَتَحَقَّقْتُ مَا ذَكَرَهُ إِخْوَتِي هُوَلَاءِ الْوُزَرَاءِ الْعُلَمَاءُ الْحُكَمَاءُ وَمَا تَكَلَّمُوا بِهِ فِي حَضْرَتِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ . وَمَا وَصَفُوهُ مِنْ عَدْلِكَ وَحُسْنِ سِيرَتِكَ وَمَا تَمَيَّزَتْ بِهِ عَنْ سِوَاكَ مِنَ الْمُلُوكِ حَيْثُ فَضْلُوكَ عَلَيْهِمْ . وَذَلِكَ مِنْ بَعْضِ الْأَوَاجِبِ عَلَيْنَا أَيُّهَا الْمَلِكُ

وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَوَلَّاهُ لِنِعْمَتِهِ . وَأَعْطَاكَ صَلاَحَ الْمَلِكِ بِرَحْمَتِهِ وَأَعَانَكَ وَإِيَّاَنَا عَلَى أَنْ نَزِيدَهُ شُكْرًا . وَمَا ذَاكَ

إِلَّا بِوُجُودِكَ . وَمَا دُمْتُ فِيْنَا لَمْ نَتَخَوَّفْ جَوْرًا وَلَا نَبْغِي ظُلْمًا . وَلَا
يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَسْتَطِيلَ عَلَيْنَا مَعَ ضُعْفِنَا . وَقَدْ قِيلَ : إِنْ أَحْسَنَ
الرَّعَايَا مِنْ كَانَ ، لَأَكْثُهُمْ عَادِلًا وَشَرُّهُمْ مَنْ كَانَ مَلِكُهُمْ جَائِرًا . وَقِيلَ
أَيْضًا : السُّكْنَى مَعَ الْأَسُودِ الْكَوَاسِرِ . وَلَا السُّكْنَى مَعَ السُّلْطَانِ
الْجَائِرِ . فَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ حَمْدًا دَائِمًا حَيْثُ أَنْعَمَ عَلَيْنَا
بِوُجُودِكَ . وَرَزَقَكَ هَذَا الْوَلَدُ الْمُبَارَكَ بَعْدَ الْيَأْسِ وَالطَّمَعِ فِي السَّنِّ .
لِأَنَّ أَجَلَ الْمَطَايَا فِي الدُّنْيَا الْوَلَدُ الصَّالِحُ . وَقَدْ قِيلَ : مَنْ لَا وَلَدَ لَهُ
لَا عَاقِبَةَ لَهُ وَلَا ذِكْرَ . وَأَنْتَ بِقَوِيمِ عَدْلِكَ وَحُسْنِ ظَنِّكَ بِاللَّهِ تَعَالَى
أَعْطَيْتَ هَذَا الْوَلَدَ السَّعِيدَ . فَجَاءَكَ هَذَا الْوَلَدُ الْمُبَارَكَ مِنْهُ مِنَ اللَّهِ
تَعَالَى عَلَيْنَا وَعَلَيْكَ . بِحُسْنِ سِيرَتِكَ وَجَمِيلِ صَبْرِكَ . وَصَارَ فِيكَ ذَلِكَ
مِثْلَ مَا صَارَ فِي الْعَنْكَبُوتِ وَالرَّيْحِ : فَذَالَ الْمَلِكُ : وَمَا حِكَايَةُ
الْعَنْكَبُوتِ وَالرَّيْحِ .

(حكاية العنكبوت والريح)

قَالَ الْوَزِيرُ : أَعْلَمَ أَيُّهَا الْمَلِكُ . أَنَّ عَنْكَبُوتًا تَعَلَّقَتْ فِي بَابِ
مُتَّحٍ عَالٍ . وَعَمَلَتْ لَهَا بَيْتًا وَسَكَنْتَ فِيهِ بِأَمَانٍ وَكَانَتْ تَشْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى
الَّذِي يَسِّرَ لَهَا هَذَا الْمَكَانَ وَأَمَّنَ خَوْفَهَا مِنَ الْهُوَامِ . فَمَكَثَتْ عَلَى
هَذِهِ الْحَالِ مُدَّةَ مِنَ الزَّمَانِ . وَهِيَ شَاكِرَةٌ لِلَّهِ عَلَى رَاحَتِهَا وَاتِّصَالِ
رِزْقِهَا . فَامْتَحَنَهَا خَالِفُهَا . بِأَنْ أَخْرَجَهَا لِنَظَرِ شُكْرِهَا وَصَبْرِهَا . فَأَرْسَلَ
إِلَيْهَا رِيحًا عَاصِفَةً شَرْقِيَّةً . فَحَمَلَتْهَا بِبَيْتِهَا وَرَمَتْهَا فِي الْبَحْرِ . فَجَرَّتْهَا

الْأَمْوَاجُ إِلَى الْبَرِّ . فَعِنْدَ ذَلِكَ شَكَرَتْ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى سَلَامَتِهَا .
وَجَعَلَتْ تَتَابُ الرِّيحُ قَائِلَةً لَهَا : أَيُّهَا الرِّيحُ لِمَ قَعَلْتَ بِي ذَلِكَ . وَمَا
الَّذِي حَصَلَ لَكَ مِنَ الْخَيْرِ فِي تَقْلِي مِنْ مَكَانِي إِلَى هُنَا . وَقَدْ كُنْتُ
أَمِنَةً مُطْمَئِنَّةً فِي بَيْتِي بِأَعْلَى ذَلِكَ الْبَابِ : فَقَالَ لَهَا الرِّيحُ : أَنْتَ بِي عَنْ
الْعِتَابِ . فَإِنِّي سَأَرْجِعُ بِكَ وَأُوعِيكَ إِلَى مَكَانِكَ كَمَا كُنْتُ أَوَّلًا :
فَلَبِثْتُ الْمُنْكَبُوتُ صَابِرَةً عَلَى ذَلِكَ . رَاجِيَةً أَنْ تَرْجِعَ إِلَى مَكَانِهَا
حَتَّى ذَهَبَتْ رِيحُ الشِّمَالِ وَلَمْ تَرْجِعْ بِهَا . وَهَبَّتْ رِيحُ الْجَنُوبِ فَزَرَّتْ
بِهَا وَاخْتَطَفَتْهَا . وَطَارَتْ بِهَا إِلَى جِهَةِ ذَلِكَ الْبَيْتِ . فَلَمَّا مَرَّتْ بِهِ
عَرَفَتْهُ فَتَعَامَّتْ بِهِ

وَنَحْنُ نَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي أَثَابَ الْمَلِكَ عَلَى وَحْدَتِهِ وَصَبْرِهِ
وَرَزَقَهُ هَذَا الْعِلَامَ بِمَدَى يَأْسِهِ وَكِبَرِ سِنِّهِ . وَلَمْ يُخْرِجْهُ مِنْ هَذِهِ
الدُّنْيَا حَتَّى رَزَقَهُ قُرَّةَ عَيْنٍ وَوَهَبَ لَهُ مَا وَهَبَ مِنَ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ .
فَرَحِمَ رَعِيَّتَهُ وَأَوَّلَاهُمْ نِعْمَتَهُ

فَقَالَ الْمَلِكُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ فَوْقَ كُلِّ حَمْدٍ وَالشُّكْرُ لَهُ فَوْقَ كُلِّ
شُكْرٍ . لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ الَّذِي عَرَفْنَا بُدْرَ آثَارِهِ جَلَالِ
عَظَمَتِهِ . يُؤْتِي الْمَلِكَ وَالسُّلْطَانَ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فِي بِلَادِهِ . لِأَنَّهُ
يُنْتَجِبُ مِنْهُمْ مَنْ يَشَاءُ لِيَجْعَلَهُ خَلِيفَةً وَوَكِيلاً عَلَى خَلْقِهِ . وَيَأْمُرُهُ فِيهِمْ
بِالْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ وَإِقْلَامَةِ الشَّرَائِعِ وَالسُّنَنِ وَالْعَمَلِ بِالْحَقِّ
وَالِاسْتِقَامَةِ فِي أُمُورِهِمْ عَلَى مَا أَحَبَّ وَأَحْبَبُوا . فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ بِمَا أَمَرَ

اللَّهُ كَانَ لِحَظِّهِ مُصِيبًا وَلَا مَرَّ رَّبِّهِ مُطِيعًا . فَيَكْفِيهِ هَوْلَ ذُنْيَاهُ وَيُنْجِسُ
 جَزَاءَهُ فِي آخِرَاهُ . إِنَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ . وَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ
 بغيرِ مَا أَمَرَ اللَّهُ أَخطأَ خطَاءً بليغًا وعصى رَّبَّهُ وَآثَرَ ذُنْيَاهُ عَلَى آخِرَاهُ .
 فَلَيْسَ لَهُ فِي الدُّنْيَا مَأْثُورٌ وَلَا فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ . لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي
 عَلَى أَهْلِ الْجُورِ وَالنَّسَادِ وَلَا يَهْدِي أَحَدًا مِنَ الْعِبَادِ . وَقَدْ ذَكَرَ وَرَأَوْنَا
 هَؤُلَاءِ أَنْ مِنْ عَدَلْنَا بَيْنَهُمْ وَحَسَنَ تَصَرُّفًا مَعَهُمْ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا
 وَعَلَيْهِمْ بِالتَّوْفِيقِ لِشُكْرِهِ الْمُسْتَوْجِبِ لِمَزِيدِ إِتْمَامِهِ . وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ
 قَالَ مَا أَلْهَمَهُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ . وَبِأَنعَمُوا فِي الشُّكْرِ لِلَّهِ تَعَالَى وَالْثَنَاءِ عَلَيْهِ
 بِسَبَبِ نِعْمَتِهِ وَقُضْلِهِ . وَآنَا أَشْكُرُ اللَّهَ . لِأَنِّي إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مَأْمُورٌ وَقَائِي
 بِيَدِهِ وَلِسَانِي تَائِعٌ لَهُ . رَاضٍ بِمَا حَكَمَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ بِأَيِّ شَيْءٍ صَلَّوْا .
 وَقَدْ قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا خَطَرَ بِيَالِهِ مِنْ أَمْرِ هَذَا الْعُلَامِ . وَذَكَرُوا
 مَا كَانَ مِنْ مُتَجَدِّدِ النِّعْمَةِ عَلَيْنَا حِينَ بَلَّغْتُ مِنَ السَّنِّ حَدًّا يَغَابُ مَعَهُ
 الْيَأْسُ وَضَعْفُ الْيَقِينِ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَجَنَّبْنَا مِنَ الْجُرْمَانِ . وَاخْتِلَافِ
 الْحُكَامِ كَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ . وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ إِنْعَامًا عَظِيمًا عَلَيْهِمْ
 وَعَلَيْنَا . فَتَحْمَدُ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِي رَزَقَنَا هَذَا الْعُلَامَ سَمِيمًا مُطِيعًا وَجَعَلَهُ
 وَارِثًا مِنَ الْخِلَافَةِ مَحَلًّا رَفِيمًا . أَسْأَلُهُ مِنْ كَرَمِهِ وَحِلْمِهِ أَنْ
 يَجْعَلَهُ سَعِيدَ الْحَرَكَاتِ مُوقِفًا لِلْغَيْرَاتِ حَتَّى يَصِيرَ مَلِكًا وَسُلْطَانًا
 عَلَى رَعِيَّتِهِ بِالْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ . حَافِظًا لَهُمْ مِنْ هَلَكَاتِ الْإِعْتِسَافِ
 بَيْنَهُ وَكَرَمِهِ وَجُودِهِ

فَلَمَّا فَرَغَ الْمَلِكُ مِنْ كَلَامِهِ قَامَ الْحُكَمَاءُ وَالْعُلَمَاءُ وَسَجَدُوا لِلَّهِ
وَشَكَرُوا الْمَلِكَ وَقَبَّلُوا يَدَيْهِ وَأَنْصَرَفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى بَيْتِهِ .
فَعِنْدَ ذَلِكَ دَخَلَ الْمَلِكُ بَيْتَهُ وَأَبْصَرَ الْغُلَامَ وَدَعَا لَهُ
فَلَمَّا مَضَى لَهُ مِنَ الْعُمْرِ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً . أَرَادَ الْمَلِكُ أَنْ يُعَلِّمَهُ
الْعُلُومَ . فَبَنَى لَهُ قَصْرًا فِي وَسْطِ الْمَدِينَةِ وَبَنَى فِيهِ ثَلَاثَةَ أَيْتَمٍ
مَقْصُورَةٍ . وَجَعَلَ الْغُلَامَ فِيهِ . وَرَبَّ لَهُ ثَلَاثَةً مِنَ الْحُكَمَاءِ وَالْعُلَمَاءِ
وَأَمَرَهُمْ أَنْ لَا يَنْفُلُوا عَنْ تَعْلِيمِهِ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا . وَأَنْ يَجْلِسُوا مَعَهُ فِي
كُلِّ مَقْصُورَةٍ يَوْمًا وَيَخْرُصُوا عَلَى أَنْ لَا يَكُونَ عِلْمٌ إِلَّا وَيَعْلَمُونَهُ إِيَّاهُ
حَتَّى يَصِيرَ بِجَمِيعِ الْعُلُومِ عَارِفًا . وَيَكْتُبُوا عَلَى بَابِ كُلِّ مَقْصُورَةٍ مَا
يَعْلَمُونَهُ لَهُ فِيهَا مِنَ الْعُلُومِ . وَدَفَعُوا إِلَيْهِ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ مَا عَرَفَهُ
مِنْ أَصْنَافِهَا . ثُمَّ إِنَّ الْعُلَمَاءَ أَفْزَلُوا عَلَى الْغُلَامِ وَصَارُوا لَا يَفْتَرُونَ عَنْ
تَعْلِيمِهِ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا وَلَا يُؤَخَّرُونَ عَنْهُ شَيْئًا مِمَّا عَنْدهُمْ مِنَ الْعُلُومِ .
فَظَهَرَ لِلْعُلَامِ مِنْ ذِكَاةِ الْعَقْلِ وَجِدَّةِ الْفَهْمِ وَقَبُولِ الْعِلْمِ مَا لَمْ
يَظْهَرِ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ . وَجَعَلُوا يَرْفَعُونَ لِلْمَلِكِ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ مِقْدَارَ مَا
تَعَلَّمَهُ وَلَدُهُ وَأَتَقَنَهُ . فَكَانَ الْمَلِكُ يَسْتَظْهَرُ مِنْ ذَلِكَ عِلْمًا حَسَنًا
وَأَدَبًا جَمِيلًا . وَقَالَ الْعُلَمَاءُ : إِنَّا مَا رَأَيْنَا قَطُّ مَنْ أُعْطِيَ فَهْمًا مِثْلَ
هَذَا الْغُلَامِ . فَبَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهِ وَمَتَّعَكَ بِحَيَاتِهِ

فَلَمَّا أَتَمَّ الْغُلَامُ مُدَّةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً حَفِظَ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ
أَحْسَنَهُ . وَفَاقَ جَمِيعَ الْعُلَمَاءِ وَالْحُكَمَاءِ الَّذِينَ فِي زَمَانِهِ . فَاتَى بِهِ

الْعُلَمَاءُ إِلَى الْمَلِكِ وَالِدِهِ . وَقَالُوا لَهُ : أَقَرَّ اللَّهُ عَيْنَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ بِهَذَا
 الْوَلَدِ السَّعِيدِ . وَقَدْ أَتَيْنَاكَ بِهِ بِنْدَ أَنْ تَعْلَمَ كُلُّ عِلْمٍ حَتَّى لَمْ يَكُنْ
 أَحَدٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْوَقْتِ وَحُكَمَائِهِ يَلَمُّ مَا بَلَغَهُ : فَقَرِحَ الْمَلِكُ بِذَلِكَ
 قَرَحًا شَدِيدًا وَزَادَ فِي شُكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَخَرَّ سَاجِدًا لَهُ عَزَّ وَجَلَّ
 وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي لَا تُحْصَى . ثُمَّ دَعَا بِشَاسِ الْوَزِيرِ وَقَالَ
 لَهُ : أَعْلِمْ يَا شَاسُ . أَنَّ الْعُلَمَاءَ قَدْ أَتَوْنِي وَأَخْبَرُونِي أَنَّ ابْنِي هَذَا
 قَدْ تَعْلَمَ كُلَّ عِلْمٍ وَلَمْ يَبْقَ مِنَ الْعُلُومِ عِلْمٌ إِلَّا وَقَدْ عَاقَمُوهُ لَهُ حَتَّى
 فَاقَ مَنْ تَقَدَّمَهُ فِي ذَلِكَ . فَمَا تَقُولُ يَا شَاسُ : فَسَجَدَ عِنْدَ ذَلِكَ
 لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقَبَّلَ يَدَ الْمَلِكِ وَقَالَ : أَبَتِ الْيَاقُوْتَةُ وَلَوْ كَانَتْ فِي
 الْجَبَلِ الْأَصَمِّ إِلَّا أَنْ تَكُونَ مُضِيَّةً كَالسَّرَاجِ . وَأَبْنُكَ هَذَا جَوْهَرَةٌ .
 فَمَا تَمْنَعُهُ حَدَائِثُهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ حَكِيمًا . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَوْلَاهُ . وَأَنَا
 إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي غَدٍ أَسْأَلُهُ وَأَسْتَظْطِقُهُ بِمَا عِنْدَهُ فِي مَجْمَعِ أَجْمَعِهِ
 لَهُ مِنْ خَوَاصِّ الْعُلَمَاءِ وَالْأَمْرَاءِ : فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ كَلَامَ شَاسِ أَمَرَ
 جَهَابِيذَةَ الْعُلَمَاءِ وَأَذْكِيَاءَ الْفَضْلَاءِ وَمَهْرَةَ الْحُكَمَاءِ أَنْ يَخْضَرُوا إِلَى
 قَصْرِ الْمَلِكِ فِي غَدٍ . فَخْضَرُوا جَمِيعًا . فَلَمَّا اجْتَمَعُوا عَلَى بَابِ الْمَلِكِ
 أُذِنَ لَهُمْ بِالْدُخُولِ ثُمَّ حَضَرَ شَاسُ الْوَزِيرُ . وَعِنْدَ ذَلِكَ صَارَ امْتِحَانُ
 ابْنِ الْمَلِكِ (وَهَذَا مَخْنُ نُورِدُ بَعْضَ أَسْئَلَةٍ وَأَجْوَبَةٍ امْتِحْنٍ بِهَا فَأَجَابَ
 عَلَيْهَا أَحْسَنَ جَوَابٍ) قَالَ شَاسُ لِلْأَمَلَامِ : أَخْبِرْنِي هَلْ
 تَسْتَقِيمُ آخِرَةُ بَغِيرِ دُنْيَا . قَالَ الْأَمَلَامُ : مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ دُنْيَا فَلَا آخِرَةَ

لَهُ . وَلَكِنْ رَأَيْتُ الدُّنْيَا وَأَهْلَهَا وَالْمَلَأَ الَّذِي هُمْ صَارُونَ إِلَيْهِ كَيْثَلُ
 أَهْلِ تِلْكَ الصِّيَاعِ الَّذِينَ أَتَنَى لَهُمْ أَمِيرٌ بَيْتًا ضَيِّقًا وَأَذْخَلَهُمْ فِيهِ .
 وَأَمَرَهُمْ بِعَمَلٍ يَمْلُونَهُ وَضَرَبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَجَلًا وَوَكَّلَ بِهِ
 شَخْصًا . فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ مَا أَمَرَ بِهِ أَخْرَجَهُ الشَّخْصُ الْمُوَكَّلُ بِهِ مِنْ
 ذَلِكَ الضِّيقِ . وَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ مَا أَمَرَ بِهِ وَقَدْ أَنْهَضَنِي الْأَجَلُ
 الْمَضْرُوبُ لَهُ عُوقِبَ . فَيَنْتَهِمُ كَذَلِكَ . إِذْ رَسَّخَ لَهُمْ مِنْ شُوقِ
 أَلَيْتِ عَسَلٍ . فَلَمَّا أَكَلُوا مِنَ الْعَسَلِ وَذَاقُوا طَعْمَهُ وَحَلَاوَتَهُ . تَوَانُوا
 فِي الْعَمَلِ الَّذِي أَمَرُوا بِهِ وَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ . وَصَبَرُوا عَلَى مَا
 هُمْ فِيهِ مِنَ الضِّيقِ وَالنَّعَمِ مَعَ مَا عَلِمُوا مِنْ تِلْكَ الْعُقُوبَةِ الَّتِي هُمْ
 صَارُونَ إِلَيْهَا . وَقَعُوا بِتِلْكَ الْحَلَاوَةِ الْيَسِيرَةِ . وَصَارَ الْمُوَكَّلُ لَا
 يَدْعُ أَحَدًا مِنْهُمْ . إِذَا جَاءَ أَجَلُهُ إِلَّا وَيُخْرِجُهُ مِنْ ذَلِكَ أَلَيْتِ .
 فَمَرَفْنَا أَنَّ الدُّنْيَا دَارٌ تَتَحَيَّرُ فِيهَا الْأَبْصَارُ وَضُرِبَ لِأَهْلِهَا فِيهَا الْأَجَالُ .
 فَمَنْ وَجَدَ الْحَلَاوَةَ الْقَلِيلَةَ الَّتِي تَكُونُ فِي الدُّنْيَا وَأَشْغَلَ نَفْسَهُ بِهَا
 كَانَ مِنَ الْهَالِكِينَ . حَيْثُ أَثَرُ أَمْرِ دُنْيَاهُ عَلَى آخِرَتِهِ . وَمَنْ يُؤَثِّرُ
 أَمْرَ آخِرَتِهِ عَلَى دُنْيَاهُ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى تِلْكَ الْحَلَاوَةِ الْقَلِيلَةِ كَانَ
 مِنَ الْفَائِزِينَ

قَالَ شِمَاسٌ : قَدْ سَمِعْتُ مَا ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .
 وَقَبِلْتُ ذَلِكَ مِنْكَ . وَلَكِنِّي قَدْ رَأَيْتُهُمَا مُسَلِّطِينَ عَلَى الْإِنْسَانِ فَلَا
 بُدَّ لَهُ مِنْ إِرْضَائِهِمَا مَعًا . وَهِيَ مُحْتَمَلَانِ . فَإِنْ أَقْبَلَ الْعَبْدُ عَلَى طَلَبِ

الْمَعِيشَةِ . فَذَلِكَ إِضْرَادُ يَرْوِحِهِ فِي الْمَعَادِ . وَإِنْ أَقْبَلَ عَلَى
الْآخِرَةِ . كَانَ ذَلِكَ إِخْبَارًا بِحَسَنِهِ . وَلَيْسَ لَهُ سَبِيلٌ إِلَّا ، بِإِذْنِ
الْعَمَلِ لَمَنِ مَعَا

قَالَ اللَّهُ لَأَمْرٍ : إِنَّهُ مَنْ حَصَلَ الْمَعِيشَةُ فِي الدُّنْيَا تُقَوِّيه عَلَى
الْآخِرَةِ . فَأَيُّ رَأَيْتُ أَمْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِثْلَ مَلَكَئِكَةٍ . عَادِلٍ
وَجَارٍ . وَكَانَتْ أَرْضُ الْمَلِكِ الْجَارِ ذَلَّتْ أَشْجَارُ وَأَنْجَارُ وَنَبَاتٌ . وَكَانَ
ذَلِكَ الْمَلِكُ لَا يَدْعُ أَحَدًا مِنَ التُّجَّارِ إِلَّا أَخَذَ مَالَهُ وَتَجَارَتَهُ . وَهُمْ
صَاهِرُونَ عَلَى ذَلِكَ . لِمَا يُصَيِّبُونَ مِنْ خِصْبِ تِلْكَ الْأَرْضِ فِي الْمَعِيشَةِ .
وَأَمَّا الْمَلِكُ الْعَادِلُ . فَإِنَّهُ بَعَثَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ أَرْضِهِ . وَأَعْطَاهُ مَالًا
وَأَمْرًا وَأَمْرَهُ أَنْ يَنْطَلِقَ إِلَى أَرْضِ الْمَلِكِ الْجَارِ . لِيَتَتَعَ بِهِ جَوَاهِرَ
مِنْهَا . فَانْطَلَقَ ذَلِكَ الرَّجُلُ بِالْمَالِ . حَتَّى دَخَلَ تِلْكَ الْأَرْضَ . فَقِيلَ
لِلْمَلِكِ : إِنَّهُ جَاءَ إِلَى أَرْضِكَ رَجُلٌ تَاجِرٌ وَمَعَهُ مَالٌ كَثِيرٌ يُرِيدُ أَنْ
يَتَتَعَ بِهِ جَوَاهِرَ مِنْهَا : فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ وَأَحْضَرَهُ وَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ .
وَمِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ . وَمَنْ جَاءَ بِكَ إِلَى أَرْضِي . وَمَا حَاجَتُكَ : فَقَالَ لَهُ :
إِنِّي مِنْ أَرْضٍ كَذَا وَكَذَاء . وَإِنَّ مَلِكَ تِلْكَ الْأَرْضِ أَعْطَانِي مَالًا
وَأَمْرًا أَنْ أَتَتَعَ لَهُ بِهِ جَوَاهِرَ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ . فَأَمَتَّتْ أَمْرَهُ
وَجِئْتُ : فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : وَنِيحُكَ . أَمَا عَلِمْتَ صُنْعِي بِأَهْلِ أَرْضِي مِنْ
أَنِّي أَخَذُ مَا لَهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ . فَكَيْفَ تَأْتِينِي بِمَالِكَ . وَهَذَا أَنْتَ مُقِيمٌ
بِأَرْضِي مُنْذُ كَذَا وَكَذَا : فَقَالَ لَهُ التَّاجِرُ : إِنْ الْمَالُ لَيْسَ لِي مِنْهُ

شَيْءٌ. وَإِنَّمَا هُوَ أَمَانَةٌ تَحْتَ يَدَيَّ حَتَّى أُوَصِّلَهُ لِصَاحِبِهِ: فَقَالَ لَهُ:
 إِنِّي لَسْتُ بِتَارِكِكَ تَأْخُذُ مَعِيشَتَكَ مِنْ أَرْضِي حَتَّى تَقْدِيَ نَفْسَكَ
 بِهَذَا أَمَالٍ جَمِيعِهِ: فَقَالَ الرَّجُلُ فِي نَفْسِهِ: قَدْ وَقَعْتُ بَيْنَ مَلَكَئِنَ.
 وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ جَوْرَ هَذَا الْمَلِكِ عَامٌّ عَلَى مَنْ أَقَامَ بِأَرْضِهِ. فَإِنْ لَمْ
 أَرْضِهِ كَانَ هَلَاكِي وَذَهَابُ أَمَالِي لَا بَدَّ مِنْهُمَا وَلَمْ أَصِبْ حَاجَتِي.
 وَإِنْ أَعْطَيْتُهُ جَمِيعَ أَمَالِي كَانَ هَلَاكِي عِنْدَ الْمَلِكِ صَاحِبِ أَمَالٍ لَا بَدَّ
 مِنْهُ وَلَيْسَ لِي حِيلَةٌ سِوَى أَنِّي أَعْطِيهِ مِنْ هَذَا أَمَالِي جُزْءًا يَسِيرًا
 وَأَرْضِيهِ بِهِ وَأَدْفَعُ عَنْ نَفْسِي وَعَنْ هَذَا أَمَالِي الْهَلَاكَ. وَأَصِيبُ مِنْ
 خَضْبِ هَذِهِ الْأَرْضِ قُوَّةَ نَفْسِي حَتَّى أَتَبَاعَ مَا أُرِيدُ مِنَ الْجَوَاهِرِ.
 وَأَكُونُ قَدْ أَرْضَيْتُهُ بِمَا أَعْطَيْتُهُ وَأَخْذُ نَصِيبِي مِنْ أَرْضِهِ هَذِهِ.
 وَأَتَوَجَّهُ إِلَى صَاحِبِ أَمَالِي بِحَاجَتِهِ. فَإِنِّي أَرْجُو مِنْ عَدْلِهِ وَتَجَاوُزِهِ
 مَا لَا أَخَافُ مَعَهُ عُقُوبَةً فِيمَا أَخَذَهُ هَذَا الْمَلِكُ مِنَ أَمَالِي. خُصُوصًا إِذَا
 كَانَ يَسِيرًا: ثُمَّ إِنَّ التَّاجِرَ دَعَا لِلْمَلِكِ وَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَا أَقْتَدِي
 نَفْسِي بِجُزْءٍ صَغِيرٍ مِنْ هَذَا أَمَالِي مُنْذُ دَخَلْتُ أَرْضَكَ حَتَّى أَخْرَجَ
 مِنْهَا: فَقَبِلَ الْمَلِكُ مِنْهُ ذَلِكَ وَخَلَّى سَبِيلَهُ سَنَةً. فَاشْتَرَى الرَّجُلُ بِأَمَالِهِ
 جَمِيعَهُ جَوَاهِرَ. وَأَنْطَقَ إِلَى صَاحِبِهِ

فَالْمَلِكُ الْعَادِلُ مِثَالُ لِلْآخِرَةِ. وَالْجَوَاهِرُ الَّتِي بِأَرْضِ الْمَلِكِ
 الْمُبَارِكِ مِثَالُ لِلْحَسَنَاتِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ. وَالرَّجُلُ صَاحِبُ أَمَالٍ.
 مِثَالُ لِمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا. وَالْأَمَالُ الَّذِي مَعَهُ مِثَالُ لِحَيَاةِ الْإِنْسَانِ.

فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ عَلِمْتُ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِمَنْ يَطْلُبُ الْمَعِيشَةَ فِي الدُّنْيَا
أَنْ لَا يُخْلِي يَوْمًا عَنْ طَلَبِ الْآخِرَةِ . فَيَكُونُ قَدْ أَرْضَى الدُّنْيَا بِمَا
نَالَهُ مِنْ خِصْبِ الْأَرْضِ . وَأَرْضَى الْآخِرَةَ بِمَا يَصْرِفُ مِنْ حَيَاتِهِ
فِي طَلَبِهَا

قَالَ شَمَّاسُ : فَأَخْبِرْنِي هَلِ الْجَسَدُ وَالرُّوحُ سَوَاءٌ فِي الثَّوَابِ
وَالْعِقَابِ . أَوْ إِنَّمَا يُخْتَصُّ بِالْعِقَابِ صَاحِبُ الشَّهَوَاتِ وَفَاعِلُ الْخَطِيَّاتِ
قَالَ الْغَلَامُ : قَدْ يَكُونُ الْمِيلُ إِلَى الشَّهَوَاتِ وَالْخَطِيَّاتِ مُوجِبًا
لِلثَّوَابِ بِجَنَسِ النَّفْسِ عَنْهَا وَالتَّوْبَةُ مِنْهَا . وَالْأَمْرُ بِيَدِ مَنْ يَفْعَلُ مَا
يَشَاءُ وَيُضِدُّهَا تَتَمَيَّزُ الْأَشْيَاءُ . عَلَى أَنَّ الْمَعَاشَ لَا بُدَّ مِنْهُ لِلْجَسَدِ .
وَلَا جَسَدَ إِلَّا بِالرُّوحِ . وَطَهَارَةُ الرُّوحِ بِإِخْلَاصِ النِّيَّةِ فِي الدُّنْيَا
وَالْإِلْتِمَاسِ إِلَى مَا يَنْفَعُ فِي الْآخِرَةِ . فَمَا فَرَسًا رِهَانٍ وَرَضِيعًا
لِبَاقٍ . وَمُشْتَرِكًا فِي الْأَعْمَالِ . وَبِاعْتِبَارِ النِّيَّةِ تَفْصِيلُ الْإِجْمَالِ .
وَكَذَلِكَ الْجَسَدُ وَالرُّوحُ مُشْتَرِكَانِ فِي الْأَعْمَالِ . وَفِي الثَّوَابِ
وَالْعِقَابِ . وَذَلِكَ مَثَلُ الْأَعْمَى وَالْمَقْعَدِ اللَّذَيْنِ أَخَذَهُمَا رَجُلٌ
صَاحِبُ بُسْتَانٍ وَأَدْخَلَهُمَا بُسْتَانَهُ وَأَمَرَهُمَا أَنْ لَا يُفْسِدَا فِيهِ وَلَا
يَضْمَعَا فِيهِ أَمْرًا يَضُرُّ بِهِ . فَلَمَّا طَابَتْ أَثْمَارُ الْبُسْتَانِ . قَالَ الْمَقْعَدُ
لِلْأَعْمَى : وَيْحَكَ إِنِّي أَرَى أَثْمَارًا طَيِّبَةً وَقَدْ أُشْتَهَيْتَهَا وَلَسْتُ أَقْدِرُ
عَلَى الْقِيَامِ إِلَيْهَا لِأَكُلَ مِنْهَا . فَقُمَ أَنْتَ لِأَنَّكَ صَحِيحُ الرَّجْلَيْنِ .
وَأَتَيْنَا مِنْهَا بِمَا نَأْكُلُ : فَقَالَ الْأَعْمَى : وَيْحَكَ . قَدْ ذَكَرْتَهَا لِي

وَقَدْ كُنْتُ عَنْهَا غَافِلًا . وَلَسْتُ أَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ . لِأَنِّي لَسْتُ
أُبْصِرُهَا . فَمَا الْحِيلَةُ فِي تَحْصِيلِ ذَلِكَ : فَيَنْنَا هُمَا كَذَلِكَ . إِذْ
أَتَاهُمَا النَّاطِرُ عَلَى الْبُسْتَانِ . وَكَانَ رَجُلًا عَالِمًا . فَقَالَ لَهُ الْمُقْعَدُ :
وَيْحَكَ . يَا نَاطِرُ . إِنَّا قَدْ أَشْتَهَيْنَا شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الثَّمَارِ . وَنَحْنُ كَمَا
تَرَى أَنَا مُقْعَدٌ وَصَاحِبِي هَذَا أَعْمَى لَا يُبْصِرُ شَيْئًا فَمَا جِئْتَنَا
فَقَالَ لَهُمَا النَّاطِرُ : وَيْحَكُمَا أَلَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مَا قَدْ عَاهَدَكُمَا
عَلَيْهِ صَاحِبُ الْبُسْتَانِ . مِنْ أَنْكُمَا لَا تَتَرَضَّانِ لِشَيْءٍ مِمَّا يُؤْثِرُ فِيهِ
الْفُسَادَ . فَأَنْتَهُمَا وَلَا تَفْعَلَا : فَقَالَا لَهُ : لَا بُدَّ لَنَا مِنْ أَنْ نُصِيبَ
مِنْ هَذِهِ الثَّمَارِ مَا نَأْكُلُهُ . فَأَخْبَرْنَا بِمَا عِنْدَكَ مِنَ الْحِيلَةِ : فَلَمَّا لَمْ
يَنْتَهِيَا عَنْ رَأْيِهِمَا . قَالَ لَهُمَا : الْحِيلَةُ فِي ذَلِكَ أَنْ يَهْوِيَ الْأَعْمَى
وَيَحْمِلَكَ أَيُّهَا الْمُقْعَدُ عَلَى ظَهْرِهِ . وَيُذْنِيكَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي تُعْجِبُكَ
أَثْمَارُهَا . حَتَّى إِذَا أَدْنَاكَ مِنْهَا . تَنْجِي أَنْتَ مَا أَصَبْتَ مِنَ الثَّمَارِ :
فَقَامَ الْأَعْمَى وَحَمَلَ الْمُقْعَدَ . وَجَعَلَ الْمُقْعَدُ يَهْدِيهِ إِلَى السَّبِيلِ حَتَّى أَذْنَاهُ
إِلَى شَجَرَةٍ . فَصَارَ الْمُقْعَدُ يَأْخُذُ مِنْهَا مَا أَحَبَّ . وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَائِبُهُمَا
حَتَّى أَفْسَدَا مَا فِي الْبُسْتَانِ مِنَ الشَّجَرِ . وَإِذَا بِصَاحِبِ الْبُسْتَانِ قَدْ
جَاءَ وَقَالَ لَهُمَا : وَيْحَكُمَا هَذِهِ أَلْفَعَالُ . أَلَمْ أَعَاهِدَكُمَا عَلَى أَنْ لَا تُفْسِدَا
فِي هَذَا الْبُسْتَانِ : فَقَالَا لَهُ : قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ نَا لَمْ نَقْدِرْ أَنْ نُصِيبَ إِلَى
شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ . لِأَنَّ أَحَدَنَا مُقْعَدٌ لَا يَهْوِي وَلَا يَهْوِي وَلَا يُبْصِرُ
مَا بَيْنَ يَدَيْهِ . فَمَا ذَنْبُنَا

فَقَالَ لَهَا صَاحِبُ الْبُسْتَانِ: لَمَلِكًا تَظُنَّ أَنْ آتِي لَسْتُ أَذْرِي كَيْفَ
صَنَعْتُمَا وَكَيْفَ أَفْسَدْتُمَا فِي بُسْتَانِي. كَأَنِّي بِكَ أَيُّهَا الْأَعْمَى قَدْ قُتَّ
وَحَمَلْتَ الْمَقْعَدَ عَلَى ظَهْرِكَ. وَصَارَ يَهْدِيكَ السَّبِيلَ حَتَّى أَوْصَلْتَهُ إِلَى
الشَّجَرِ: ثُمَّ إِنَّهُ أَخَذَهُمَا وَعَاقَبَهُمَا عُقُوبَةً شَدِيدَةً وَأَخْرَجَهُمَا مِنَ الْبُسْتَانِ
فَالْأَعْمَى مِثَالُ الْجَسَدِ. لِأَنَّهُ لَا يُبْصِرُ إِلَّا بِالنَّفْسِ. وَالْمَقْعَدُ
مِثَالُ النَّفْسِ الَّتِي لَا حَرَكَةَ لَهَا إِلَّا بِالْجَسَدِ. وَأَمَّا الْبُسْتَانُ فَإِنَّهُ مِثَالُ
لِلْعَمَلِ الَّذِي يُجَازَى بِهِ الْعَبْدُ. وَالنَّاظِرُ مِثَالُ الْعَمَلِ الَّذِي يَأْمُرُ بِالْخَيْرِ
وَيَنْهَى عَنِ الشَّرِّ. فَالرُّوحُ وَالْجَسَدُ مُشْتَرِكَانِ فِي الْعِقَابِ وَالْثَوَابِ
قَالَ شِمَاسٌ: صَدَقْتَ وَقَدْ قَاتَ مِنْكَ ذَلِكَ. فَأَخْبِرْنِي عَنْ
الْعَالِمِ الْعَلِيمِ. ذِي الرَّأْيِ السَّيِّدِ. وَالْفُطْنَةِ الْوَقَّادَةِ. وَالذَّهْنِ
الْقَائِقِ الرَّائِقِ. هَلْ يُغَيِّرُهُ الْهَوَى وَالشَّهْوَةُ عَنْ هَذِهِ الْحَالَاتِ
الَّتِي ذَكَرْتُ

قَالَ الْعَلَامُ: إِنَّ هَاتَيْنِ الْخَصْلَتَيْنِ إِذَا دَخَلَتَا عَلَى الرَّجُلِ غَيَّرَتَا
عِلْمَهُ وَفَهْمَهُ. وَرَأْيَهُ وَذَهْنَهُ. وَكَانَ مَثَلُهُ مِثْلَ الْعُقَابِ الْكَاسِرِ
الْمُحَادِرِ عَنِ الْقَتْلِ الْقَتِيمِ فِي جَوْ السَّمَاءِ لِقَرِطٍ حَذَقِهِ. فَبَيْنَمَا هُوَ
كَذَلِكَ إِذْ نَظَرَ رَجُلًا صَيَادًا قَدْ نَصَبَ شَرَكَهُ. فَلَمَّا فَرَّغَ الرَّجُلُ
مِنْ نَصْبِ الشَّرَكِ وَضَعَ فِيهِ قِطْعَةَ لَحْمٍ. فَعِنْدَ ذَلِكَ أَبْصَرَ الْعُقَابُ
قِطْعَةَ اللَّحْمِ. فَنَابَ عَلَيْهِ الْهَوَى وَالشَّهْوَةُ حَتَّى لَبَّى مَا شَهِدَ مِنَ
الشَّرَكِ وَمِنْ سُوءِ الْحَالِ لِكُلِّ مَا وَقَعَ مِنَ الطَّارِئِ. فَأَنْتَضَّ مِنْ جَوْ

السَّمَاءَ . حَتَّى وَقَعَ عَلَى قِطْعَةِ اللَّحْمِ . فَأَشْتَبَكَ فِي الشَّرَكِ . فَلَمَّا جَاءَ
الصَّيَّادُ رَأَى الْعُقَابَ فِي شَرَكِهِ . فَتَعَجَّبَ عَجَبًا شَدِيدًا . وَقَالَ : أَنَا
نَصَبْتُ شَرَكِي لِيَقَعَ فِيهِ حَمَامٌ أَوْ نَحْوُهُ مِنَ الطُّيُورِ الضَّعِيفَةِ . فَكَيْفَ
وَقَعَ فِيهِ هَذَا الْعُقَابُ

وَقَدْ قِيلَ إِنَّ الرَّجُلَ الْعَاقِلَ إِذَا حَمَلَهُ أُمُورٌ وَالشَّهْوَةُ عَلَى أَمْرِ
تَدَبَّرَ عَاقِبَةَ ذَلِكَ الْأَمْرِ بِعَقْلِهِ . فَيَمْتَنِعُ مِمَّا حَسَنَاهُ . وَيَقْهَرُ بِعَقْلِهِ
شَهْوَتَهُ وَهَوَاهُ . فَإِذَا حَمَلَهُ أُمُورٌ وَالشَّهْوَةُ عَلَى أَمْرِ . يَنْبَغِي أَنْ يَجْعَلَ
الْعَقْلَ مِثْلَ الْفَارِسِ الْمَاهِرِ فِي فُرُوسِيَّتِهِ . إِذَا رَكِبَ الْفَرَسَ الْأَرْعَنَ
فَإِنَّهُ يَجْذِبُهُ بِاللِّجَامِ الشَّدِيدِ حَتَّى يَسْتَقِيمَ . وَيَمْضِي مَعَهُ عَلَى مَا يُرِيدُ .
وَأَمَّا مَنْ كَانَ سَفِيهًا لَا عِلْمَ لَهُ وَلَا رَأْيَ عِنْدَهُ . وَالْأُمُورُ مُشْتَبِهَةٌ
عَلَيْهِ . وَأُمُورٌ وَالشَّهْوَةُ مُسْلِطَانِ عَلَيْهِ . فَإِنَّهُ يَعْمَلُ بِشَهْوَتِهِ وَهَوَاهُ .
فَيَكُونُ مِنَ الْهَالِكِينَ . وَلَا يَكُونُ فِي النَّاسِ أَسْوَأَ حَالًا مِنْهُ

فَبَعْدَ مَسَائِلَ كَثِيرَةٍ وَحُسْنِ إِصَابَةٍ فِي الْإِجَابَةِ . قَالَ شَمَّاسُ
لِمَلِكٍ جَلِيلٍ : أَيُّهَا الْمَلِكُ . أَنْتَ مَلِكُنَا . وَلَكِنْ نَحْبُ أَنْ تَعْهَدَ لَوْلَدِكَ
بِالْمُلْكِ مِنْ بَعْدِكَ . وَنَحْنُ الْخَوْلُ وَالرَّعِيَّةُ : فَعِنْدَ ذَلِكَ حَثَّ الْمَلِكُ مَنْ
حَضَرَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالنَّاسِ عَلَى أَنْ مَا سَمِعُوهُ مِنْهُ يُحْفَظُونَهُ وَيَمْلُكُونَ بِهِ .
وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَمْتَلُوا أَمْرَ ابْنِهِ فَإِنَّهُ جَعَلَهُ وَبِ عَهْدِهِ مِنْ بَعْدِهِ . لِيَكُونَ
خَلِيفَةً عَلَى مُلْكِ وَالِدِهِ . وَأَخَذَ الْعَهْدَ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ
وَالشُّجْعَانِ وَالشُّوْخِ وَالصَّبِيَّانِ وَبَقِيَّةِ النَّاسِ . أَنْ لَا يَتَخَالَفُوا عَلَيْهِ

وَلَا يَنْكُشُوا عَلَيْهِ أَمْرُهُ. فَلَمَّا أَتَى عَلَى ابْنِ الْمَلِكِ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً.
 مَرَضَ الْمَلِكُ مَرَضًا شَدِيدًا حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى الْمَوْتِ. فَلَمَّا أَتَقَنَ الْمَلِكُ
 أَنَّ الْمَوْتَ قَدْ نُزِلَ بِهِ قَالَ لِأَهْلِهِ: هَذَا دَأُ الْمَوْتِ قَدْ نُزِلَ بِي.
 وَادْعُوا لِي أَقَارِبِي وَوَلَدِي وَاجْمَعُوا لِي أَهْلَ مَمْلَكَتِي. حَتَّى لَا يَبْقَى
 مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَيَحْضُرُ: فَحَرَّجُوا وَنَادُوا النَّاسَ الْقَرِيبِينَ. وَاجْهَرُوا
 بِالنِّدَاءِ لِلنَّاسِ الْبُعِيدِينَ. حَتَّى حَضَرُوا بِاجْمَعِهِمْ وَدَخَلُوا عَلَى الْمَلِكِ.
 ثُمَّ قَالُوا لَهُ: كَيْفَ أَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ. وَكَيْفَ تَرَى لِنَفْسِكَ مِنْ مَرَضِكَ
 هَذَا: قَالَ لَهُمُ الْمَلِكُ: إِنْ مَرَضِي هَذَا هُوَ الَّذِي فِيهِ الْقَاضِيَةُ وَقَدْ نَفَذَ
 السَّهْمُ بِمَا قَدَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيَّ. وَأَنَا الْآنَ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا
 وَأَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الْآخِرَةِ: ثُمَّ قَالَ لِأَبْنِهِ: اذْنُ مِنِّي قَدْ نَأَمِنَهُ الْغَلَامُ.
 وَهُوَ يَبْكِي بُكَاءً شَدِيدًا. حَتَّى كَادَ أَنْ يَبُلَّ فِرَاشَهُ. وَالْمَلِكُ قَدْ دَمَعَتْ
 عَيْنَاهُ وَبَكَى كُلُّ مَنْ حَضَرَ. ثُمَّ قَالَ الْمَلِكُ لَوْلَدِهِ: لَا تَبْكُ يَا ابْنِي.
 فَإِنِّي لَسْتُ بِأَوَّلِ مَنْ جَرَى لَهُ هَذَا الْخُتُومُ لِأَنَّهُ سَارِعٌ عَلَى جَمِيعِ مَا
 خَلَقَهُ اللَّهُ. وَاعْمَلْ خَيْرًا يَسْبِقُكَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي تَقْصِدُهُ جَمِيعُ
 الْخَلَائِقِ. وَلَا تُطْعِمِ الْهَوَى وَأَشْغَلْ نَفْسَكَ بِذِكْرِ اللَّهِ فِي قِيَامِكَ
 وَقُعُودِكَ وَنِظْمَتِكَ وَنَوْمِكَ. وَاجْعَلِ الْحَقَّ نَصَبَ عَيْنِكَ. وَهَذَا آخِرُ
 كَلَامِي مَعَكَ وَالسَّلَامُ

فَقَالَ الْغَلَامُ لِأَبِيهِ: قَدْ عَلِمْتَ يَا أَبَتِ. أَنِّي لَمْ أَزَلْ لَكَ مُطِيعًا.
 وَلَوْ صَيِّتَكَ حَافِظًا. وَلَا مَرِكَ مُنْفِذًا. وَلِرِضَاكَ طَالِبًا. وَأَنْتَ لِي نِعَمٌ

أَلَا بُ . فَكَيْفَ أَخْرَجُ بَعْدَ مَوْتِكَ عَمَّا تَرْضَى بِهِ . وَأَنْتَ بَعْدَ حُسْنِ
 تَرْبِيَّتِي مُفَارِقٌ لِي وَلَا أَقْدِرُ عَلَى رَدِّكَ عَلَيَّ . فَإِذَا حَفِظْتُ وَصِيَّتَكَ
 صِرْتُ بِهَا سَعِيدًا وَصَارَ لِي النَّصِيبُ الْأَكْبَرُ : فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ وَهُوَ
 فِي غَايَةِ الْإِسْتِغْرَاقِ مِنْ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ : يَا بُنَيَّ . أُلْزِمَ عَشْرَ خِصَالٍ
 يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . وَهُنَّ : إِذَا اغْتَضَتْ فَانْكُحْهُمْ غِيْظَكَ .
 وَإِذَا بُلِيتَ فَأَصْبِرْ . وَإِذَا نَطَقْتَ فَأَصْدُقْ . وَإِذَا وَعَدْتَ فَأَوْفِ . وَإِذَا
 حَكَمْتَ فَأَعْدِلْ . وَإِذَا قَدَرْتَ فَأَعْفُ . وَأَكْرِمْ قَوَادِكَ . وَاصْفَحْ عَنْ
 أَعْدَائِكَ . وَأَبْذُلْ مَعْرُوفَكَ لِعَدُوِّكَ . وَكُفَّ أَذَاكَ عَنْهُ . وَأُلْزِمَ أَيْضًا
 عَشْرَ خِصَالٍ أُخْرَى يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا فِي أَهْلِ مَمْلَكَتِكَ وَهِيَ : إِذَا
 قَسَمْتَ فَأَعْدِلْ . وَإِذَا عَاقَبْتَ بِحَقٍّ فَلَا تَتَجَبَّرْ . وَإِذَا عَاهَدْتَ فَأَوْفِ
 بِعَهْدِكَ . وَأَقْبَلِ التَّضَعُّعَ . وَاتْرُكِ الْحِجَابَةَ . وَأُلْزِمَ الرِّعْيَةَ بِالْإِسْتِقَامَةِ
 عَلَى الشَّرَائِعِ وَالسُّنَنِ الْحَمِيدَةِ . وَكُنْ حَاكِمًا عَادِلًا بَيْنَ النَّاسِ . حَتَّى
 يُحِبُّكَ كَبِيرُهُمْ وَصَغِيرُهُمْ وَيَخَافُكَ عَاتِيَهُمْ وَمُفْسِدُهُمْ : ثُمَّ قَالَ
 لِلْحَاضِرِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْأَمْرَاءِ . الَّذِينَ كَانُوا حَاضِرِينَ عَهْدَهُ لَوْلَا
 بِالْمَلِكِ مِنْ بَعْدِهِ : يَا أَكْبَرُ وَمُخَالَفَةُ أَمْرِ مَلِكِكُمْ . وَتَرْكُ الْإِسْتِمَاعِ
 لِكَبِيرِكُمْ . فَإِنَّ فِي ذَلِكَ هَلَاكًا لِأَرْضِكُمْ . وَتَهْلُكُهَا لَجْمِعِكُمْ . وَضَرَرًا
 لِأَبْدَانِكُمْ وَتَلَفًا لِأَمْوَالِكُمْ فَتَشَمَّتْ بِكُمْ أَعْدَاؤُكُمْ . وَهَا أَنْتُمْ عَلِمْتُمْ
 مَا عَاهَدْتُمُونِي عَلَيْهِ . فَهَكَذَا يَكُونُ عَهْدُكُمْ مَعَ هَذَا الْغَلَامِ وَالْمِثَاقِ
 الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ يَكُونُ أَيْضًا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ . وَعَالِيكُمْ بِالْإِسْمَاعِ وَالطَّاعَةِ

لَا تَرِهِ . لِأَنَّ فِي ذَلِكَ صَلَاحَ أَحْوَالِكُمْ . وَأَنْتُمْ مَعَهُ عَلَى مَا كُنْتُمْ
مَعِيَ فَتَسْتَقِيمُ أُمُورُكُمْ وَيَحْسُنَ حَالُكُمْ وَهَذَا هُوَذَا مَلِكُكُمْ وَوَلِيُّ
نِعْمَتِكُمْ وَالسَّلَامَةُ : ثُمَّ بَعْدَ هَذَا اشْتَدَّتْ بِهِ سَكْرَاتُ الْمَوْتِ . وَالتَّجَمُّ
لِسَانِهِ . فَضَمَّ ابْنَهُ إِلَيْهِ وَقَبَّلَهُ وَشَكَرَ اللَّهُ ثُمَّ قَضَى نَحْبَهُ . وَطَلَعَتْ
رُوحُهُ . فَخَاحَ عَلَيْهِ جَمِيعُ رَعِيَّتِهِ وَأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ . ثُمَّ إِنَّهُمْ كَفَّنُوهُ وَدَفَنُوهُ
بِالْكِرَامِ . وَتَجَيَّلَ وَإِعْظَامُ . ثُمَّ رَجَعُوا وَالْغُلَامُ مَعَهُمْ . فَأَلْبَسُوهُ حُلَّةَ
الْمَلِكِ . وَتَوَجَّهَ بِتَاجِ الْوَلَدِ . وَأَلْبَسُوهُ الْخَاتَمَ فِي أَصْبَعِهِ وَأَجَاسُوهُ عَلَى
سَرِيرِ الْمَلِكِ . فَسَارَ الْغُلَامُ فِيهِمْ بِسِيرَةِ أَبِيهِ بِالْحِلْمِ وَالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ
مُدَّةَ يَسِيرَةٍ . ثُمَّ تَرَضَّتْ لَهُ الدُّنْيَا وَجَذَبَتْهُ إِشْهَوَاتُهَا . فَاسْتَغْنَمَ لَذَائِهَا
وَأَقْبَلَ عَلَى زَخَارِفِ أُمُورِهَا وَتَرَكَ مَا كَانَ قَلَدَهُ أَبْرَهُ مِنَ الْوَأَثِيقِ .
وَنَبَذَ الطَّاعَةَ لِوَالِدِهِ وَأَهْمَلَ مَمْلَكَتَهُ . وَمَشَى فِي مَا فِيهِ هَلَكَهُ مُدَّةً
مِنَ الزَّمَانِ . إِلَّا أَنَّهُ بَعْدَ عَسْفِهِ عَادَ إِلَى حُسْنِ السَّيْرِ وَالسِّيَاسَةِ .
وَهَذَا مَا أَنْتَهَى إِلَيْهِ أَمْرُ الْمَلِكِ جُلَيْعَادَ وَوَلَدِهِ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لَا يَنْتَهِي

حكاية الطيور والوحوش

مع ابن آدم

زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ وَسَالِفِ الْعَصْرِ وَالْأَوَانِ .
طَاوُوسٌ يَأْوِي إِلَى جَانِبِ الْبَيْتِ مَعَ زَوْجَتِهِ . وَكَانَ ذَلِكَ الْمَوْضِعُ
كَثِيرَ السَّبَاعِ وَفِيهِ مِنْ سَائِرِ الْوَحُوشِ . غَيْرَ أَنَّهُ كَثِيرُ الْإِنْشَارِ

وَالْأَنْهَارَ . وَذَلِكَ الطَّائُوسُ هُوَ وَزَوْجَتُهُ يَاوِيَانُ إِلَى شَجَرَةٍ مِنْ تِلْكَ
لِأَشْجَارِ لَيْلًا مِنْ خَوْفِهِمَا مِنَ الْوُحُوشِ . وَيَعْدُوَانِ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ
نَهَارًا . وَلَمْ يَزَالَا كَذَلِكَ حَتَّى كَثُرَ خَوْفُهُمَا . فَسَارَا يَبْتَغِيَانِ مَوْضِعًا
غَيْرَ مَوْضِعِهِمَا يَاوِيَانُ إِلَيْهِ . فَبَيْنَمَا هُمَا يَفْتَشَانِ عَلَى مَوْضِعٍ إِذْ ظَهَرَتْ
لَهُمَا جَزِيرَةٌ كَثِيرَةُ الْأَشْجَارِ وَالْأَنْهَارِ . فَتَزَلَا فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ وَكَلَا
مِنْ أَثْمَارِهَا . وَشَرَبَا مِنْ أَنْهَارِهَا . فَبَيْنَمَا هُمَا كَذَلِكَ إِذَا بِبَطَّةٍ أَقْبَلَتْ
فَلَيْسِيهَا . وَهِيَ فِي شِدَّةِ الْفَرْعِ . وَلَمْ تَزَلْ تَسْعَى حَتَّى أَتَتْ إِلَى الشَّجَرَةِ
الَّتِي عَلَيْهَا الطَّائُوسُ هُوَ وَزَوْجَتُهُ . فَاطْمَأْنَنْتَ . فَلَمْ يَشْكُ الطَّائُوسُ
فِي أَنَّ تِلْكَ الْبَطَّةَ لَهَا حِكَايَةٌ عَجِيبَةٌ . فَسَأَلَهَا عَنْ حَالِهَا وَعَنْ سَبَبِ
خَوْفِهَا . فَقَالَتْ : إِنِّي مَرِيضَةٌ مِنَ الْحُزَنِ وَخَوْفِي مِنْ ابْنِ آدَمَ . فَحَذَارِ
حَذَارٍ مِنْ بَنِي آدَمَ : فَقَالَ لَهَا الطَّائُوسُ : لَا تَخَافِي حَيْثُ رَصَاتِ إِلَيْنَا :
فَقَالَتِ الْبَطَّةُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَرَّحَ هُمَيَّ وَعَمِي بِشُرَيْكِمَا . وَقَدْ أَتَيْتُ
رَاعِبَةً فِي مَوَدَّتِكُمَا : فَلَمَّا فَرَعْتُ مِنْ كَلَامِهَا . تَزَلْتُ إِلَيْهَا زَوْجَتُهُ
الطَّائُوسُ وَقَالَتْ لَهَا : أَهَلًا وَسَهْلًا . لَا بَأْسَ عَلَيْكِ . وَمِنْ أَيْنَ يَصِلُ
إِلَيْنَا ابْنُ آدَمَ وَتَحْنُ فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ الَّتِي فِي وَسْطِ الْبَحْرِ . فَوَيْلَ
الْبَرِّ لَا يَمْدُرُ أَنْ يَصِلَ إِلَيْنَا . وَمِنْ الْبَحْرِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَطْلُعَ عَلَيْنَا
فَأَبْشِرِي وَحَدِيثِنَا بِالَّذِي زَلَّ بِكَ وَاعْتَرَاكِ مِنْ ابْنِ آدَمَ : فَقَالَتِ
الْبَطَّةُ : أَعْلَمِي أَنَّهَا الطَّائُوسَةُ . أَنَّنِي فِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ طَوَّلَ عُمْرِي
أَمِنَةً لَا أَرَى مَكْرُوهًا . فَمِنْتُ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي . فَرَأَيْتُ صُورَةَ

ابن آدم وهو يُخاطِبني وأخطبهُ . وَسَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ لِي : أَيَّتَهَا
الْبَطْطَةُ . أَحْذَرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ . وَلَا تَغْتَرِي بِكَلَامِهِ . وَلَا يَمَّا
يُدْخِلُهُ عَلَيْكَ . فَإِنَّهُ كَثِيرُ الْحِيلِ وَالْحِدَاعِ . فَالْحَذَرُ كُلُّ الْحَذَرِ
مِنْ مَكْرِهِ فَإِنَّهُ يُخَادِعُ مَا كَرُّ . كَمَا قَالَ فِيهِ الشَّاعِرُ
يُعْطِيكَ مِنْ طَرَفِ الْإِنْسَانِ حَلَاوَةً وَيَرْوَعُ مِنْكَ كَمَا يَرْوَعُ الشَّعْبُ
وَأَعْلَمِي أَنَّ ابْنَ آدَمَ يَحْتَالُ عَلَى الْحَيَاتَانِ . فَيُخْرِجُهُمَا مِنَ الْجَارِ .
وَيَرْمِي الطَّيْرَ بِنِدْفَةٍ مِنْ طِينٍ . وَيُوقِعُ الْفِيلَ بِمَكْرِهِ . وَابْنُ آدَمَ
لَا يَسْلَمُ أَحَدٌ مِنْ شَرِّهِ . وَلَا يَنْجُو طَيْرٌ وَلَا وَحْشٌ . وَقَدْ بَلَغْتُكَ مَا
سَمِعْتُهُ عَنْ ابْنِ آدَمَ . فَاسْتَيْقِظْتُ مِنْ مَنَامِي خَائِفَةً مَرْعُوبَةً . وَأَنَا
إِلَى الْآنَ لَا يَنْشَرِحُ صَدْرِي خَوْفًا عَلَى نَفْسِي مِنْ ابْنِ آدَمَ . لِئَلَّا
يَذْهَبَ بِيحِيلَتِهِ وَيَصِيدَنِي بِحَبَائِلِهِ . وَلَمْ يَأْتْ عَلَيَّ آخِرُ النَّهَارِ إِلَّا
وَقَدْ ضَعُفْتُ قُوَّتِي . وَبَطَلَتْ هِمَّتِي . ثُمَّ إِنِّي أَشْتَقْتُ إِنْ الْأَكْلَ
وَالشَّرْبَ . فَخَرَجْتُ أَتَمَشِّي وَخَاطِرِي مُكَدَّرٌ . وَقَلْبِي مَقْبُوضٌ . فَلَمَّا
وَصَلْتُ إِلَى ذَلِكَ الْجَبَلِ . وَجَدْتُ عَلَى بَابِ مَعَارَةِ شِبْلًا أَصْفَرَ اللونِ .
فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ الشِّبْلَ فَرِحَ بِي فَرَحًا شَدِيدًا وَأَعْجَبَهُ لَوْنِي وَكَوْنِي
لَطِيفَةَ الذَّاتِ . فَصَاحَ عَلَيَّ وَقَالَ لِي : أَقْرُبِي مِنِّي . فَأَمَّا قُرْبْتُ مِنْهُ قَالَ
لِي : مَا أَتَمُّكَ . وَمَا جَنَسُكَ . فَقُلْتُ لَهُ : أَشْيِي بَطْطَةً . وَأَنَا مِنْ جِنْسِ
الطُّيُورِ . ثُمَّ قُلْتُ لَهُ : مَا سَبَبُ قُعُودِكَ إِلَى هَذَا الْوَقْتِ فِي هَذَا
الْمَكَانِ . فَقَالَ الشِّبْلُ : سَبَبُ ذَلِكَ . أَنَّ وَالِدِي الْأَسَدَ لَهُ أَيَّامٌ

وَهُوَ يُحَذِّرُنِي مِنْ ابْنِ آدَمَ . فَأَتَّفَقَ أَنِّي رَأَيْتُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ فِي
 مَنَاجِي صُورَةَ ابْنِ آدَمَ . ثُمَّ إِنَّ الشَّيْطَانَ حَكَّى لِي نَظِيرَ مَا حَكَّيْتُهُ لَكَ
 فَلَمَّا سَمِعْتُ كَلَامَهُ . قُلْتُ لَهُ يَا أَسَدُ : إِنِّي قَدْ لَجَأْتُ إِلَيْكَ فِي
 أَنْ تَقْتُلَ ابْنَ آدَمَ . فَإِنِّي أَخَافُ عَلَى نَفْسِي خَوْفًا شَدِيدًا . وَازْدَدْتُ
 خَوْفًا عَلَى خَوْفِي مِنْ خَوْفِكَ مِنْ ابْنِ آدَمَ مَعَ أَنَّكَ سُلْطَانُ الْوُحُوشِ .
 وَمَا زِلْتُ يَا أَخِي أُحَذِّرُ الشَّيْطَانَ مِنْ ابْنِ آدَمَ . وَأَوْصِيهِ بِقَتْلِهِ . حَتَّى
 قَامَ مِنْ وَقْتِهِ وَسَاعَتِهِ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ فِيهِ . وَتَمَشَّى وَتَمَشَّيْتُ
 وَرَاءَهُ . فَفَرَّقَ بَيْنَهُ عَلَى ظَهْرِهِ وَلَمْ يَزَلْ يَتَمَشَّى وَأَنَا أُمَشِّي وَرَاءَهُ
 إِلَى مَفْرَقِ الطَّرِيقِ . فَوَجَدْنَا غَبْرَةَ طَارَتْ . وَبَعْدَ ذَلِكَ أَنْكَشَفَتْ
 الْغَبْرَةَ . فَبَانَ مِنْ تَحْتِهَا حِمَارٌ شَارِدٌ عُريَانٌ . وَهُوَ تَارِدٌ يَتَمِصُّ
 وَيَجْرِي . وَتَارِدٌ يَتَمَرَّغُ . فَلَمَّا رَأَاهُ الْأَسَدُ صَاحَ عَلَيْهِ . فَأَتَى إِلَيْهِ
 خَاضِعًا . فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْحَيَوَانُ الْخَرِفُ الْعَقْلُ . مَا جِئْتُكَ . وَمَا
 سَبَبُ قُدُومِكَ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ : فَقَالَ لَهُ : يَا ابْنَ السُّلْطَانِ أَنَا
 جَنْسِي حِمَارٌ . وَسَبَبُ قُدُومِي إِلَى هَذَا الْمَكَانِ هَرَبِي مِنْ ابْنِ آدَمَ :
 فَقَالَ لَهُ الشَّيْطَانُ : وَهَلْ أَنْتَ خَائِفٌ مِنْ ابْنِ آدَمَ أَنْ يَتَنَلَّكَ : فَقَالَ لَهُ
 الْحِمَارُ : لَا يَا ابْنَ السُّلْطَانِ . وَإِنَّمَا خَوْفِي أَنْ يَعْمَلَ حِيلَةً عَلَيَّ وَيَرْكُبَنِي .
 لِأَنَّ عِنْدَهُ شَيْئًا يُسَمِّيهِ الْبَرْدَعَةَ فَيَجْعَلُهَا عَلَى ظَهْرِي . وَشَيْئًا يُسَمِّيهِ
 الْحِزَامَ . فَيَشُدُّهُ عَلَيَّ بَطْنِي . وَشَيْئًا يُسَمِّيهِ الْجِلَامَ فَيَجْعَلُهُ فِي فَمِي .
 وَيَعْمَلُ لِي مِخْطَاسًا يَنْخُسُنِي بِهِ . وَيَكْفِيَنِي مَا لَا أُطِيقُ مِنَ الْجُرْيِ .

وَإِذَا عَثَرْتُ لَعْنِي . وَإِنْ نَهَتْ شَتْنِي وَبَعْدَ ذَلِكَ إِذَا كَبُرَتْ .
وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى الْجُرْيِ . يَجْعَلُ لِي رَحْلًا مِنَ الْحَشَبِ وَيُسَامِنِي إِلَى
السَّقَاتِ بَيْنَ فَيَحْمِلُونَ الْمَاءَ عَلَى ظَهْرِي مِنَ الْبَحْرِ فِي الْقُرْبِ وَتَحْوِهَا
كَالْجَارِ وَلَا أَزَالُ فِي ذَلِكَ وَهَوَانٍ وَتَعَبٍ حَتَّى أَمُوتَ فَيَرْمُونِي فَوْقَ
أَتَالِيلِ الْكِلَابِ . فَأَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ مِنْ هَذَا أَلْهَمَ . وَأَيُّ مُصِيبَةٍ أَكْبَرُ
مِنْ هَذِهِ الْمَصَائِبِ

فَلَمَّا تِمِغَتْ أُنْيَتُهَا الطَّائِفَةُ كَلَامَ الْحِمَارِ أَقْشَعَرَّ جَسَدِي مِنْ
أَبْنِ آدَمَ وَقُلْتُ لِلشَّيْلِ : يَا سَيِّدِي إِنَّ الْحِمَارَ مَمْدُورٌ . وَقَدْ رَاذَنِي
كَلَامُهُ رُغْبًا عَلَى رُغْبِي : فَقَالَ الشَّيْلُ لِلْحِمَارِ : إِلَى أَيْنَ أَنْتَ سَائِرُ ؟
فَقَالَ لَهُ الْحِمَارُ : إِنِّي نَظَرْتُ أَبْنَ آدَمَ قَبْلَ إِشْرَاقِ الشَّمْسِ مِنْ بَيْدِهِ .
فَقَرَّرْتُ هَرَبًا مِنْهُ . وَهَذَا أَنَا أُرِيدُ أَنْ أَنْطَاقَ . وَلَمْ أَزَلْ أُجْرِي مِنْ
شِدَّةِ خَوْفِي مِنْهُ . لَعَلِّي أَجِدُ لِي مَوْضِعًا يَأْوِينِي مِنْ أَبْنِ آدَمَ الْذَّادِ
فَإِنَّمَا ذَلِكَ الْحِمَارُ يُتَخَدَّثُ مَعَ الشَّيْلِ فِي ذَلِكَ الْكَلَامِ وَهُوَ
يُرِيدُ أَنْ يُودِعَنَا وَيَرْوَحَ . إِذْ ظَهَرَتْ لَنَا غُبْرَةٌ . وَنَظَرَ الْحِمَارُ بَيْنَهُ إِلَى
نَاحِيَةِ الْغُبْرَةِ . فَتَهَقَّ وَصَاحَ . وَبَعْدَ سَاعَةٍ انْكَشَفَتِ الْغُبْرَةُ عَنْ فَرْسِ
أَذْهَمِ بُرَّةٍ كَالَّذِي هَمَّ . وَذَلِكَ الْفَرْسُ ظَرِيفُ الْغُرَّةِ مَلِيحُ التَّحْجِيلِ .
حَسَنُ الْقَوَائِمِ وَالصَّهِيلِ وَلَمْ يَزَلْ يَجْرِي حَتَّى وَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ الشَّيْلِ
أَبْنِ الْأَسَدِ . فَلَمَّا رَأَاهُ الشَّيْلُ اسْتَعْظَمَهُ وَقَالَ لَهُ : مَا جِئْتُكَ أَيُّهَا
الْوَحْشُ الْجَلِيلُ . وَمَا سَبَبُ شُرُودِكَ فِي هَذَا الْبَرِّ الْعَرِيضِ الطَّوِيلِ :

فَقَالَ لَهُ: يَا سَيِّدَ الْوُحُوشِ . أَنَا فَرَسٌ مِنْ جِنْسِ الْخَيْلِ . وَسَبَبُ
 سُرُودِي هَرَبِي مِنْ ابْنِ آدَمَ : فَتَجَبَّ السَّيْلُ مِنْ كَلَامِ الْفَرَسِ وَقَالَ
 لَهُ: لَا تَقُلْ هَذَا الْكَلَامَ . فَإِنَّهُ عَيْبٌ عَلَيْكَ : وَأَنْتَ طَوِيلٌ غَلِيظٌ
 وَكَيْفَ تَخَافُ مِنْ ابْنِ آدَمَ مَعَ عَظَمِ جُنَّتِكَ . وَسُرْعَةَ جَرِيكِ : وَأَنَا مَعَ
 صِفْرِ جَنْسِي قَدْ عَزَمْتُ عَلَى أَنْ أَلْتَقِيَ مَعَ ابْنِ آدَمَ فَأَبْطِشَ بِهِ
 وَآكَلَ لَحْمَهُ وَأَسَكَّنَ رَوْعَ هَذِهِ الْبَطَّةِ الْمُسَكِّنَةِ وَأَقْرَهَا فِي وَطْنِهَا .
 وَهَآ أَنْتَ لَمَّا أَتَيْتَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ قَطَعْتَ قَلْبِي بِكَالِمِكَ وَأَرْجَعْتَنِي
 عَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَفْعَلَهُ . فَإِذَا كُنْتَ أَنْتَ مَعَ عَظَمِكَ قَدْ قَهَرْتَ ابْنَ آدَمَ .
 وَلَمْ يَخَفْ مِنْ طَوْلِكَ وَعَرَضِكَ مَعَ أَنَّكَ لَوْ رَفَسْتَهُ بِرِجْلِكَ لَقَتَلْتَهُ
 وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْكَ بَلْ تَسْقِيهِ كَأْسَ الرَّدَى : فَضَحِكَ الْفَرَسُ لَمَّا سَمِعَ
 كَلَامَ السَّيْلِ وَقَالَ: هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ أَنْ أَغْلِبَهُ يَا ابْنَ الْمَلِكِ . فَلَا يَفْرُكُ
 طَوْلِي وَلَا عَرَضِي وَلَا ضَخَامَتِي مِنْ ابْنِ آدَمَ . لِأَنَّهُ مِنْ شِدَّةِ حَيْلِهِ وَمَكْرِهِ
 يَصْنَعُ لِي شَيْئًا يُقَالُ لَهُ الشُّكَالُ . وَيَضَعُ فِي أَرْبَعِ قَوَائِمِي شِكَاكِينَ
 مِنْ جِبَالِ الْإِيفِ الْمُتَوَفَّةِ بِاللَّبَادِ وَيَصْلُبُنِي مِنْ رَأْسِي فِي وَتْدٍ عَالٍ وَابْقَى
 وَاقِفًا وَأَنَا مَضْلُوبٌ لَا أَقْدِرُ أَنْ أَقْعُدَ وَلَا أَزَامَ . وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَبَنِي
 يَعْمَلُ لِي شَيْئًا فِي رِجْلِهِ مِنَ الْحَدِيدِ اسْمُهُ الرِّكَابُ وَيَضَعُ عَلَى ظَهْرِي
 شَيْئًا يُسَمِّيهِ السَّرَجَ وَيَشْدُهُ بِحِزَامِينَ مِنْ تَحْتِ إِبْطِي وَيَضَعُ فِي فَمِي
 شَيْئًا مِنَ الْحَدِيدِ يُسَمِّيهِ الْجَامَ وَيَضَعُ فِيهِ شَيْئًا مِنَ الْجِلْدِ يُسَمِّيهِ الصَّرْعَ .
 فَإِذَا رَكِبَ فَوْقَ ظَهْرِي عَلَى السَّرَجِ يَمْسِكُ الصَّرْعَ بِيَدِهِ وَيَهْدُونِي

بِهِ وَيَهْزُنِي بِالرَّكَابِ فِي خَوَاصِرِي حَتَّى يُذَيِّبَهَا . وَلَا تَسْأَلُ
يَا ابْنَ السُّلْطَانِ عَمَّا أَقَابِيهِ مِنْ ابْنِ آدَمَ . فَإِذَا كَبُرْتُ وَأَتَحَلَّلَ
ظَهْرِي وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى سُرْعَةِ الْجُرْيِ . يَبِيعُنِي لِلطَّحَّانِ لِيُدَوِّرَنِي فِي
الطَّاحُونَ . فَلَا أَرُلُ دَائِرًا فِيهَا لَيْسًا وَنَهَارًا إِلَى أَنْ أَهْرَمَ فَيَبِيعُنِي
لِلْجَزَّارِ فَيَذْبَحْنِي وَيَسْلَخُ جِلْدِي وَيَتَفُّ ذَنْبِي وَيَبِيعُهُمَا لِلْغَرَابِلِيِّ
وَالْمَنَاخِلِيِّ وَيَسْلَخُ شَعْبِي

فَلَمَّا سَمِعَ الشَّيْطَانُ كَلَامَ الْفَرَسِ أَزْدَادَ غَيْظًا وَعَمَّا وَقَالَ لَهُ : مَتَى
فَارَقْتَ ابْنَ آدَمَ : قَالَ فَارَقْتُهُ نِصْفَ النَّهَارِ وَهُوَ فِي أَثَرِي : فَيَنَامُ
الشَّيْطَانُ يُتَحَدَّثُ مَعَ الْفَرَسِ بِهَذَا الْكَلَامِ إِذَا بَغَبَرَتْ ثَارَتْ . وَبَعْدَ ذَلِكَ
انْكَشَفَتِ الْعَبْرَةُ وَبَانَ مِنْ تَحْتِهَا جَمَلٌ هَائِجٌ وَهُوَ يُبْمَعُ وَيَخْطُبُ بِرِجْلَيْهِ
فِي الْأَرْضِ وَلَمْ يَزَلْ يَفْعَلُ كَذَلِكَ حَتَّى وَصَلَ إِلَيْنَا . فَلَمَّا رَأَى الشَّيْطَانُ
كَبِيرًا غَلِيظًا ظَنَّ أَنَّهُ ابْنُ آدَمَ فَأَرَادَ الْوُثُوبَ عَلَيْهِ . فَقَالَتْ لَهُ : يَا ابْنَ
السُّلْطَانِ . إِنْ هَذَا مَا هُوَ ابْنُ آدَمَ . وَإِنَّمَا هَذَا جَمَلٌ وَكَأَنَّهُ هَارِبٌ
مِنْ ابْنِ آدَمَ . فَيَنَامُ أَنَا يَا أَخْتِي مَعَ الشَّيْطَانِ فِي هَذَا الْكَلَامِ . وَإِذَا
يَا جَمَلُ تَقَدَّمَ بَيْنَ أَيْدِي الشَّيْطَانِ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ . فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ
وَنَالَ لَهُ : مَا سَبَبُ حَيْجِكَ فِي هَذَا الْمَسْكَانِ : قَالَ : حِجَّتُ هَارِبًا مِنْ
ابْنِ آدَمَ : قَالَ لَهُ الشَّيْطَانُ : وَأَنْتَ مَعَ عَظَمِ خَلْقَتِكَ وَطَوْلِكَ وَعَرَضِكَ
كَيْفَ تَخَافُ مِنْ ابْنِ آدَمَ وَلَوْ رَفَضْتَهُ بِرِجْلِكَ رَفْصَةً لَقَتَلْتَهُ : فَقَالَ لَهُ
الْجَمَلُ : يَا ابْنَ السُّلْطَانِ . أَعْلَمُ أَنَّ ابْنَ آدَمَ لَهُ دَوَاهٍ لَا تُطَاقُ وَمَا

يَغْلِبُهُ إِلَّا الْمَوْتُ . لِأَنَّهُ يَضَعُ فِي أَفْئِي خَيْطًا وَيُسَمِّيهِ خَزَامًا وَيَجْعَلُ فِي
رَأْسِي مِثْوَدًا وَيُسَامِنِي إِلَى أَصْغَرِ أَوْلَادِهِ فَيَجُرُّنِي الْوَلَدُ الصَّغِيرُ بِالْخَيْطِ
مَعَ كِبَرِي وَعِظْمِي وَيَحْمِلُونِي أَنْثَلُ الْأَحْمَالِ وَيُسَافِرُونَ بِي الْأَسْفَارَ
الطَّوَالَ وَيَسْتَمْعِلُونَنِي فِي الْأَشْمَالِ الشَّاقَّةِ آثَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ .
وَإِذَا كَبُرْتُ وَشَحْتُ أَوْ انْكَسَرْتُ . فَلَا يَحْفَظُ صُحْبَتِي بَلْ يَبْغِي لِلْجَزَارِ
فَيْذَبْحَنِي وَيَبِيعُ جُلْدِي لِلدَّبَّاعِينَ وَلَحْمِي لِلطَّبَّاخِينَ . وَلَا تَسْأَلُ عَمَّا أَقَاسِي
مِنْ ابْنِ آدَمَ : فَقَالَ لَهُ الشَّيْطَانُ : أَيَّ وَقْتٍ فَارَقْتَ ابْنَ آدَمَ : فَقَالَ :
فَارَقْتُهُ وَقْتَ الْغُرُوبِ . وَأَظْنُهُ يَأْتِي عِنْدَ انْصِرَافِي . فَلَا يَجِدُنِي فَيَسْمَعِي
فِي طَلْبِي . فَدَعَنِي يَا ابْنَ السُّلْطَانِ حَتَّى أَهْجَى فِي الْبَرَارِيِّ وَالْقَنَارِ :
فَقَالَ الشَّيْطَانُ : تَهْمَلُ وَلَيْلًا يَا جَمَلُ . حَتَّى تَنْظُرَ كَيْفَ أَفْتَرِسُهُ وَأُطْعَمَكَ مِنْ
لَحْمِهِ وَأَهْشِمَ عُظْمَهُ وَأَشْرَبَ مِنْ دَمِهِ : فَنَالَ لَهُ الْجَمَلُ : يَا ابْنَ السُّلْطَانِ .
أَنَا خَائِفٌ عَلَيْكَ مِنْ ابْنِ آدَمَ . فَإِنَّهُ مُخَادِعٌ مَآكِرٌ . ثُمَّ أَنْشَدَ
قَوْلَ الشَّاعِرِ

إِذَا حَالَ الثَّقِيلُ بِأَرْضِ قَوْمٍ فَمَا لِلْسَّاكِنِينَ سِوَى الرَّحِيلِ
وَيْنَمَا الْجَمَلُ يَتَحَدَّثُ مَعَ الشَّيْطَانِ فِي هَذَا الْكَلَامِ . وَإِذَا بَغَرَةً
طَلَعَتْ . وَبَعْدَ سَاعَةٍ انْكَشَفَتْ عَنْ شَيْخٍ قَصِيرٍ رَقِيقٍ الْبَشَرَةِ . عَلَى
كَفِّهِ مِقْطَفٌ فِيهِ عُدَّةُ تِجَارٍ . وَعَلَى رَأْسِهِ شُعْبَةٌ وَثَمَانِيَةُ الْوَلَحِ .
وَبِيَدِهِ أَقْقَالٌ صِغَارٌ . وَهُوَ يَهْرُولُ فِي مَشْيِهِ . وَمَا زَالَ يَمْشِي
حَتَّى قَرُبَ مِنَ الشَّيْطَانِ . فَلَمَّا رَأَيْتُهُ يَا أَخِي . وَقَعْتُ مِنْ شِدَّةِ

الْخَوْفِ . وَأَمَّا السَّبَلُ فَإِنَّهُ قَامَ وَتَمَشَّى إِلَيْهِ وَلَاقَاهُ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ
صَحِيحُ النَّجَّارِ فِي وَجْهِهِ . وَقَالَ لَهُ بِإِسَانٍ فَصِيحٍ : أَيُّهَا الْمَلِكُ الْجَلِيلُ .
صَاحِبُ الْبَاعِ الطَّوِيلِ . أَسَمِعَ اللَّهُ مَسَاءَكَ وَمَسَاءَكَ . وَزَادَ فِي
شَجَاعَتِكَ وَقَوَاكَ . أَجَرَنِي مِمَّا دَهَانِي . وَابْشِرْهُ رَمَانِي . لِأَنِّي مَا
وَجَدْتُ لِي نَصِيرًا غَيْرَكَ : ثُمَّ إِنَّ النَّجَّارَ وَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ الْأَسَدِ
وَبَكَى . وَأَنَّ وَأَشْتَكِي . فَلَمَّا سَمِعَ السَّبَلُ بُكَاءَهُ وَشَكْوَاهُ . قَالَ لَهُ :
أَجَرْتُكَ مِمَّا تَخْشَاهُ . فَمَنْ الَّذِي قَدْ ظَلَمَكَ . وَمَا أَنْتَ تَكُونُ أَيُّهَا
الْوَحْشُ . الَّذِي مَا رَأَيْتُ غَيْرِي مِثْلَكَ . وَلَا أَحْسَنَ صُورَةً . وَلَا
أَفْصَحَ لِسَانًا مِنْكَ . فَمَا شَأْنُكَ : فَقَالَ لَهُ النَّجَّارُ : يَا سَيِّدَ الْوَحُوشِ :
أَمَّا أَنَا فَتَجَّارٌ : وَأَمَّا الَّذِي ظَلَمَنِي فَإِنَّهُ ابْنُ آدَمَ وَفِي صَبَاحِ هَذِهِ
الَّيْلَةِ يَكُونُ عِنْدَكَ فِي هَذَا الْمَكَانِ : فَلَمَّا سَمِعَ السَّبَلُ مِنَ النَّجَّارِ
هَذَا الْكَلَامَ . تَبَدَّلَ الضِّيَاءُ فِي وَجْهِهِ بِالظُّلَامِ . وَشَخَرَ وَنَحَرَ
وَارْتَمَتْ عَيْنَاهُ بِالْأَشْرَارِ . وَصَاحَ وَقَالَ : وَاللَّهِ لَأَسْهَرَنَّ فِي هَذِهِ
الَّيْلَةِ إِلَى الصَّبَاحِ . وَلَا أَرْجِعُ إِلَى وَالِدِي حَتَّى أَبْلُغَ مَهْصِدِي : ثُمَّ
إِنَّ السَّبَلُ انْتَفَتَحَ إِلَى النَّجَّارِ وَقَالَ لَهُ : إِنِّي أَرَى خَطَايَاكَ قَصِيرَةً
وَلَا أَقْدِرُ أَنْ أَكْبِرَ بِخَطِيرِكَ . لِأَنِّي ذُو مَرُوءَةٍ وَأَظُنُّ أَنَّكَ لَا تَقْدِرُ
أَنْ تُمَاشِي الْوَحُوشَ . فَأَخْبِرْنِي إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ : فَقَالَ لَهُ النَّجَّارُ :
أَعْلَمُ أَنَّ نِيَّ رَاجِعٌ إِلَى وَزِيرٍ وَالِدِكَ الْقَهْدِ . لِأَنَّهُ لَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ ابْنَ
آدَمَ دَاسَ هَذِهِ الْأَرْضَ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ خَوْفًا عَظِيمًا وَأَرْسَلَ

إِلَى رَسُولَا مِنَ الْوُحُوشِ لِأَضْعَ لَهُ بَيْتًا يَسْكُنُ فِيهِ وَيَأْوِي إِلَيْهِ
وَيَمْنَعُ عَنْهُ عَدُوَّهُ حَتَّى لَا يَصِلَ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ بَنِي آدَمَ . فَلَمَّا جَاءَ نِي
الرَّسُولُ أَخَذَتْ هَذِهِ الْأَلْوَاحَ وَتَوَجَّهَتْ إِلَيْهِ : فَلَمَّا سَمِعَ الشَّيْلُ
كَلَامَ النَّجَّارِ . أَخَذَهُ الْحَسَدُ لِلْفَهْدِ . فَقَالَ لَهُ : بِحَيَاتِي لَا بُدَّ أَنْ
تَضَعَ لِي هَذِهِ الْأَلْوَاحَ بَيْتًا قَبْلَ أَنْ تَضَعَ لِلْفَهْدِ بَيْتَهُ . وَإِذَا
فَرَعْتَ مِنْ شُغْلِي فَأَمْضِ إِلَى الْفَهْدِ وَأَضْعَ لَهُ مَا يُرِيدُ : فَلَمَّا سَمِعَ
النَّجَّارُ مِنَ الشَّيْلِ هَذَا الْكَلَامَ قَالَ لَهُ : يَا سَيِّدَ الْوُحُوشِ . مَا
أَقْدِرُ أَنْ أَضْعَ لَكَ شَيْئًا إِلَّا إِذَا صَنَعْتُ لِلْفَهْدِ مَا يُرِيدُ . ثُمَّ أَجَبَنِي
إِلَى خِدْمَتِكَ وَأَضْعَ لَكَ بَيْتًا يُحَصِّنُكَ مِنْ عَدُوِّكَ : فَقَالَ لَهُ
الشَّيْلُ : وَاللَّهِ مَا أَخْلَيْكَ تَرُوحُ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ حَتَّى تَضَعَ لِي
هَذِهِ الْأَلْوَاحَ بَيْتًا : ثُمَّ إِنَّ الشَّيْلَ هَمَّ عَلَى النَّجَّارِ وَوَبَّ عَلَيْهِ .
وَأَرَادَ أَنْ يَمْزَحَ مَعَهُ فَلَطَسَهُ بِيَدِهِ فَرَمَى الْمِقْطَفَ مِنْ عَلَى كَفِّهِ
وَوَقَعَ النَّجَّارُ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ . فَضَحِكَ الشَّيْلُ عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ : وَبِئْسَ
يَا نَجَّارُ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَمَا لَكَ قُوَّةٌ فَأَنْتَ مَعْدُورٌ إِذْ خِفْتَ مِنْ
ابْنِ آدَمَ : فَلَمَّا وَقَعَ النَّجَّارُ عَلَى ظَهْرِهِ . اغْتَاظَ غَيْظًا شَدِيدًا وَلَكِنَّهُ
كَتَمَ ذَلِكَ عَنْ الشَّيْلِ مِنْ خَوْفِهِ مِنْهُ . فَقَعَدَ النَّجَّارُ عَلَى حِيلِهِ
وَضَحَكَ فِي وَجْهِهِ وَقَالَ لَهُ : هَا أَنَا أَضْعُ لَكَ الْبَيْتَ : ثُمَّ إِنَّ
النَّجَّارَ تَنَاوَلَ الْأَلْوَاحَ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُ وَسَمَّرَ الْبَيْتَ وَجَعَلَهُ مِثْلَ
الْقَالِبِ عَلَى قِيَاسِ الشَّيْلِ وَخَلَّى بَابَهُ مَفْتُوحًا . لِأَنَّهُ جَعَلَهُ عَلَى

صُورَةِ الصُّنْدُوقِ وَفَتَحَ لَهُ طَاقَةَ كَبِيرَةً وَجَمَلَ لَهَا غِطَاءً كَبِيرًا
وَتَمَبَّ فِيهِ ثَمَبًا كَثِيرَةً وَأَخْرَجَ مِنْهَا مَسَامِيرَ مُطَرَفَةً وَقَالَ لِالشَّيْلِ :
أَدْخُلْ فِي هَذَا أَلَيْتَ مِنْ هَذِهِ الطَّاقَةِ حَتَّى أَقِيسَهُ عَلَيْكَ : فَفَرَحَ
الشَّيْلُ بِذَلِكَ وَأَتَى إِلَى تِلْكَ الطَّاقَةِ فَرَأَاهَا ضَمِيمَةً . فَقَالَ لَهُ التَّجَّارُ :
أَدْخُلْ وَأَتْرُكْ عَلَى يَدَيْكَ وَرِجْلَيْكَ : فَعَمَلَ الشَّيْلُ ذَلِكَ وَدَخَلَ
الصُّنْدُوقَ فَبَقِيَ ذَنْبُهُ خَارِجًا فِي آخِرِهِ . فَأَرَادَ الشَّيْلُ أَنْ يَتَأَخَّرَ
إِلَى وَرَائِهِ وَيَخْرُجَ . فَقَالَ لَهُ التَّجَّارُ : أَهْلُ وَأَصِيرْ حَتَّى أَنْظُرَ هَلْ
يَسَعُ ذَنْبُكَ مَعَكَ : فَأَمْتَلَّ الشَّيْلُ أَمْرَهُ . ثُمَّ إِنَّ التَّجَّارَ لَفَّ ذَنْبَ
الشَّيْلِ وَحَسَاهُ فِي الصُّنْدُوقِ وَرَدَّ اللَّوْحَ عَلَى الطَّاقَةِ سَرِيحًا وَتَمَرَهُ .
فَصَاحَ الشَّيْلُ قَائِلًا : يَا تَجَّارُ مَا هَذَا أَلَيْتَ الَّذِي صَنَعْتَهُ لِي . دَعْنِي
أَخْرُجَ مِنْهُ : فَقَالَ لَهُ التَّجَّارُ : هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ . لَا يَنْفَعُ النَّدَمُ عَلَى مَا قَاتَ .
إِنَّكَ لَا تَخْرُجُ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ : ثُمَّ ضَمَّكَ أَنْجَارٌ وَقَالَ لِالشَّيْلِ : إِنَّكَ
وَقَعْتَ فِي الْهَقَمِ وَمَا بَقِيَ لَكَ خَلَاصٌ مِنْ ضِيقِ الْأَقْصَاصِ يَا أَخْبَثَ
الْوُحُوشِ : فَمَالَ : يَا أَخِي مَا هَذَا الْحُطَّابُ الَّذِي تُحَاطِنِي بِهِ : فَقَالَ لَهُ
التَّجَّارُ : أَعْلَمْ يَا كَلْبَ الْبَرِّ . أَنَّكَ قَدْ وَقَعْتَ فِي مَا كُنْتَ تَخَافُ مِنْهُ
وَقَدْ رَمَاكَ الْقَدَرُ وَلَمْ يَفْعَكَ الْحَذَرُ : فَلَمَّا تَمَعَ الشَّيْلُ كَلَامَهُ يَا أَخِي
عَلِمَ أَنَّهُ ابْنُ آدَمَ الَّذِي حَذَّرَهُ مِنْهُ أَبُوهُ فِي الْيَهَنَّةِ وَالْهَاتِفُ فِي الْأَنَامِ .
وَأَنَّا نَحْقِيقُ أَنَّهُ هُوَ الْإِلَهِ الْوَاحِدُ وَلَا رَيْبَ وَخِشْتُ مِنْهُ عَلَى نَفْسِي خَوْفًا
عَظِيمًا وَبَعُدْتُ عَنْهُ قَلِيلًا وَصِرْتُ أَنْتَظِرُ مَاذَا يَفْعَلُ بِالشَّيْلِ . فَرَأَيْتُ

يَا أُخْتِي ابْنِ آدَمَ حَفَرَ حُفْرَةً فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ بِالْقُرْبِ مِنَ
الْعُصْدُوقِ الَّذِي فِيهِ الشَّجَلُ وَرَمَاهُ فِي تِلْكَ الْحُفْرَةِ وَأَلْقَى عَلَيْهِ
الْحَطَبَ وَأَحْرَقَهُ بِالنَّارِ . فَكَبَّرَ يَا أُخْتِي خَوْفِي وَلِي يَوْمَانِ وَأَنَا هَارِبَةٌ
مِنْ ابْنِ آدَمَ وَخَائِفَةٌ مِنْهُ .

فَلَمَّا تَبِعَتِ الطَّاوُوسَةُ مِنَ الْبَطَّةِ هَذَا الْكَلَامَ . تَحَبَّبَتْ مِنْهُ غَايَةً
أَلْحَبَّ وَوَلَّتْ : يَا أُخْتِي . إِنَّكَ آمِنَةٌ مِنْ ابْنِ آدَمَ . لِأَنَّنَا فِي جَزِيرَةٍ مِنْ
جَزَائِرِ الْبَحْرِ . لَيْسَ لِابْنِ آدَمَ فِيهَا مَسَلَكٌ . فَأَخْتَارِي الْمَقَامَ عِنْدَنَا إِلَى أَنْ
يُسَهِّلَ اللَّهُ أَمْرَكَ وَأَمَرْنَا . قَالَتْ : إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَطْرُقَنِي طَارِقٌ .
وَالْقَضَاءُ لَا يَنْفَكُ عَنْهُ أَبَقُ : فَقَالَتْ : أَقْعِدِي عِنْدَنَا . وَأَنْتِ مِثْلُنَا :
وَمَا زَالَتْ بِهَا حَتَّى قَعَدَتْ وَقَالَتْ : يَا أُخْتِي أَنْتِ تَعْلَمِينَ قِلَّةَ صَبْرِي .
وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُكِ هُنَا مَا كُنْتُ قَعَدْتُ : فَقَالَتْ الطَّاوُوسَةُ : إِنْ كَانَ
عَلَى جَبِينِنَا شَيْءٌ نَسْتَوْفِيهِ . وَإِنْ كَانَ دَنَا أَجَلُنَا فَمَنْ يُخَلِّصُنَا . وَلَنْ
تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَأَجَلَهَا : فَيَنْتَهِمَا فِي هَذَا الْكَلَامِ .
إِذْ طَلَعَتْ عَلَيْهِمَا غَبْرَةٌ . فَعِنْدَ ذَلِكَ صَاحَتِ الْبَطَّةُ وَزَلَّتْ فِي
الْبَحْرِ . وَقَالَتْ : الْحَذَرُ الْحَذَرُ . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَفَرٌّ مِنَ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ :
فَعِنْدَ سَاعَةِ أَنْ تَكْشَفَتِ الْغَبْرَةُ . وَبَانَ مِنْ تَحْتِهَا ظَنِّي . فَأُطْلِمَا نَتِ
الْبَطَّةُ وَالطَّاوُوسَةُ . ثُمَّ قَالَتِ الْبَطَّةُ : يَا أُخْتِي إِنَّ الَّذِي بَصُرْتَ
وَحَذَرْتَ مِنْهُ ظَنِّي وَهَافُو قَدْ أَقْبَلَ نَحْوَنَا . فَلَيْسَ عَلَيْنَا مِنْهُ بَأْسٌ .
لِأَنَّ الظَّنِّيَ إِنَّمَا يَأْكُلُ الْحَشَائِشَ مِنَ نَبَاتِ الْأَرْضِ . وَكَمَا أَنْتِ

مِنْ جِنْسِ الطَّيْرِ . هُوَ الْآخَرُ مِنْ جِنْسِ الْوُحُوشِ . فَأَظْمَنِي وَلَا
 تَهْتَبْنِي . فَإِنَّ أَلَمَ يُغْلِي الْبَدَنَ : فَلَمْ يُتِمَّ الطَّائُوسَةُ كَلَامَهَا . حَتَّى
 وَصَلَ الطَّبْيِيُّ إِلَيْهَا . يَسْتَظِلُّ تَحْتَ ظِلِّ شَجَرَةٍ . فَلَمَّا رَأَى الطَّائُوسَةَ
 وَالْبَطَّةَ سَلَّمَ عَلَيْهِمَا . وَقَالَ لَهُمَا : إِنِّي دَخَلْتُ إِلَى هَذِهِ الْجَزِيرَةِ
 الْيَوْمَ . فَلَمْ أَرْ أَكْثَرَ مِنْهَا خِصْبًا وَلَا أَحْسَنَ مِنْهَا مَسْكِنًا : ثُمَّ
 دَعَاهُمَا لِمِرَافِقَتِهِ وَمُصَافَاتِهِ . فَلَمَّا رَأَتْ الْبَطَّةُ وَالطَّائُوسَةُ تَوَدُّدَهُ
 إِلَيْهَا أَقْبَلَتَا عَلَيْهِ وَرَغِبَتَا فِي عِشْرَتِهِ . فَتَصَادَقُوا وَتَحَالَفُوا عَلَى ذَلِكَ .
 وَصَارَ مِنْهُمْ وَاحِدًا . وَمَأْكَلَهُمْ وَمَشَرَّ بِهِمْ سَوَاءً وَلَمْ يَذَلُّوا أَمِينَ
 أَكْلِينَ شَارِبِينَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ سَفِينَةٌ كَانَتْ تَأْتِيهِ فِي الْبَحْرِ .
 فَأَرَسَتْ قَرِيبًا مِنْهُمْ فَطَلَعَ الْأَسُّ وَتَفَرَّقُوا فِي الْجَزِيرَةِ . فَرَأَوْا اجْتِمَاعَ
 الطَّبْيِيِّ وَالطَّائُوسَةِ وَالْبَطَّةَ فَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ . فَلَمَّا رَأَتْهُمْ الطَّائُوسَةُ
 صَعِدَتْ إِلَى الشَّجَرَةِ . ثُمَّ طَارَتْ فِي الْحَوْ وَشَرَدَ الطَّبْيِيُّ فِي الْبَرِّيَّةِ
 فَصَيَّتِ الْبَطَّةُ مُخْبَلَّةً . وَلَمْ يَذَلُّوا بِهَا حَتَّى صَادُوهَا وَصَاحَتْ قَائِلَةً :
 لَمْ يَنْفَعْنِي الْخَذَرُ مِنَ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ : وَأَنْصَرَفُوا بِهَا إِلَى سَفِينَتِهِمْ .
 فَلَمَّا رَأَتْ الطَّائُوسَةُ مَا جَرَى الْبَطَّةِ . ارْتَحَلَتْ مِنَ الْجَزِيرَةِ وَقَالَتْ :
 لَا أَرَى الْأَفَاتِ إِلَّا مُرَاصِدَةً لِكُلِّ أَحَدٍ وَلَوْلَا هَذِهِ السَّفِينَةُ مَا
 حَصَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ هَذِهِ الْبَطَّةِ افْتِرَاقٌ . وَلَقَدْ كَانَتْ مِنْ خِيَارِ
 الْأَصْدِقَاءِ : ثُمَّ طَارَتْ الطَّائُوسَةُ وَاجْتَمَعَتْ بِالطَّبْيِيِّ . فَسَلَّمَ عَلَيْهَا
 وَهَنَاهَا بِالسَّلَامَةِ وَسَلَّمَهَا عَنِ الْبَطَّةِ . فَقَالَتْ لَهُ : أَخَذَهَا الْعَدُوُّ

وَكَرِهَتْ الْمَقَامَ فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ بَعْدَهَا : ثُمَّ بَكَتْ عَلَى فِرَاقِ الْبَطَّةِ
وَأَنْشَدَتْ تَقُولُ :

إِنَّ يَوْمَ الْفِرَاقِ فَطَعَ قَلْبِي قَطَعَ اللَّهُ قَلْبَ يَوْمِ الْفِرَاقِ .
ثُمَّ قَالَتْ أَيْضًا هَذَا الْبَيْتُ :

تَنَيْتُ الْوَصَالَ يَعُودُ يَوْمًا لِأَخْبِرَهُ بِمَا صَنَعَ الْفِرَاقُ
فَأَغْتَمَّ الظُّبْيُ غَمًّا شَدِيدًا . ثُمَّ عَزَمَ الطَّائِفُوسَةُ عَنْ الرَّحِيلِ
فَأَقَامَتْ مَعَ الظُّبْيِ آمِنِينَ أَكْأَيْنَ شَارِبِينَ . غَيْرَ أَنَّهُمَا لَمْ يَزَالَا
حَزِينِينَ عَلَى فِرَاقِ الْبَطَّةِ . فَقَالَ الظُّبْيُ لِلطَّائِفُوسَةِ : يَا أُخْتِي . قَدْ
عَلِمْتُ أَنَّ النَّاسَ الَّذِينَ طَاعُوا لَنَا مِنَ الْمَرْكَبِ كَانُوا سَبَبًا لِفِرَاقِنَا
وَلَهْلَاكِ الْبَطَّةِ فَأَحْذَرِيهِمْ وَأَحْزَرِي مِنْهُمْ وَمِنْ مَكْرِ بَنِي آدَمَ
وَحِدَايِهِ : قَالَتْ : فَدَعَلْتُ يَقِينًا أَنَّ مَا قَتَلَاهَا غَيْرُ تَرْكِهَا التَّسْبِيحَ
وَلَقَدْ قُلْتُ لَهَا : إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ مِنْ تَرْكِكَ التَّسْبِيحِ . لِأَنَّ كُلَّ
شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ يُسَبِّحُهُ . فَإِنْ غَفَلَ عَنِ التَّسْبِيحِ عُوقِبَ بِهَلَاكِهِ :
فَلَمَّا سَمِعَ الظُّبْيُ كَلَامَ الطَّائِفُوسَةِ قَالَ : أَحْسَنَ اللَّهُ صُورَتَكَ :
وَأَقْبَلَ عَلَى التَّسْبِيحِ لَا يَفْتُرُ عَنْهُ سَاعَةً . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ تَسْبِيحَ
الظُّبْيِ : سُبْحَانَ الدِّينِ ذِي الْجُرُوتِ وَالسُّلْطَانِ

حِكَايَةُ الطُّيُورِ

زَعَمُوا أَنَّ طَيْرًا مِنَ الطُّيُورِ . طَارَ وَعَلَا إِلَى الْجَوْ . ثُمَّ أَنْقَضَ
عَلَى صَخْرَةٍ فِي وَسْطِ الْمَاءِ وَكَانَ الْمَاءُ جَارِيًا . فَبَيْنَمَا الطَّائِرُ وَاقِفٌ

إِذَا هُوَ بِرِمَّةِ إِنْسَانٍ جَرَّهَا الْمَاءُ حَتَّى أَسْنَدَهَا إِلَى نِإْكَ الصَّخْرَةِ وَفَدٍ
 أَنْفَحَتْ وَأَرْتَفَعَتْ . فَدَنَا مِنْهَا طَيْرُ الْمَاءِ وَنَأْمَاتُهَا فَرَأَاهَا رِيْمَةُ ابْنِ
 آدَمَ فَوَجَدَ فِيهَا ضَرْبَ سُيُوفٍ وَطَعَنَ رِمَاحَ . فَقَالَ طَيْرُ الْمَاءِ فِي
 نَفْسِهِ : أَظُنُّ أَنَّ هَذَا الْقَتْلَ كَانَ شَرِّدًا فَأَجْتَمَعَ عَلَيْهِ جَمَاعَةُ
 قَتَلُوهُ وَاسْتَرَأَوْا مِنْهُ وَمِنْ شَرِّهِ : وَلَمْ يَلْ طَيْرُ الْمَاءِ حَازِرًا وَهُوَ
 يَتَجَبَّبُ . فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا بِسُورٍ وَعَقْبَانٍ أَحَاطُوا بِنِإْكَ الْجَيْفَةِ مِنْ
 جَمِيعِ جَوَانِبِهَا . فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ طَيْرُ الْمَاءِ جَزَعَ جَزَعًا شَدِيدًا وَقَالَ :
 لَا صَبْرَ لِي عَلَى الْإِفَامَةِ فِي هَذَا الْمَكَانِ . ثُمَّ طَارَ مِنْهُ يَفْتِشُ عَلَى
 مَوْضِعٍ يَأْوِيهِ إِلَى حِينٍ تَنْقُذُ تِلْكَ الْجَيْفَةَ وَتَرْوَحُ سِبَاعُ الطُّيُورِ
 عَنْهَا . وَلَمْ يَلْ طَائِرًا حَتَّى وَجَدَ نَهْرًا فِي وَسْطِهِ شَجَرَةً . فَبَزَلَ عَلَيْهَا
 مُتَغَيِّرًا كَكُذْبًا حَزِينًا عَلَى فِرَاقِ وَطَنِهِ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : مَا زَالَتْ
 الْأَحْزَانُ تَتَّبَعُنِي وَكُنْتُ قَدْ اسْتَرَحْتُ لَمَّا رَأَيْتُ تِلْكَ الْجَيْفَةَ وَفَرَحْتُ
 بِهَا فَرَحًا شَدِيدًا وَقُلْتُ : هَذَا رِزْقُ سَاقِهِ اللَّهُ إِلَيَّ . فَصَارَ فَرَحِي غَا
 وَسْرُورِي حَزْنًا وَهَمًّا . فَأَخَذْتُهَا وَأَفْتَرَسْتُهَا سِبَاعُ الطُّيُورِ مِنِّي وَحَالُوا
 بَيْنِي وَبَيْنَهَا . فَكَيْفَ أَرْجُو أَنْ أَكُونَ سَا لِمًا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مِنَ الْكُدْرِ
 وَأَظْهَنُ إِلَيْهَا . وَقَدْ قِيلَ فِي الْأَمَلِ : الدُّنْيَا دَارٌ مِنْ لَا دَارَ لَهُ . يَنْتَرُ
 بِهَا مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ . وَيَطْمَنُّ إِلَيْهَا مَالُهُ رَعْوَمُهُ وَعَشِيرَتُهُ . وَلَمْ يَلْ
 الْمَغْتَرِبُ بِهَا رَاكِنًا إِلَيْهَا يَحْتَمِلُ فَوْقَ الْأَرْضِ حَتَّى يَصِيرَ تَحْتَهَا وَيَحْنُو
 عَلَيْهِ التُّرَابُ أَعَزُّ النَّاسِ إِلَيْهِ وَأَقْرَبُهُمْ لَدَيْهِ . وَمَا لَئِنِّي خَيْرٌ مِنَ الصَّبْرِ

عَلَى هُمُومٍ أَوْ مَكَارِهِهَا . وَقَدْ فَارَقْتُ مَكَانِي وَوَطَنِي وَكُنْتُ كَارِهًا بُرْقَةٍ :
إِخْوَانِي وَأَحِبَّاءِي وَخُلَّائِي

فَبَيْنَمَا هُوَ فِي فِكْرَتِهِ إِذَا بِذَكَرٍ مِنَ السَّالِحِينَ أَقْبَلَ مُتَخَذِرًا فِي
الْمَاءِ وَدَنَانٍ مِنْ طَيْرِ الْمَاءِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَقَالَ : يَا سَيِّدِي مَا الَّذِي حَجَبَكَ
وَأَبْعَدَكَ عَنْ مَوْضِعِكَ : قَالَ : حُلُولُ الْأَعْدَاءِ فِيهِ وَلَا صَبْرٌ لِلْعَاقِلِ عَلَى
مُجَاوَرَةِ عَدُوِّهِ . وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ بَعْضِ الشُّعْرَاءِ

إِذَا حَلَّ الثَّقِيلُ بِأَرْضِ قَوْمٍ . فَمَا لِلسَّائِكِينَ سِوَى الرَّحِيلِ
فَقَالَ لَهُ الْغَيْلَمُ : إِنْ كَانَ الْأَبْرُ كَمَا وَصَفْتَهُ وَالْحَالُ وَمِثْلُ مَا
ذَكَرْتَهُ . فَأَنَا لَا أَزَالُ بَيْنَ يَدَيْكَ وَلَا أَفَارِقُكَ لِأَقْضِيَ لَكَ حَاجَتَكَ
وَأَفِي بِخِدْمَتِكَ . فَإِنَّهُ قِيلَ : لَا وَحْشَةً أَشَدَّ مِنْ وَحْشَةِ الْغَرِيبِ الْمُنْقَطِعِ
عَنْ أَهْلِهِ وَوَطْنِهِ . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ فُرْقَةَ الصَّالِحِينَ لَا يَمُدُّهَا شَيْءٌ مِنْ
الْمَصَائِبِ . وَأَحْسَنُ مَا يُسَلَّى بِهِ الْعَاقِلُ نَفْسَهُ الْإِسْتِئْذَانُ فِي الْغُرْبَةِ
وَالصَّبْرُ عَلَى الرِّزْيَةِ وَالْكُرْبَةِ . وَأَرْجُو أَنْ مُحَمَّدٌ صُحْبَتِي مَعَكَ .
وَأَكُونُ لَكَ خَادِمًا وَمُعِينًا : فَلَمَّا تَبَعَ طَيْرُ الْمَاءِ مَقَالَةَ الْغَيْلَمِ . قَالَ لَهُ :
لَقَدْ صَدَقْتَ فِي قَوْلِكَ . وَلَعَمْرِي إِنِّي وَجَدْتُ لِلْفِرَاقِ الْمَاءَ وَغَمًّا مُدَّةً
بُعْدِي عَنْ مَكَانِي وَفِرَاقِي لِإِخْوَانِي وَخُلَّائِي لِأَنَّ فِي الْفِرَاقِ عِبْرَةً لِمَنْ
أَعْتَبَرَ وَفِكْرَةً لِمَنْ تَفَكَّرَ . وَإِذَا لَمْ يَجِدِ الْفَتَى مَنْ يُسَلِّهِ مِنَ الْأَصْحَابِ
يَنْقُطِعُ عَنْهُ الْخَيْرُ أَبَدًا وَيُثْبِتُ الشَّرَّ سَرْمَدًا . وَلَيْسَ الْعَاقِلُ إِلَّا النَّسْلِيُّ
بِالْإِخْوَانِ عَنْ الْهُمُومِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ . وَمَلَاذِمَةُ الصَّبْرِ وَالتَّجَلُّدِ .

فَإِنَّهُمَا خَصَلَتَا فِي مَحْمُودَتَانِ يُعِينَانِ تَلَى الْمَصِيبَةَ وَتَوَائِبَ الدَّهْرِ .
وَيَذْفَعَانِ الْفَرْعَ وَالْجَزَعَ فِي كُلِّ أَمْرٍ : فَقَالَ لَهُ الْغُلَيْمُ : يَاكَ وَالْجَزَعَ .
فَإِنَّهُ يُفْسِدُ عَلَيْكَ عَيْشَكَ . وَيَذْهَبُ مِرْوَتَكَ : وَمَا زَالَ ابْتِخَدَّانَا مَعَ
بَعْضِهِمَا . إِلَى أَنْ قَالَ طَيْرُ الْمَاءِ لِلْغُلَيْمِ : أَنَا لَمْ أَزَلْ أَخْشَى نَوَائِبَ
الزَّمَانِ وَطَوَارِقَ الْخِدَتَانِ : فَلَمَّا سَمِعَ الْغُلَيْمُ مَفْلَةَ طَيْرِ الْمَاءِ . أَقْبَلَ
عَلَيْهِ وَقَبْلَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ . وَقَالَ لَهُ : لَمْ تَزَلْ جَمَاعَةُ الطَّيْرِ تَتَبَرَّكُ بِكَ
وَتَعْرِفُ فِي مَشُورَتِكَ الْخَيْرَ . فَكَيْفَ تَحْمِلُ الْهَمَّ وَالضَّيْرَ : وَلَمْ تَزَلْ
يُسْكِنُ رَوْعَ طَيْرِ الْمَاءِ حَتَّى أَطْمَأَنَّ . ثُمَّ إِنَّ طَيْرَ الْمَاءِ حَادَرَ إِلَى
مَكَانِ الْجَلِيفَةِ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ . لَمْ يَرِ مِنْ سَبَاعِ الطَّيْرِ شَيْئًا .
وَلَا مِنْ تِلْكَ الْجَلِيفَةِ إِلَّا عِظَامًا فَرَجَعَ وَأَخْبَرَ الْغُلَيْمَ بِزَوَالِ الْمَدْوِ
وَمِنْ مَكَانِهِ . وَقَالَ لَهُ : أَعْلَمُ أَنِّي أَحَبُّ الرُّجُوعِ إِلَى مَكَانِي . لِأَنِّي
بِخُلَايَايَ . فَإِنَّهُ لَا صَبْرَ الْعَافِلِ عَلَى فِرَاقِ وَطَنِهِ : فَآتَيْتَا إِلَى ذَلِكَ
الْمَكَانِ فَلَمْ يَجِدَا شَيْئًا مِمَّا يَخَافَانِ مِنْهُ فَأَنشَدَ طَيْرُ الْمَاءِ يَقُولُ :
وَلَرُبَّ نَازِلَةٍ يَضِيقُ لَهَا أَنْتَقَى ذَرْعًا وَعِنْدَ اللَّهِ مِنْهَا الْخُرْجُ
ضَافَتْ فَلَمَّا اسْتَمَكَّتْ حَلَقَاتِهَا فُرِجَتْ وَكُنْتُ أَظْنُهَا لَا تُفْرَجُ
ثُمَّ إِنَّهُمَا سَكَنَا فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ . فَيُنَادِي طَيْرُ الْمَاءِ مُسْرُورًا آمِنًا .
إِذْ سَاقَ الْهَضَاءُ إِلَيْهِ بَازِيًا جَانِمًا . فَضَرَبَهُ بِخَلْبِهِ فِي بَطْنِهِ ضَرْبَةً
فَقَتَلَهُ . وَلَمْ يَفْنِ عَنْهُ الْخَذَرُ عِنْدَ فِرَاقِ الْأَجَلِ . وَسَبَبُ قَتْلِهِ غَفَانُهُ
عَنِ التَّنَبُّهِ . قِيلَ إِنَّ تَسْبِيحَهُ . سُبْحَانَ رَبَّنَا فِي مَا قَدَرَ وَدَبَرَ .

سُبْحَانَ رَبِّنا فِي مَا أَغْنَىٰ وَأَفْقَرَ . هَذَا مَا كَانَ مِنْ حَدِيثِ طَيْرِ الْمَاءِ
وَجَوَارِحِ الطُّيُورِ

الدَّرَاجُ وَالسَّلَاحِفُ

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ رَضِيَ بِاللَّذَّةِ الْيَسِيرَةِ فَهَلَكَ

حُكِيَ أَنَّ سَلَاحِفَ كَانَتْ فِي جَزِيرَةٍ مِنَ الْجَزَائِرِ . وَكَانَتْ تِلْكَ
الْجَزِيرَةُ ذَاتُ أَشْجَارٍ وَأَنْهَارٍ . فَاتَّفَقَ أَنَّ دُرَّاجًا اجْتَاَزَ بِهَا يَوْمًا .
وَقَدْ أَصَابَهُ الْحَرُّ وَالتَّعَبُ . فَلَمَّا أَضَرَّ بِهِ ذَلِكَ . حَطَّ مِنْ طَيْرَانِهِ فِي
تِلْكَ الْجَزِيرَةِ الَّتِي بِهَا تِلْكَ السَّلَاحِفُ . فَلَمَّا رَأَى السَّلَاحِفُ اُلْتِحَا إِلَيْهَا
وَنَزَلَ عِنْدَهَا . وَكَانَتِ السَّلَاحِفُ تَرَعَى فِي جِهَاتِ الْجَزِيرَةِ . ثُمَّ تَرْجِعُ
إِلَى مَكَانِهَا . فَلَمَّا رَجَعَتْ مِنْ مَسَاحِحِهَا إِلَى مَكَانِهَا . رَأَتْ الدَّرَاجَ
فِيهِ . فَلَمَّا رَأَتْهُ اُعْجَبَهَا . وَرَيْنَهُ اللَّهُ لَهَا . فَسَبَّحَتْ خَالِقَهَا . وَاحْبَتَتْ هَذَا
الدَّرَاجَ حُبًّا شَدِيدًا وَفَرِحَتْ بِهِ . ثُمَّ قَالَ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ : لَا شَكَّ أَنَّ
هَذَا مِنْ أَحْسَنِ الطُّيُورِ : فَصَارَتْ كُلُّهُمَا تُلَاطِفُهُ وَتَجَنُّعُ إِلَيْهِ . فَلَمَّا
رَأَى مِنْهَا عَيْنَ الْمُحَبَّةِ . مَالَ إِلَيْهَا وَاسْتَأْنَسَ بِهَا . وَصَارَ يَطِيرُ إِلَى أَيِّ
جِهَةٍ أَرَادَ . وَعِنْدَ الْمَسَاءِ يَرْجِعُ إِلَى الْمَبِيتِ عِنْدَهَا . فَإِذَا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ .
يَطِيرُ إِلَى حَيْثُ أَرَادَ وَصَارَتْ هَذِهِ عَادَتَهُ . وَاسْتَمَرَّ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ
مُدَّةَ مِنَ الزَّمَانِ . فَلَمَّا رَأَتْ السَّلَاحِفُ أَنَّ غِيَابَهُ عَنْهَا يُوحِشُهَا .
وَتَحَقَّقَتْ أَنَّهَا لَا تَرَاهُ إِلَّا فِي الْإِيلِ . وَإِذَا أَضْمَحَ طَارَ مُبَادِرًا . وَلَا
تَشْعُرُ بِهِ مَعَ زِيَادَةِ حُبِّهَا لَهُ . قَالَ بَعْضُهَا : إِنَّ هَذَا الدَّرَاجَ قَدْ أَحْبَبْنَاهُ

رَّصَارَ لَنَا صَدِيقًا . وَمَا بَقِيَ لَنَا قُدْرَةٌ عَلَى فِرَافِهِ . قَمَا يَكُونُ مِنَ الْحِلَّةِ
الْمُوصَلَّةِ إِلَى إِفَامَتِهِ عِنْدَنَا دَائِمًا . لِأَنَّهُ إِذَا طَارَ . يَغِيبُ عَنَّا النَّهَارَ كُلَّهُ .
وَلَا نَرَاهُ إِلَّا فِي اللَّيْلِ : فَأَشَارَتْ عَلَيْهَا وَاحِدَةٌ قَائِلَةً : أَسْتَرْحَنَ .
بَا أَخَوَاتِي . وَأَنَا أَجْعَلُهُ لَا يُفَارِقُنَا طَرَفَةٌ عَيْنٍ : فَقَالَ لَهَا الْجَمِيعُ : إِنْ
فَعَلْتَ ذَلِكَ كُنَّا أَكْ كُلُّنَا عَمِيدًا

فَلَمَّا حَضَرَ الدَّرَاجُ مِنْ مَسَرِّحِهِ وَجَلَسَ بَيْنَهُمَا . تَقَرَّبَتْ مِنْهُ
السُّخْفَاءُ الْمُحْتَالَةُ وَدَعَتْ لَهُ وَهَنَاتُهُ بِالسَّلَامَةِ . وَقَالَتْ لَهُ : يَا سَيِّدِي
أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ رَزَقَكَ مِنَّا الْمَحَبَّةَ وَكَذَلِكَ أودَعَ قَلْبَكَ مَحَبَّتَنَا
وَصَرْتَ لَنَا فِي هَذَا الْفَقْرِ أُنَيْسًا وَأَحْسَنُ أَوْقَاتِ الْعَجِيزِينَ إِذَا كَانُوا
مُجْتَمِعِينَ وَالْبَلَاءِ الْعَظِيمِ فِي الْبُعْدِ وَالْفِرَاقِ . وَأَكِنَّكَ تَتَرُكُنَا
عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ . وَلَمْ تَعُدْ إِلَيْنَا إِلَّا عِنْدَ الْغُرُوبِ فَيَصِيرُ عِنْدَنَا
وَحْشَةً زَائِدَةٌ . وَقَدْ شَقَّ عَلَيْنَا ذَلِكَ كَثِيرًا وَنَحْنُ فِي وَجْدٍ عَظِيمٍ
بِهَذَا السَّبَبِ : فَقَالَ لَهَا الدَّرَاجُ : نَعَمْ أَنَا عِنْدِي مَحَبَّةٌ لَكِنَّ وَاشْتِيَاقٌ
عَظِيمٌ إِلَيْكُمْ زِيَادَةً عَلَى مَا عِنْدَكُمْ وَفِرَاقُكُمْ لَيْسَ سَهْلًا عِنْدِي .
لَكِنْ مَا بِيَدِي حِيلَةٌ فِي ذَلِكَ لِكُونِي طَيْرًا بِأَخِيحَةٍ فَلَا يُمْكِنُنِي
الْمُقَامُ مَعَكُمْ دَائِمًا . لِأَنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ طَبْعِي . فَإِنَّ الطَّيْرَ إِذَا
الْأَخِيحَةَ لَيْسَ لَهُ مُسْتَقَرٌّ إِلَّا فِي اللَّيْلِ لِأَجْلِ النَّوْمِ . وَإِذَا أَصْبَحَ
طَارَ وَسَرَحَ فِي أَيِّ مَوْضِعٍ أَعْجَبَهُ : فَقَالَتْ لَهُ السُّخْفَاءُ : صَدَقْتَ
وَلَكِنْ ذُو الْأَخِيحَةِ فِي غَالِبِ الْأَوْقَاتِ لَارَاحَةٌ لَهُ لِكُونِهِ لَا يَذَلُّهُ

مِنْ أَحْتَرِ رُبْعُ مَا يَخْصُلُ لَهُ مِنَ الْمَشَةِ . وَغَايَةُ الْمُتَّصِدِ لِلشَّخْصِ
الرَّفَاهِيَةِ وَالرَّاحَةِ . وَنَحْنُ قَدْ جَعَلْنَا اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ الْحَبَّةَ وَالْأَلَمَةَ
وَنَحْشَى عَلَيْكَ مِمَّنْ يَصْطَادُكَ مِنْ أَعْدَائِكَ . فَتَمِّكْ وَتُحْرَمُ مِنْ
رُؤْيَةِ وَجْهِكَ

فَأَجْلَبَهَا الدَّرَاجُ قَائِلًا : صَدَقْتَ . وَلَكِنْ مَا عِنْدَكَ مِنَ الرَّأْيِ
وَالْحِلْمَةِ فِي أَمْرِي : فَقَالَتْ لَهُ : الرَّأْيُ عِنْدِي أَنْ تَنْتَفِ سَوَاعِدَكَ
الَّتِي تَسْرِعُ بِطَيْرَانِكَ وَتَقْعُدَ عِنْدَنَا مُسْتَرِيمًا وَتَأْكُلَ مِنْ
أَكْلِنَا وَتَشْرَبَ مِنْ شَرْبِنَا فِي هَذِهِ الْمَسْرَحَةِ الْكَثِيرَةِ الْأَشْجَارِ
الْيَانَعَةِ الْأَثْمَارِ وَنَتِيمَ نَحْنُ وَأَنْتَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْمُخْضَبِ
وَيَتَمَعُ كُلُّ مَنَا بِصَاحِبِهِ : فَمَالَ الدَّرَاجُ إِلَى قَوْلِهَا وَقَعَدَ الرَّاحَةَ
لِنَفْسِهِ . ثُمَّ تَفَّ رِيشَهُ وَاحِدَةً بَعْدَ وَاحِدَةٍ حَكْمَ مَا اسْتَحْسَنَهُ
مِنْ رَأْيِ السُّخْفَاءِ وَاسْتَقَرَّ عِنْدَهُنَّ عَائِشًا مَعَهُنَّ وَرَضِيَ بِاللَّذَّةِ
الْيَسِيرَةِ وَالطَّرَبِ الزَّائِلِ

فَبَيْنَمَا هُنَّ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ . إِذَا بَابِنَ عَرَسٍ فَدَمَّرَ قَرْمَتُهُ بَيْتَهُ
وَتَأَمَّلَهُ فَرَأَهُ مَخْصُوصَ الْجَنَاحِ لَا يَسْتَطِيعُ الْنَهْوضَ . فَلَمَّا رَأَاهُ عَلَى
تِلْكَ الْحَالَةِ فَرَحَ فَرَحًا شَدِيدًا وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : إِنَّ هَذَا الدَّرَاجَ سَمِينُ
الْخَمِّ قَلِيلُ الرِّيشِ : ثُمَّ دَنَا مِنْهُ ابْنُ عَرَسٍ وَافْتَرَسَهُ . فَصَاحَ الدَّرَاجُ
وَطَلَبَ النَّجْدَةَ مِنَ السَّلَاحِفِ . فَلَمْ يَنْجِدْهُ بَلْ تَبَاعَدَنَ عَنْهُ . وَانْكَشَنَ
فِي بَعْضِهِنَّ . لَمَّا رَأَيْنَ ابْنَ عَرَسٍ قَابِضًا عَلَيْهِ . وَحَيْثُ رَأَيْنَ ابْنَ عَرَسٍ

يُعَذِّبُهُ خَتَمُنَ الْبُكَاءِ عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهُنَّ الدَّرَّاجُ : هَلْ عِنْدَكُنَّ شَيْءٌ
غَيْرُ الْبُكَاءِ : فَقُلْنَ لَهُ : يَا أَخَانَا . لَيْسَ لَنَا قُوَّةٌ وَلَا طَافَةٌ وَلَا حِيلَةٌ فِي
أَمْرِ ابْنِ عَرَسٍ : فَحَزِنَ الدَّرَّاجُ عِنْدَ ذَلِكَ . وَقَطَعَ الرَّجَاءَ مِنْ حَيَاةِ
نَفْسِهِ . وَقَالَ لَهُنَّ : لَيْسَ لَكُنَّ ذَنْبٌ . إِنَّمَا الذَّنْبُ لِي حَيْثُ أَطْعَمْتُكُمْ .
وَنَتَقْتُ أَجْحَتِي الَّتِي أَطِيرُ بِهَا . فَأَنَا أَشْتَقِي الْمَلَكَ الْمُطَاوَعِي لَكُنَّ .
وَلَا أَلُومُكُنَّ فِي شَيْءٍ

الْثَعَالِبُ وَالذَّبُّ

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ لَمْ يَعْدِلْ فِي تَحْكُمِهِ . فَتَكُونُ عَاقِبَتُهُ الْبَوَارُ
زَعَمُوا أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الثَّعَالِبِ خَرَجُوا ذَاتَ يَوْمٍ يَطْلُبُونَ مَا
يَأْكُلُونَ . فَبَيْنَمَا هُمْ يَجُولُونَ فِي طَابِ ذَلِكَ . إِذَا هُمْ بِجَمَلٍ مَيِّتٍ .
فَقَالُوا فِي أَنْفُسِهِمْ : قَدْ وَجَدْنَا مَا نَعِيشُ بِهِ زَمَنَا طَوِيلًا . وَلَكِنْ
نَخَافُ أَنْ يَبْغِيَ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ . وَيَمِيلُ الْأَوْيُّ بِقُوَّتِهِ إِلَى الضَّعِيفِ .
فَهَلَّاكَ الضَّعِيفُ مِنَّا . فَيَا بَغِي لَنَا أَنْ نَعْلَبَ حَكْمًا يَحْكُمُ بَيْنَنَا وَنَجْعَلَ
لَهُ نَصِيبًا . فَلَا يَكُونُ لِلْأَوْيِّ سُلْطَةٌ عَلَى الضَّعِيفِ : فَبَيْنَمَا هُمْ يَتَشَاوَرُونَ
فِي شَأْنِ ذَلِكَ . وَإِذَا يَذُبُّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : إِنْ
أَصَابَ رَأْيَكُمْ فَاجْعَلُوا هَذَا الذَّبُّ حَكْمًا بَيْنَنَا لِأَنَّهُ أَقْوَى النَّاسِ .
وَأَبُوهُ سَابِقًا كَانَ سُلْطَانًا عَلَيْنَا . وَنَحْنُ نَزَجُو مِنْ اللَّهِ أَنْ يَعْدِلَ بَيْنَنَا :
ثُمَّ إِنَّهُمْ تَوَجَّهُوا إِلَيْهِ . وَأَخْبَرُوهُ بِمَا سَارَ إِلَيْهِ رَأْيُهُمْ . وَقَالُوا : لَقَدْ
حَكَمْنَاكَ بَيْنَنَا لِأَجْلِ أَنْ تُعْطِيَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا مَا يَقُوَّتُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ .

عَلَى قَدَرِ حَاجَتِهِ لئَلَّا يَنْبَغِي قُوَّتُنَا عَلَى ضَعِيفَتَا فَيْهَكَ بَعْضُنَا بَعْضًا :
 فَأَجَابَهُمُ الذَّبُّ إِلَى قَوْلِهِمْ وَتَعَاطَى أُمُورَهُمْ وَقَسَمَ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ
 الْيَوْمِ مَا كَفَّاهُمْ . فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَ الذَّبُّ فِي نَفْسِهِ : إِنْ قَسَمَ
 هَذَا الْجَمَلُ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْعَاجِزِينَ لَا يَعُودُ عَلَيَّ مِنْهَا شَيْءٌ إِلَّا الْجُزْءُ
 الَّذِي جَعَلُوهُ لِي . وَإِنْ أَكْثَرَهُ وَحَدِي فَهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ لِي ضَرًّا مَعَ
 أَنَّهُمْ غَنَمٌ لِي وَلِأَهْلِ بَيْتِي . فَمَنْ الَّذِي يَمْنَعُنِي عَنْ أَخْذِ هَذَا لِنَفْسِي .
 وَلَعَلَّ اللَّهَ مُسَبِّهُ لِي بِغَيْرِ حِمْلَةٍ مِنْهُمْ . فَلَا أَحْسَنُ لِي أَنْ أَخْتَصَّ بِهِ
 دُونَهُمْ . وَمِنْ هَذَا الْوَقْتِ لَا أُعْطِيهِمْ شَيْئًا : فَلَمَّا أَصْبَحَ الثَّعَالِبُ
 جَاؤُوا إِلَيْهِ عَلَى الْعَادَةِ يَطْلُبُونَ مِنْهُ قُوَّتَهُمْ . فَقَالُوا لَهُ : يَا أَبَا سِرْحَانَ
 أَعْطِنَا مُؤْنَةَ يَوْمِنَا : فَأَجَابَهُمْ قَائِلًا : مَا بَقِيَ عِنْدِي شَيْءٌ أُعْطِيهِ لَكُمْ :
 فَذَهَبُوا مِنْ عِنْدِهِ عَلَى أَسْوَأِ حَالٍ ثُمَّ قَالُوا : إِنْ اللَّهُ أَوْفَعَنَا فِي هَمٍّ
 عَظِيمٍ مَعَ هَذَا الْخَائِنِ الْحَيْثُ . الَّذِي لَا يَتَّقِي اللَّهَ وَلَا يَخَافُهُ . وَلَيْسَ
 لَنَا حَوْلٌ وَلَا قُوَّةٌ . ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ
 ضَرُورَةُ الْجُوعِ . فَدَعَا الْيَوْمَ يَأْكُلُ مِنْهُ حَتَّى يَشَبَّ وَفِي غَدٍ نَذْهَبُ
 إِلَيْهِ : فَلَمَّا أَصْبَحُوا تَوَجَّهُوا إِلَيْهِ . وَقَالُوا لَهُ : يَا أَبَا سِرْحَانَ . إِنَّمَا وَلَيْنَاكَ
 عَلَيْنَا لِأَجْلِ أَنْ تَدْفَعَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا قُوَّتَهُ . وَتُنْصِفَ الضَّعِيفَ
 مِنَ الْقَوِيِّ . وَإِذَا فَرَّغْتَ تَجْتَهِدُ لَنَا فِي تَحْصِيلِ غَيْرِهِ . وَنَصِيرَ دَائِمًا
 تَحْتَ كَنَفِكَ وَرِعَايَتِكَ . وَقَدْ مَسَّنَا الْجُوعُ . وَلَنَا يَوْمَانِ مَا أَكَلْنَا .
 فَأَعْطِنَا . مُؤْنَتَنَا . وَأَنْتَ فِي حِلٍّ مِنْ جَمِيعِ مَا تَتَصَرَّفُ فِيهِ مِنْ دُونِ

ذَلِكَ : فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ جَوَابًا . بَلْ أَزْدَادَ قَسْوَةً . فَرَاغَبُوهُ فَلَمْ
يَرْجِعْ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : آسَ لَنَا حِيلَةٌ إِلَّا أَنَّا نَنْطَلِقُ إِلَى
الْأَسَدِ . وَزَيَّيْ أَنْفُسَنَا عَلَيْهِ . وَتَجَمَّلْ لَهُ الْجَمَلُ فَإِنْ أَحْسَنَ لَنَا إِنِّي
مِنْهُ كَأَن كَانَ مِنْ فَضْلِهِ وَإِلَّا فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنْ هَذَا الْحَبِثِ : ثُمَّ انْطَلَقُوا
إِلَى الْأَسَدِ وَأَخْبَرُوهُ بِمَا حَصَلَ لَهُمْ مِنَ الذَّبِّ . ثُمَّ قَالُوا لَهُ : نَحْنُ
عَبِيدُكَ وَقَدْ جِئْنَاكَ مُسْتَجِيرِينَ بِكَ لِنُخَلِّصَكَ مِنْ هَذَا الذَّبِّ وَنَصِيرَ
لَكَ عَيْدًا : فَلَمَّا سَمِعَ الْأَسَدُ كَلَامَ الثَّعَالِبِ أَخَذَتْهُ الْحَمِيَّةُ وَعَارَ لِلَّهِ
تَعَالَى وَمَضَى مَعَهُمْ إِلَى الذَّبِّ . فَلَمَّا رَأَى الذَّبُّ الْأَسَدَ مُقْبِلًا
طَلَبَ الْفَرَارَ مِنْ قُدَاهِهِ . فَجَرَى الْأَسَدُ خَلْفَهُ وَقَبَضَ عَلَيْهِ وَمَزَقَهُ
قِطْعًا وَمَكَّنَ الثَّعَالِبَ مِنْ فَرِيستِهِمْ . فَمِنْ هَذَا يَنْبُجُ بِأَنَّهُ لَا يَنْبِي
لِأَحَدٍ أَنْ يَتَهَاوَنَ فِي أَمْرِ رِعَايَتِهِ

السَّنَدَابُ الدُّحْمَالُ

إِنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ الْخُلَيفَةِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَارُونَ الرَّشِيدِ بَمَدِينَةِ
بَغْدَادَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ السَّنَدَابُ الدُّحْمَالُ وَكَانَ رَجُلًا فَقِيرَ الْحَالِ
يَجْمَلُ بِأَجْرَتِهِ عَلَى رَأْسِهِ . فَاتَّفَقَ لَهُ أَنَّهُ حَمَلٌ فِي يَوْمٍ مِنْ الْأَيَّامِ
حَمَلَةً ثَقِيَّةً وَكَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ شَدِيدُ الْحَرِّ فَتَعَبَ مِنْ تِلْكَ الْحَمَلَةِ
وَعَرِقَ وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْحَرُّ . فَمَرَّ عَلَى بَابِ رَجُلٍ تَاجِرٍ قَدَامَهُ كُنُسٌ
وَرَشٌّ وَهَذَاكَ هَوَاءٌ مُمْتَدِلٌ وَكَانَ بِجَانِبِ الْبَابِ مِصْطَبَةٌ عَرِيضَةٌ
فَحُطَّ الدُّحْمَالُ حَمَاتِهِ عَلَى تِلْكَ الْمِصْطَبَةِ لِيَسْتَرِيحَ وَيَشْمَّ الْهَوَاءَ فَخَرَجَ

عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ نَسِيمٌ رَائِقٌ وَرَائِحَةٌ ذَكِيَّةٌ فَاسْتَلَذَّ الْحَمَلُ
لِذَلِكَ وَجَلَسَ عَلَى جَانِبِ الْمِصْطَبَةِ . فَسَمِعَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ نَعَمَ
أَوْتَارٍ وَعُودٍ وَأَصْوَاتًا مُطْرِبَةً وَأَنْوَاعَ إِنْشَادٍ مُغْرِبَةً . وَسَمِعَ أَيْضًا
أَصْوَاتَ طُيُورٍ تُتَاغِي وَتُسَبِّحُ اللَّهَ تَعَالَى بِأَخْتِلَافِ الْأَصْوَاتِ وَسَاوَرِ
الْأَلْغَاتِ مِنْ قَمَارِي وَهَزَارٍ وَشَحَارِيرٍ وَبُلْبُلٍ وَقَاخِصَةٍ وَكَرَوَانٍ . فَعِنْدَ
ذَلِكَ تَعَجَّبَ فِي نَفْسِهِ وَطَرَبَ طَرَبًا شَدِيدًا . فَتَقَدَّمَ إِلَى ذَلِكَ
فَوَجَدَ دَاخِلَ الْآيَةِ بُسْتَانًا عَظِيمًا وَنَظَرَ فِيهِ غُلْمَانًا وَعَبِيدًا وَخَدَمًا
وَحَشَمًا وَشَيْئًا لَا يُوجَدُ إِلَّا عِنْدَ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ . وَبَعْدَ ذَلِكَ
هَبَّتْ عَلَيْهِ رَائِحَةٌ أَطْعَمَتْهُ طَيِّبَةً ذَكِيَّةً مِنْ جَمِيعِ الْأَلْوَانِ الْمُخْتَلَفَةِ
وَالشَّرَابِ الطَّيِّبِ . فَرَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ : سُبْحَانَكَ يَا رَبِّ
يَا خَالِقُ يَا رَازِقُ تَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ . اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ مِنْ
جَمِيعِ الذُّنُوبِ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ مِنَ الْعُيُوبِ . يَا رَبِّ لَا أَعْتِرِضُ عَلَيْكَ
فِي حُكْمِكَ وَتُعَذِّبُكَ فَإِنَّكَ لَا تَسْأَلُ عَمَّا تَفْعَلُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ . سُبْحَانَكَ تُغْنِي مَنْ تَشَاءُ وَتُفْقِرُ مَنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ
وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ . لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ مَا أَعْظَمَ شَأْنُكَ وَمَا أَقْوَى سُلْطَانُكَ
وَمَا أَحْسَنَ تَدْبِيرَكَ قَدْ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ مِنْ تَشَاءٍ مِنْ عِبَادِكَ . فَهَذَا
الْمَكَانُ صَاحِبُهُ فِي غَايَةِ النِّعْمَةِ وَهُوَ مُتَلَذِّذٌ بِالرَّوَائِحِ اللَّطِيفَةِ
وَالْمَأْكَلِ اللَّذِيذَةِ وَالْمَشَارِبِ الْفَاخِرَةِ فِي سَائِرِ الصِّفَاتِ . وَقَدْ
حَكَمْتَ فِي خَلْقِكَ بِمَا تُرِيدُ وَقَدَّرْتَهُ عَلَيْهِمْ . فَمِنْهُمْ تَعْبَانُ وَمِنْهُمْ

مُسْتَرِيحٌ وَمِنْهُمْ سَعِيدٌ وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ مِثْلِي فِي غَايَةِ التَّعَبِ
وَالذَّلِّ. وَأَنْشَدَ يَقُولُ

فَكَمْ مِنْ شَقِيٍّ بِلَا رَاحَةٍ يَنْعَمُ فِي خَيْرٍ فِيءٍ وَظِلٍّ
وَأَصْبَحْتُ فِي تَعَبٍ زَائِدٍ وَأَمْرِي عَجِيبٌ وَقَدْ زَادَ حَمْلِي
وَعَيَّرِي سَعِيدٌ بِلَا شَفْوَةٍ وَمَا حَمَلَ الدَّهْرَ يَوْمًا كَحَمْلِي
يَنْعَمُ فِي عَيْشِهِ دَائِمًا بِبَسْطٍ وَعِزٍّ وَشَرْبٍ وَأَكْلٍ
وَكُلُّ الْخَلَائِقِ مِنْ نُطْفَةٍ أَنَا مِثْلُ هَذَا وَهَذَا كَمِثْلِي
وَلَكِنْ شَتَانُ مَا بَيْنَنَا وَشَتَانُ مَا بَيْنَ نَحْرٍ وَخَلٍّ
وَلَسْتُ أَقُولُ عَلَيْكَ أَفْتِرَاءً فَأَنْتَ حَكِيمٌ حَكَمْتَ بِعَدَلٍ

فَلَمَّا فَرَغَ السَّنَدَبَادُ الْحَمَالُ مِنْ شَعْرِهِ وَنَظَّمَهُ أَرَادَ أَنْ يَحْمِلَ
حِمْلَهُ وَيَسِيرَ إِذْ قَدْ طَاعَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ غُلَامٌ صَغِيرٌ السِّنِّ حَسَنُ
الْوَجْهِ مَلِيحٌ الْقَدِّ فَأَخْرَجُ الْمَلَأِسَ. فَقَبَضَ عَلَى يَدِ الْحَمَالِ وَقَالَ لَهُ:
أَدْخُلْ كُلَّ سَيِّدِي فَإِنَّهُ يَدْعُوكَ: فَأَرَادَ الْحَمَالُ الْإِمْتِنَاعَ مِنَ الدُّخُولِ مَعَ
الْغُلَامِ فَلَمْ يَتَدْرَعْ ذَلِكَ. فَحَطَّ حِمْلَهُ عِنْدَ الْبَوَابِ فِي دَهْلِيزِ الْمَكَانِ
وَدَخَلَ مَعَ الْغُلَامِ دَاخِلَ الدَّارِ. فَوَجَدَ دَارًا مَلِيحَةً وَعَلِيهَا أَنْسٌ وَوَقَارٌ.
وَنَظَرَ إِلَى مَجَاسِدٍ عَظِيمَةٍ فَنَظَرَ فِيهِ مِنَ السَّادَاتِ الْكِرَامِ وَالْمَوَالِي
الْعِظَامِ وَفِيهِ مِنْ جَمِيعِ أَصْنَافِ الزَّهْرِ وَجَمِيعِ أَصْنَافِ الْمُسْمُومِ وَمِنْ
أَنْوَاعِ النُّقْلِ وَالْفَوَاكِهِ وَشَيْئًا كَثِيرًا مِنْ أَصْنَافِ الْأَطْعَمَةِ النَّفِيسَةِ.
وَفِيهِ مَشْرُوبٌ مِنْ خَوَاصِّ دَوَالِي الْكُرُومِ وَفِيهِ آلَاتُ السَّمْعِ.

وَالطَّرَبُ مِنْ أَصْنَافِ الْجَوَارِي الْحَسَنِ كُلِّ مِنْهُمْ فِي مَقَامِهِ عَلَى
نَسَبِ التَّرْتِيبِ . وَفِي صَدْرِ ذَلِكَ الْمَجْلِسِ رَجُلٌ عَظِيمٌ مُحْتَرَمٌ قَدْ
لَكَرَهُ الشَّيْبُ فِي عَوَارِضِهِ وَهُوَ مَلِيحُ الصُّورَةِ حَسَنُ الْمُنْظَرِ وَعَالِيهِ
هَيْبَةٌ وَوَقَارٌ وَعِزٌّ وَافْتِخَارٌ . فَعِنْدَ ذَلِكَ بَهَتَ السَّنْدَبَادُ الْحَمَلُ وَقَالَ
فِي نَفْسِهِ : وَلِلَّهِ إِنَّ هَذَا الْمَكَانَ مِنْ بُعِ الْجِنَانِ أَوْ إِنَّهُ يَكُونُ
قَضْرَ مَلِكٍ أَوْ سُلْطَانٍ : ثُمَّ إِنَّهُ تَأَدَّبَ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ وَدَعَا لَهُمْ وَقَبَّلَ
الْأَرْضَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَوَقَفَ وَهُوَ مُنْكَسِرُ الرَّأْسِ مُخْشِعٌ . وَأَذِنَ لَهُ
صَاحِبُ الْمَكَانِ بِالْجُلُوسِ فَجَاسَ رَفَدٌ قَرَبَهُ إِلَيْهِ وَصَارَ يُؤَانِسُهُ
بِالْكَلَامِ وَيُرْجِبُ بِهِ . ثُمَّ قَدَّمَ لَهُ شَيْئًا مِنْ أَنْوَاعِ الطَّعَامِ الْمَفْتَحِرِ
الطَّيِّبِ النَّفِيسِ . فَقَدَّمَ السَّنْدَبَادُ الْحَمَلُ وَتَنَّى وَأَكَلَ حَتَّى اكْتَفَى
رَشِعٌ وَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ : ثُمَّ إِنَّهُ عَمَلَ يَدَيْهِ وَشَكَرَهُمْ عَلَى
ذَلِكَ . فَقَالَ صَاحِبُ الْمَكَانِ : مَرْحَبًا بِكَ وَنِعْمَ أَرْكَ مُبَارَكٌ . فَمَا يَكُونُ
أَتَمُّكَ . وَمَا تُعَانِي مِنَ الصَّنَائِعِ : فَقَالَ لَهُ : يَا سَيِّدِي أَسْمِي السَّنْدَبَادُ
الْحَمَلُ وَأَنَا أَتَمَلُّ عَلَى رَأْيِي أَسْبَابَ النَّاسِ بِالْأَجْرَةِ : فَتَبَاهَتُمْ صَاحِبُ
الْمَكَانِ وَقَالَ لَهُ : أَعْلَمُ يَا حَمَلُ أَنَّ أَتَمُّكَ مِثْلُ أَسْمِي . فَأَنَا السَّنْدَبَادُ
الْمُجَرِّي وَالْكَبَنُ يَا حَمَلُ قَصْدِي أَنْ تُسَيِّبَنِي الْآبَاتِ الَّتِي كُنْتُ
تُشَدُّهَا وَأَنْتَ عَلَى الْبَابِ : فَأَسْخَى الْحَمَلُ وَقَالَ لَهُ : بِاللَّهِ عَلَيْكَ لَا
نُؤَاخِذُنِي فَإِنَّ التَّعَبَ وَالْمَشَنَةَ وَقَلَّةَ مَا فِي الْيَدِ تَعْلِمُ الْإِنْسَانَ قِلَّةَ
الْأَدَبِ وَالسَّفَهَةِ : فَقَالَ لَهُ : لَا تَسْتَعِجْ فَأَنْتَ صِرْتَ أَخِي فَأَلْشِدْ

الْأَنْبِيَاءَ فَإِنَّهَا أَعْجَبَتْنِي لَمَّا سَمِعْتُهَا مِنْكَ وَأَنْتَ تُنْشِدُهَا عَلَى الْبَابِ :
فَعِنْدَ ذَلِكَ أَنْشَدَ الْحَمَّالُ تِلْكَ الْأَنْبِيَاءَ فَأَعْجَبَتْهُ وَطَرَبَ لِسْمَاعِيهَا وَقَالَ
لَهُ : يَا حَمَّالُ أَعْلَمْ أَنَّ لِي قِصَّةً عَجِيبَةً وَسَوْفَ أَخْبِرُكَ بِجَمِيعِ مَا صَارَ
لِي وَمَا جَرَى لِي مِنْ قَبْلِ أَنْ أَصِيرَ إِلَى هَذِهِ السَّعَادَةِ وَأَجْلِسَ فِي
هَذَا الْمَكَانِ الَّذِي تَرَانِي فِيهِ . فَأَتَانِي مَا وَصَلْتُ إِلَى هَذِهِ السَّعَادَةِ
وَهَذَا الْمَكَانِ إِلَّا بَعْدَ تَعَبٍ شَدِيدٍ وَمَشَقَّةٍ عَظِيمَةٍ وَأَهْوَالٍ كَثِيرَةٍ .
وَكَمْ قَاسَيْتُ فِي الزَّمَنِ الْأَوَّلِ مِنَ التَّعَبِ وَالتَّصَبُّبِ . وَقَدْ سَافَرْتُ
سَبْعَ سَفَرَاتٍ وَكُلُّ سَفَرَةٍ لَهَا حِكَايَةٌ عَجِيبَةٌ تُخَيِّرُ الْفِكَرَ
السَّفَرَةُ السَّادِسَةُ

مِنَ السَّبْعِ السَّفَرَاتِ لِلْسَّنْدَبَادِ الْبُخَرِيِّ

إِعْلَمُوا يَا سَادَةَ يَا كِرَامُ . أَنَّهُ كَانَ لِي أَبٌ تَاجِرٌ وَكَانَ مِنْ
أَكْبَارِ النَّاسِ وَالتَّجَارِ . وَكَانَ عِنْدَهُ مَالٌ كَثِيرٌ وَتَوَالٍ جَزِيلٌ .
وَقَدْ مَاتَ وَأَنَا وَلَدٌ صَغِيرٌ وَخَلَفَ لِي مَالًا وَعَقَارًا وَضِيَاعًا . فَلَمَّا
كَبُرْتُ وَصَفْتُ يَدَيَّ عَلَى الْجَمِيعِ وَقَدْ أَكَلْتُ أَكْثَلَ مَيْحًا وَشَرَبْتُ
شَرْبًا مَلِيحًا وَعَاشَرْتُ الشَّبَابَ وَتَجَمَّلْتُ بِلِبْسِ الثِّيَابِ وَشَيْتُ مَعَ
الْحُلَّانِ وَالْأَصْحَابِ وَاعْتَقَدْتُ أَنَّ ذَلِكَ يَدُومُ لِي وَيَنْفَعُنِي وَلَمْ أَزَلْ
عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ مُدَّةً مِنَ الزَّمَانِ وَأَفْقْتُ مِنْ غَفْلَتِي . ثُمَّ إِنِّي رَجَعْتُ
إِلَى عَقْلِي فَوَجَدْتُ مَالِي قَدْ مَالَ وَحَالِي قَدْ حَالَ وَقَدْ ذَهَبَ جَمِيعُ
مَا كَانَ مَعِي وَلَمْ أَسْتَفِقْ لِنَفْسِي إِلَّا وَأَنَا مَرْعُوبٌ مَذْهُوشٌ وَقَدْ

تَفَكَّرْتُ حِكَايَةَ كُنْتُ أَتَمَعُهَا سَابِقًا مِنْ أَبِي وَهِيَ حِكَايَةُ سَيِّدِنَا
 سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ ثَلَاثَةُ خَيْرٍ مِنْ ثَلَاثَةِ : يَوْمُ
 الْمَمَاتِ خَيْرٌ مِنْ يَوْمِ الْوِلَادَةِ . وَكَأُ حَيُّ خَيْرٌ مِنْ سَبْعِ مَيِّتٍ .
 وَالْقَبْرُ خَيْرٌ مِنَ الْفَقْرِ : ثُمَّ إِنِّي قُتُّ وَجُمْتُ مَا كَانَ عِنْدِي مِنْ آثَارِ
 وَمَلْبُوسٍ وَبَعْتُهُ ثُمَّ بَعْتُ عِتَارِي وَجَمِيعَ مَا تَمَلَّكَتُ يَدَيَّ فَجُمَعْتُ ثَلَاثَةَ
 آلَافٍ دِرْهَمٍ . وَقَدْ خَطَرَ بِيَالِي السَّفَرُ إِلَى بِلَادِ النَّاسِ وَتَذَكَّرْتُ
 كَلَامَ بَعْضِ الشُّعْرَاءِ حَيْثُ قَالَ :

بِقَدْرِ الْكَدِّ تَكْتَسِبُ الْمُعَالِي وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَى سَهَرَ الْأَيَّامِ
 يَفُوصُ الْبَحْرُ مِنْ طَابِ الْأَلَى وَيَحْظِي بِالسِّيَادَةِ وَالنَّوَالِ
 وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَى مِنْ غَيْرِ كَدٍّ أَضَاعَ الْعُمْرَ فِي طَابِ الْأَحْمَالِ
 فَاشْتَاقْتُ نَفْسِي إِلَى السَّفَرِ وَالْجَارَةِ فَعَزَمْتُ عَلَى السَّفَرِ وَأَشْتَرَيْتُ
 لِي بَضَائِعَ نَفِيسَةً فَأَخَرَةً تَصْلُحُ لِلْبَحْرِ وَحَمَلْتُ حُمُولِي وَسَافَرْتُ مِنْ مَدِينَةِ
 بَغْدَادَ إِلَى مَدِينَةِ الْبَصْرَةِ فَرَأَيْتُ مَرْكَبًا عَظِيمًا فِيهِ تِجَارٌ وَأَكْبَارُ
 وَمَعَهُمْ بَضَائِعُ نَفِيسَةٌ فَتَزَلْتُ حُمُولِي مَعَهُمْ فِي هَذَا الْمَرْكَبِ وَسِيرْنَا
 بِالسَّلَامَةِ مِنْ مَدِينَةِ الْبَصْرَةِ وَلَمْ تَزَلْ مُسَافِرِينَ مِنْ مَكَانٍ إِلَى
 مَكَانٍ وَمِنْ مَدِينَةٍ إِلَى مَدِينَةٍ وَنَحْنُ نَبِيعُ وَلِنَشْتَرِيَ وَنَتَرَجَّعَ عَلَى بِلَادِ
 النَّاسِ . وَقَدْ طَلَبَ لَنَا السَّعْدُ وَالسَّفَرُ وَأَعْتَمَنَّا الْمَعَاشَ إِلَى أَنْ كُنَّا
 سَازِنِينَ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ وَإِذَا بِرَيْسِ الْمَرْكَبِ صَرَخَ وَصَاحَ وَرَفَى
 بِعِمَامَتِهِ وَلَطَمَ عَلَى وَجْهِهِ وَتَفَفَّحَتْ لِحْيَتُهُ وَوَقَعَ فِي بَطْنِ الْمَرْكَبِ مِنْ

شِدَّةَ النِّعَمِ وَالْفَقْرِ . فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ جَمِيعُ التَّجَارِ وَالرُّكَّابِ . وَقَالُوا
 لَهُ : يَا رَئِيسُ مَا الْخَبْرُ : فَقَالَ لَهُمُ الرَّئِيسُ : أَعْلَمُوا يَا جَمَاعَةُ أَنَّنَا قَدْ تَهَنَّا
 بِمَرْكَبِنَا وَخَرَجْنَا مِنَ التَّجَرِ الَّذِي كُنَّا فِيهِ وَدَخَلْنَا بَحْرًا لَمْ نَعْرِفْ
 طَرِيقَهُ وَإِذَا لَمْ يَقْضِ اللَّهُ لَنَا شَيْئًا يُخَاصِّنَا مِنْ هَذَا الْبَحْرِ هَاكُنَا
 بِاجْمَعٍ لَا مَحَالَةَ فَادْعُوا اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُخَيِّجَنَا مِنْ هَذَا الْأَمْرِ : ثُمَّ إِنَّ
 الرَّئِيسَ قَامَ عَلَى حَيْلِهِ وَصَعِدَ عَلَى الصَّارِي وَأَرَادَ أَنْ يَحُلَّ الْفُلُوعَ
 فَتَوَيَّ الرِّيحُ عَلَى الْمَرْكَبِ فَرَدَّهَا عَلَى مُؤَخَّرِهَا فَأَنْكَسَرَتْ دَقَّتْهَا
 قُرْبَ جَبَلٍ عَالٍ : فَتَزَلَّ الرَّئِيسُ مِنَ الصَّارِي وَقَالَ : لَا حَوْلَ وَلَا
 قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ لَا يَتَذَرُ أَحَدٌ أَنْ يَمَعَ الْمُدُورَ . وَاللَّهُ
 إِنَّا قَدْ وَقَعْنَا فِي مَهْلَكَةٍ عَظِيمَةٍ وَلَمْ يَبْقَ لَنَا مِنْهَا مُصْرٌ وَلَا نَجَاةٌ :
 فَبَكَى جَمِيعُ الرُّكَّابِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَودَّعَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا انْبِرَاجَ
 أَعْمَارِهِمْ وَأَنْتَطَعَ رَجَاؤُهُمْ وَمَالَ الْمَرْكَبُ عَلَى ذَلِكَ الْجَبَلِ
 فَأَنْكَسَرَ وَتَفَرَّقَتِ الْوَاحُهَا . فَفَرَّقَ جَمِيعُ مَا كَانَ فِيهِ وَوَقَعَ أَتَجَارُ فِي
 التَّجَرِ فَمِنْهُمْ مَنْ غَرِقَ وَمِنْهُمْ مَنْ تَمَسَّكَ بِأَلِكِ الْجَبَلِ وَطَلَعَ عَلَيْهِ .
 وَكُنْتُ أَنَا مِنْ جُمْلَةٍ مَنْ طَلَعَ ذَلِكَ الْجَبَلِ وَإِذَا فِيهِ جَزِيرَةٌ كَبِيرَةٌ
 عِنْدَهَا كَثِيرٌ مِنَ الْمَرَائِبِ الْمَكْسَرَةِ . وَفِيهَا أَرْزَاقٌ كَثِيرَةٌ عَلَى
 شَاطِئِ التَّجَرِ . مِنَ الَّذِي يَطْرَحُهُ التَّجَرُ مِنَ الْمَرَائِبِ الَّتِي كَثُرَتْ
 وَغَرِقَ رُكَّابُهَا . وَفِيهَا شَيْءٌ كَثِيرٌ يُخَيِّرُ الْعَقْلَ وَالْفَكْرَ مِنَ الْمَنَاعِ
 وَالْأَمْوَالِ الَّتِي يُلْقِيهَا التَّجَرُ عَلَى جَوَانِبِهَا فَعِنْدَ ذَلِكَ طَأَمْتُ أَنَلِي

تِلْكَ الْجَزِيرَةُ وَمَشَيْتُ فِيهَا فَرَأَيْتُ فِي وَسْطِهَا عَيْنَ مَاءٍ عَذْبٍ جَارٍ خَارِجٍ مِنْ تَحْتِ أَوَّلِ ذَلِكَ الْجَبَلِ وَدَاخِلٍ فِي آخِرِهِ مِنَ الْجَانِبِ الثَّانِي فَعِنْدَ ذَلِكَ طَلَعَ جَمِيعُ الرُّكَّابِ عَلَى ذَلِكَ الْجَبَلِ إِلَى الْجَزِيرَةِ وَانْتَشَرُوا فِيهَا وَقَدْ ذَهَلَتْ عَنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ وَصَارُوا مِثْلَ الْمَجَانِينِ مِنْ كَثَرَةِ مَا رَأَوْا فِي الْجَزِيرَةِ مِنَ الْآتِمَةِ وَالْأَمْوَالِ الَّتِي عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ وَقَدْ رَأَيْتُ فِي وَسْطِ تِلْكَ الْعَيْنِ شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ أَصْنَافِ الْجَوَاهِرِ وَالْمَعَادِنِ وَالْيَوَاقِيتِ وَاللَّائِيءِ الْكِبَارِ الْمُلُوكِيَّةِ وَهِيَ مِثْلُ الْحَصَى فِي مَجَارِي الْمَاءِ فِي تِلْكَ الْغَيْطَانِ . وَجَمِيعُ أَرْضِ تِلْكَ الْعَيْنِ تَبْرُقُ مِنْ كَثَرَةِ مَا فِيهَا مِنَ الْمَعَادِنِ وَغَيْرِهَا . وَرَأَيْنَا شَيْئًا كَثِيرًا فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ مِنْ أَعْلَى الْعُودِ الصِّينِيِّ وَالْعُودِ الْقَهَارِيِّ . وَفِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ عَيْنٌ نَابِعَةٌ مِنْ صَنْفِ الْعَنْبَرِ الْحَامِ وَهُوَ يَسِيلُ مِثْلَ الشَّمْعِ عَلَى جَانِبِ تِلْكَ الْعَيْنِ مِنْ شِدَّةِ حَرِّ الشَّمْسِ وَيَمْتَدُّ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ فَتَطْلُعُ الْهَوَاشِ مِنْ الْبَحْرِ تَبْلَعُهُ وَتَنْزِلُ بِهِ فِي الْبَحْرِ فَيَمُتُّ فِي بَطُونِهَا فَتَمْدِفُهُ مِنْ أَفْوَاهِهَا فِي الْبَحْرِ فَيَجْمَدُ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ يَتَغَيَّرُ لَوْنُهُ وَأَحْوَالُهُ فَتَمْدِفُهُ الْأَمْوَاجُ إِلَى جَانِبِ الْبَحْرِ فَيَأْخُذُهُ السَّيَّاحُونَ وَالتَّجَارُ الَّذِينَ يَعْرِفُونَهُ فَيَدْعُونَهُ . وَأَمَّا الْعَنْبَرُ الْحَامُ الْخَالِصُ مِنَ الْبَلْعِ فَإِنَّهُ يَسِيلُ عَلَى جَانِبِ تِلْكَ الْعَيْنِ وَيَتَجْمَدُ بِأَرْضِهِ . فَإِذَا طَلَعَتِ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَسِجُّ وَتَبْقَى مِنْهُ رَائِحَةٌ ذَلِكَ الْوَادِي كُلُّهُ مِثْلَ الْمِسْكِ . وَإِذَا زَالَتْ عَنْهُ الشَّمْسُ

يَجْمَدُ . وَذَلِكَ الْمَكَانُ الَّذِي فِيهِ هَذَا الْعَنْبَرُ الْحَامُ لَا يَشْدُرُ أَحَدٌ عَلَى دُخُولِهِ وَلَا يَسْتَطِيعُ سُلُوكُهُ . فَإِنَّ الْجَبَلَ مُحِيطٌ بِتِلْكَ الْجَزِيرَةِ وَلَا يَشْدُرُ أَحَدٌ عَلَى صُعُودِ ذَلِكَ الْجَبَلِ . وَلَمْ تَزَلْ دَائِرِينَ فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ تَنْفَرُجُ عَلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا مِنَ الْأَرْزَاقِ وَتَحْنُ مُتَحَيِّرُونَ فِي أَمْرِنَا وَفِيمَا نَزَاهُ وَعِنْدَنَا خَوْفٌ شَدِيدٌ . وَقَدْ جَمَعْنَا عَلَى جَانِبِ الْجَزِيرَةِ شَيْئًا قَلِيلًا مِنَ الزَّادِ فَصِرْنَا نُوفِرُهُ وَنَأْكُلُ مِنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ أَكْثَلَهُ وَاحِدَةً وَتَحْنُ خَائِفُونَ أَنْ يَرْغَ الزَّادُ مِنَّا فَمُوتَ كَمَدًا مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ . وَكُلُّ مَنْ مَاتَ مِنَّا نَعْسَلَهُ وَنَكْفِنُهُ فِي ثِيَابٍ وَقَشٍ مِنَ الَّذِي يَطْرَحُهُ الْبَحْرُ عَلَى جَانِبِ الْجَزِيرَةِ حَتَّى مَاتَ مَا خَلَقَ كَذِيرٌ وَلَمْ يَبْقَ مِنَّا إِلَّا جَمَاطَةٌ قَلِيلَةٌ . فَضَعَفْنَا بَوَاجِعَ الْبَطْنِ مِنَ الْبَحْرِ وَأَقَمْنَا مُدَّةَ فَلِيلَةٍ فَمَاتَ جَمِيعُ أَضْحَائِي وَرُفَقَائِي وَاحِدٌ بَعْدَ وَاحِدٍ . وَكُلُّ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ نَذِفُهُ . وَبَقِيَتْ فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ وَحْدِي وَبَقِيَ مَعِيَ زَادٌ قَلِيلٌ بَعْدَ أَنْ كَانَ كَثِيرًا فَبَكَيْتُ عَلَى نَفْسِي وَقُلْتُ : يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ رُفْقَائِي وَكَانُوا غَسَلُونِي وَدَفَنُونِي فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ : ثُمَّ إِنِّي أَقَمْتُ مُدَّةَ سِيرَةٍ وَقَمْتُ حَفَرْتُ لِنَفْسِي حُفْرَةً عَمِيقَةً فِي جَانِبِ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ وَقُلْتُ فِي نَفْسِي إِذَا ضَعُفْتُ وَعَلِمْتُ أَنَّ الْمَوْتَ قَدْ آتَانِي أَرْقُدْ فِي هَذَا الْكَهْبِ فَأَمُوتُ فِيهِ وَيَبْقَى الرِّيحُ يَسْنِي الرَّمْلَ عَلَيَّ فَيُغْطِيَنِي وَأَصِيرُ مَدْفُونًا فِيهِ . وَصِرْتُ أَلُومُ نَفْسِي عَلَى فَلَّةِ عَقْلِي وَخُرُوجِي مِنْ

بِلَادِي وَمَدْيَنِي وَسَفَرِي إِلَى الْبِلَادِ بَعْدَ الَّذِي فَاسَيْتُهُ أَوَّلًا وَثَانِيًا
وَتَالِكَ وَرَابِعًا وَخَامِسًا . وَلَا سَفَرَةَ مِنَ الْأَسْكَارِ إِلَّا وَأَقَاسِي أَهْوَالًا
وَشَدَايِدَ أَشَقَّ وَأَصْعَبَ مِنَ الْأَهْوَالِ الَّتِي قَبْلَهَا . وَمَا أَصَدَّقُ بِالنَّجَاةِ
وَالسَّلَامَةِ وَأَتُوبُ عَنِ السَّفَرِ فِي الْبَحْرِ وَعَنْ عَوْدِي إِلَيْهِ . وَأَسْتُ مُحْتَاجًا
لِمَالٍ وَعِنْدِي شَيْءٌ كَثِيرٌ . وَالَّذِي عِنْدِي لَا أَقْدِرُ أَنْ أَفْنِيَهُ وَلَا أَضِيعَ
نِصْفَهُ فِي بَاقِي عُمْرِي . وَعِنْدِي مَا يَكْفِينِي وَزِيَادَةٌ . ثُمَّ إِنِّي تَفَكَّرْتُ
فِي نَفْسِي وَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَا بَدَّ أَنْ هَذَا النَّهْرُ لَهُ أَوَّلٌ وَآخِرٌ وَلَا بَدَّ
مِنْ مَكَانٍ يُخْرَجُ مِنْهُ إِلَى الْعِدَارِ . وَالرَّأْيُ السَّيِّدُ عِنْدِي أَنِّي أَعْمَلُ
لِي فُلْكَأً صَغِيرًا عَلَى قَدْرِ مَا أَجْلِسُ فِيهِ وَأَنْزِلُ وَأُتْقِيهِ فِي هَذَا
النَّهْرِ وَأَسِيرُ بِهِ . فَإِنْ وَجَدْتُ لِي خَلَاصًا أَخْلَصُ وَأَنْجُو بِإِذْنِ اللَّهِ
تَعَالَى . وَإِنْ لَمْ أَجِدْ لِي مَخْلَصًا أَمُوتُ دَاخِلَ هَذَا النَّهْرِ أَحْسَنَ مِنْ
هَذَا الْمَكَانِ وَصِرْتُ أَتَحَسَّرُ عَلَى نَفْسِي . ثُمَّ إِنِّي قَتْتُ وَسَعَيْتُ
فَحَمَمْتُ أَخْشَابًا مِنْ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ مِنْ خَشَبِ الْعُودِ الصَّيْنِيِّ وَالْقَهَارِيِّ
وَشَدَدْتُهَا عَلَى جَانِبِ الْبَحْرِ بِجِبَالٍ مِنْ جِبَلِ الْمَرَكَبِ الَّتِي كَسَرْتُ
وَجَعَلْتُ بِالْوَحِ مَتَسَاوِيَةً مِنَ الْوَحِ الْمَرَكَبِ وَوَضَعْتُهَا فِي ذَلِكَ
الْخَشَبِ وَجَعَلْتُ ذَلِكَ الْفُكَّ عَلَى عَرْضِ ذَلِكَ النَّهْرِ أَوْ أَقْلَ مِنْ
عَرْضِهِ . وَشَدَدْتُهُ شَدًّا طَبًّا مَكِينًا . وَقَدْ أَخَذْتُ مَعِيَ مِنْ تِلْكَ
الْمَعَادِنِ وَالْجَوَاهِرِ وَالْأَمْوَالِ وَالْأَوَّلُ الْكَبِيرُ الَّذِي مِثْلُ الْحَصَى
وَعَبْرَ ذَلِكَ مِنَ الَّذِي فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ وَشَيْئًا مِنَ الْعَبْرِ الْحَامِ

الْحَاصِرِ الطَّيِّبِ وَوَضَعْتُهُ فِي ذَلِكَ الْفَلَكَ وَوَضَعْتُ فِيهِ جَمِيعَ مَا جَمَعْتُهُ
مِنَ الْجَزِيرَةِ وَأَخَذْتُ مَعِيَ جَمِيعَ مَا كَانَ بَاقِيًا مِنْ لَزَادِ . ثُمَّ إِنِّي
أَقَمْتُ ذَلِكَ الْفَلَكَ فِي هَذَا النَّهْرِ وَجَعَلْتُ لَهُ خَشَبَتَيْنِ عَلَى جَنْبَيْهِ
مِثْلَ الْعَجَادِفِ وَعَمِلْتُ يَقُولُ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ .

تَرَحَّلَ عَنْ مَكَانٍ فِيهِ ضَيْمٌ وَخَلَّ الدَّارَ تَنْعَى مَنْ بَنَاهَا
فَإِنَّكَ وَاحِدٌ أَرْضًا بِأَرْضٍ وَنَفْسُكَ لَمْ تَبْدُ نَفْسًا سِوَاهَا
وَلَا تَجْزَعُ لِحَادِثَةِ الْإِلَهِ فَكُلُّ مُصِيبَةٍ يَأْتِي أَنْتَهَا
وَمَنْ كَانَتْ مَنِيَّتُهُ بِأَرْضٍ فَلَيْسَ يَمُوتُ فِي أَرْضٍ سِوَاهَا
وَلَا تَبْعَتْ رَسُولَكَ فِي مَهْمٍ فَمَا لِلنَّفْسِ نَاصِحَةٌ سِوَاهَا
وَسَرْتُ بِذَلِكَ الْفَلَكَ فِي النَّهْرِ وَأَنَا مُتَفَكِّرٌ فِيمَا يَصِيرُ إِلَيْهِ
أَمْرِي . وَلَمْ أَزَلْ سَاطِرًا إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي بَدَخُلُ فِيهِ النَّهْرُ تَحْتَ
ذَلِكَ الْجَبَلِ وَدَخَلْتُ الْفَلَكَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ وَقَدْ صِرْتُ فِي
ظُلُمَةٍ شَدِيدَةٍ تَحْتَ الْجَبَلِ . وَلَمْ يَزَلِ الْفَلَكَ دَاخِلًا بِي مَعَ الْمَاءِ إِلَى
ضَيْقٍ تَحْتَ الْجَبَلِ . وَصَارَتْ جَوَابُ الْفَلَكَ تَهْلِكُ فِي جَوَابِ
النَّهْرِ وَرَأْسِي يَهْلِكُ فِي سَفْهِ النَّهْرِ وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى أَنْ أُعَوِّدُ مِنْهُ
وَقَدْ لَمْتُ نَفْسِي عَلَى مَا فَعَلْتُهُ بِرُوحِي وَقُلْتُ : إِنْ ضَاقَ الْمَكَانُ
عَلَى الْفَلَكَ قَلَّ أَنْ يُخْرَجَ مِنْهُ وَلَا يُمْكِنُ عَوْدُهُ فَأَهْلِكُ فِي الْمَكَانِ
كَدًّا بِلا مَحَالَةٍ . وَقَدْ أَنْطَرَحْتُ عَلَى وَجْهِ فِي الْفَلَكَ مِنْ ضَيْقِ
النَّهْرِ . وَنَمْ أَزَلْ سَاطِرًا وَلَا أَعْلَمُ لَيْلًا مِنْ نَهَارٍ بِسَبَبِ الظُّلُمَةِ إِلَيَّ

أَنَا فِيهَا تَحْتَ ذَلِكَ الْجَبَلِ مَعَ الْفَزَعِ وَالْخَوْفِ عَلَى نَفْسِي مِنْ
 الْهَلَاكِ . وَلَمْ أَزَلْ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ سَائِرًا فِي ذَلِكَ النَّهْرِ وَهُوَ
 يَتَسَمَّعُ تَارَةً وَيَضِيقُ أُخْرَى . وَلَكِنَّ الظُّلْمَةَ قَدْ أَتَعَبَتْنِي تَعَبًا شَدِيدًا
 فَأَخَذْتُ سِنَةً مِنَ النَّوْمِ مِنْ شِدَّةِ قَهْرِي فَنِمْتُ عَلَى وَجْهِي فِي
 الظُّلْمِ . وَلَمْ يَزَلْ سَائِرًا بِي وَأَنَا نَائِمٌ لَا أَدْرِي بِكَثِيرٍ وَلَا قَلِيلٍ
 ثُمَّ إِنِّي اسْتَيْقَظْتُ فَوَجَدْتُ نَفْسِي فِي الثُّورِ . فَفَتَحْتُ عَيْنِي فَرَأَيْتُ
 مَكَانًا وَاسِعًا وَذَلِكَ الظُّلْمُ مَرْبُوطٌ عَلَى جَزِيرَةٍ وَحَوْلِي جَمَاعَةٌ مِنَ
 الْهُنُودِ وَالْحَبَشَةِ . فَلَمَّا رَأَوْنِي قَمْتُ نَهَضُوا إِلَيَّ وَكَلَّمُونِي بِلِسَانِهِمْ
 فَلَمْ أَعْرِفْ مَا يَقُولُونَ . وَبَقِيَ أَظُنُّ أَنَّهُ حُلُمٌ وَأَنَّ هَذَا فِي الْمَنَامِ
 مِنْ شِدَّةِ مَا كُنْتُ فِيهِ مِنَ الضِّيقِ وَالْقَهْرِ . فَلَمَّا كَلَّمُونِي وَلَمْ
 أَعْرِفْ حَدِيثَهُمْ وَلَمْ أَرُدْ عَلَيْهِمْ جَوَابًا . تَقَدَّمَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْهُمْ وَقَالَ
 لِي بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَخَانَا . مَنْ تَكُونُ أَنْتَ وَمِنْ
 أَيْنَ جِئْتَ . وَمَا سَبَبُ حَيِّجِكَ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ . وَمِنْ أَيْنَ دَخَلْتَ
 فِي هَذَا الْمَاءِ . وَأَيُّ بِلَادٍ خَلَفَ هَذَا الْجَبَلَ لَا تَنَا لَا نَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا
 سَلَكَ مِنْ هُنَاكَ إِلَيْنَا : فَقُلْتُ لَهُ : مَنْ تَكُونُونَ أَنْتُمْ وَأَيُّ أَرْضٍ
 هَذِهِ : فَقَالَ لِي : يَا أَخِي نَحْنُ أَصْحَابُ الزَّرْعِ وَالْغَيْطَانِ وَجِنَا
 لِنَسْقِي غَيْطَانَنَا وَزَرَعَنَا فَوَجَدْنَاكَ نَائِمًا فِي الظُّلْمِ فَأَمْسَكْنَاهُ
 وَرَبَطْنَاهُ عِنْدَنَا حَتَّى تَقُومَ عَلَى مَهْلِكَ . فَأَخْبَرْنَا مَا سَبَبَ وُصُولَكَ
 إِلَى هَذَا الْمَكَانِ : فَقُلْتُ لَهُ : يَا إِلَهِي عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي أَتُنْيِي بِشَيْءٍ

مِنْ الطَّعَامِ فَإِنِّي جَائِعٌ وَبَعْدَ ذَلِكَ أَسْأَلُنِي عَمَّا تُرِيدُ . فَأَسْرَعَ
 وَأَتَانِي بِالطَّعَامِ فَأَكَلْتُ حَتَّى شَبِعْتُ وَارْتَحْتُ وَسَكَنَ رَوْعِي وَازْدَادَ
 شَبْعِي وَرَدَّتْ لِي رُوحِي . فَحَمِدْتُ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى كُلِّ حَالٍ وَفَرِحْتُ
 بِخُرُوجِي مِنْ ذَلِكَ النَّهْرِ وَوَصُولِي إِلَيْهِمْ وَلَخَبَرْتُهُمْ بِجَمِيعِ مَا جَرَى
 لِي مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ وَمَا لَقِيتُهُ فِي ذَلِكَ النَّهْرِ وَصِيقِهِ . ثُمَّ إِنَّهُمْ
 تَكَلَّمُوا مَعَ بَعْضِهِمْ وَقَالُوا : لَا بُدَّ أَنْ نَأْخُذَهُ مَعَنَا وَنُعَرِّضَهُ عَلَى مَلِكِنَا
 لِيُخَيِّرَهُ بِمَا جَرَى لَهُ : قَالَ : فَأَخَذُونِي مَعَهُمْ وَحَمَلُوا مِنِّي أَنْتَكَ بِجَمِيعِ
 مَا فِيهِ مِنَ الْمَالِ وَالنَّوَالِ وَالْجَوَاهِرِ وَالْمَعَادِنِ وَالْمَصَاغِرِ . وَقَدْ أَدْخَلُونِي
 عَلَى مَلِكِهِمْ وَأَخْبَرُوهُ بِمَا جَرَى . فَسَلَّمَ عَلَيَّ وَرَحَّبَ بِي وَسَأَلَنِي عَنْ
 حَالِي وَمَا أَتَّفَقَ لِي مِنَ الْأُمُورِ . فَأَخْبَرْتُهُ بِجَمِيعِ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي
 وَمَا لَقِيتُهُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ . فَتَحَبَّبَ الْمَلِكُ مِنْ هَذِهِ الْحِكَايَةِ
 غَايَةَ الْعَجَبِ وَهَنَانِي بِالسَّلَامَةِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ قُمْتُ وَطَلَمْتُ مِنْ ذَلِكَ
 الْفَلَكَ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْمَعَادِنِ وَالْجَوَاهِرِ وَالْعُودِ وَالْعَنْبَرِ الْحَنَامِ
 وَأَهْدَيْتُهُ إِلَى الْمَلِكِ فَصَلُّهُ مِنِّي وَكَرَّمَنِي إِكْرَامًا زَانِدًا وَأَثَرَانِي فِي
 مَكَانٍ عِنْدَهُ وَقَدْ صَاحَبْتُ أَخْيَارَهُمْ وَأَعَزُّونِي مَعَزَّةً عَظِيمَةً وَصَرْتُ
 لَا أَفَارِقُ دَارَ الْمَلِكِ . وَصَارَ الْوَارِدُونَ إِلَى تِلْكَ الْجَزِيرَةِ يَسْأَلُونَنِي
 عَنْ أُمُورِ بِلَادِي فَأَخْبَرْتُهُمْ بِهَا . وَكَذَلِكَ أَسْأَلُهُمْ عَنْ أُمُورِ
 بِلَادِهِمْ فَيُخْبِرُونَنِي بِهَا إِلَى أَنْ سَأَلَنِي مَلِكُهُمْ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ عَنْ
 أَحْوَالِ بِلَادِي وَعَنْ أَحْوَالِ حُكْمِ الْحُلَيْفَةِ فِي بِلَادِ مَدِينَةِ بَغْدَادَ

أَنَا فِيهَا تَحْتَ ذَلِكَ الْجَبَلِ مَعَ الْقَرْعِ وَالْخَوْفِ عَلَى نَفْسِي مِنَ
الْهَلَاكِ . وَلَمْ أَزَلْ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ سَارًّا فِي ذَلِكَ النَّهْرِ وَهُوَ
يَتَسَّعُ تَارَةً وَيَضِيقُ أُخْرَى . وَلَكِنَّ الظُّلْمَةَ قَدْ اتَّبَعَتْنِي تَعَبًا شَدِيدًا
فَأَخَذَتْنِي سِنَةٌ مِنَ النَّوْمِ مِنْ شِدَّةِ قَهْرِي فَنِمْتُ عَلَى وَجْهِي فِي
الْهَلَاكِ . وَلَمْ يَزَلْ سَارًّا بِي وَأَنَا نَائِمٌ لَا أَدْرِي بِكَثِيرٍ وَلَا قَلِيلٍ
ثُمَّ إِنِّي اسْتَيْقَظْتُ فَوَجَدْتُ نَفْسِي فِي النُّورِ . فَفَتَحْتُ عَيْنِي فَرَأَيْتُ
مَكَانًا وَاسِعًا وَذَلِكَ أَلْفُكُ مَرْبُوطٌ عَلَى جَزِيرَةٍ وَحَوْلِي جَمَاعَةٌ مِنَ
الْهُنُودِ وَالْحَبَشَةِ . فَلَمَّا رَأَوْنِي قَتُّنَهُنَّوَا إِلَيَّ وَكَلَّمُونِي بِلِسَانِهِمْ
فَلَمْ أَعْرِفْ مَا يَقُولُونَ . وَبَقِيَ أَظُنُّ أَنَّهُ حُلُمٌ وَأَنَّ هَذَا فِي الْمَنَامِ
مِنْ شِدَّةِ مَا كُنْتُ فِيهِ مِنَ الضِّيقِ وَالْقَهْرِ . فَلَمَّا كَلَّمُونِي وَلَمْ
أَعْرِفْ حَدِيثَهُمْ وَلَمْ أَرُدْ عَلَيْهِمْ جَوَابًا . تَقَدَّمَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْهُمْ وَقَالَ
لِي بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَخَانَا . مَنْ تَكُونُ أَنْتَ وَمِنْ
أَيْنَ جِئْتَ . وَمَا سَبَبُ حَاجَتِكَ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ . وَمِنْ أَيْنَ دَخَلْتَ
فِي هَذَا الْمَاءِ . وَأَيُّ بِلَادٍ خَلَفَ هَذَا الْجَبَلَ لَا تَنَا لَا نَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا
سَلَكَ مِنْ هُنَاكَ إِلَيْنَا : فَقُلْتُ لَهُ : مَنْ تَكُونُونَ أَنْتُمْ وَأَيُّ أَرْضٍ
هَذِهِ : فَقَالَ لِي : يَا أَخِي نَحْنُ أَصْحَابُ الزَّرْعِ وَالْغَيْطَانِ وَجِئْنَا
لِنُسْقِيَ غَيْطَانَنَا وَزَرَعَنَا فَوَجَدْنَاكَ نَائِمًا فِي أَلْفُكِ فَأَمْسَكْنَاهُ
وَرَبَطْنَاهُ عِنْدَنَا حَتَّى تَقُومَ عَلَى مَهْلِكَ . فَأَخْبَرْنَا مَا سَبَبُ وُصُولِكَ
إِلَى هَذَا الْمَكَانِ : فَقُلْتُ لَهُ : يَا اللَّهُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي أَتَيْتَنِي إِشْيَاءُ

مِنْ الطَّعَامِ فَإِنِّي جَائِعٌ وَبَعْدَ ذَلِكَ أَسْأَلُنِي عَمَّا تُرِيدُ . فَأَسْرَعَ
 وَأَتَانِي بِالطَّعَامِ فَأَكَلْتُ حَتَّى شَبِعْتُ وَارْتَحْتُ وَسَكَنَ رَوْحِي وَازْدَادَ
 شَبْعِي وَرُدَّتْ لِي رُوحِي . فَحَمِدْتُ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى كُلِّ حَالٍ وَفَرِحْتُ
 بِخُرُوجِي مِنْ ذَلِكَ النَّهْرِ وَوَصُولِي إِلَيْهِمْ وَلَخَبَرْتَهُمْ بِجَمِيعِ مَا جَرَى
 لِي مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ وَمَا لَقِيتُهُ فِي ذَلِكَ النَّهْرِ وَضَيْقَهُ . ثُمَّ إِنَّهُمْ
 تَكَلَّمُوا مَعَ بَعْضِهِمْ وَقَالُوا : لَا بُدَّ أَنْ نَأْخُذَهُ مَعَنَا وَنُعْرِضَهُ عَلَى مَلِكِنَا
 لِيُخَيِّرَهُ بِمَا جَرَى لَهُ : قَالَ : فَأَخَذُونِي مَعَهُمْ وَحَمَلُوا مِنِّي ذَلِكَ بِجَمِيعِ
 مَا فِيهِ مِنَ الْمَالِ وَالنَّوَالِ وَالْجَوَاهِرِ وَالْمَعَادِنِ وَالْمَصَاغِرِ . وَقَدْ أَدْخَلُونِي
 عَلَى مَلِكِهِمْ وَأَخْبَرُوهُ بِمَا جَرَى . فَسَلَّمَ عَلَيَّ وَرَحَّبَ بِي وَسَأَلَنِي عَنْ
 حَالِي وَمَا أَتَّفَقَ لِي مِنَ الْأُمُورِ . فَأَخْبَرْتُهُ بِجَمِيعِ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي
 وَمَا لَقِيتُهُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ . فَتَجَبَّ أُمْلِكُ مِنْ هَذِهِ الْحِكَايَةِ
 غَايَةَ الْعَجَبِ وَهَنَانِي بِالسَّلَامَةِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ قُمْتُ وَطَلَمْتُ مِنْ ذَلِكَ
 أَلْفُكُ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْمَعَادِنِ وَالْجَوَاهِرِ وَالْعُودِ وَالْعَبَرِ الْحَنَامِ
 وَأَهْدَيْتُهُ إِلَى أُمْلِكِ قَبْلَهُ مِنِّي وَأَكْرَمَنِي إِكْرَامًا زَانِدًا وَأَتَزَانِي فِي
 مَكَانٍ عِنْدَهُ وَقَدْ صَاحَبْتُ أَخْيَارَهُمْ وَأَعَزُّونِي مَعَزَّةً عَظِيمَةً وَصَرْتُ
 لَا أَفَارِقُ دَارَ أُمْلِكِ . وَصَارَ الْوَارِدُونَ إِلَى تِلْكَ الْجَزِيرَةِ يَسْأَلُونَنِي
 عَنْ أُمُورِ بِلَادِي فَأَخْبَرْتَهُمْ بِهَا . وَكَذَلِكَ أَسْأَلُهُمْ عَنْ أُمُورِ
 بِلَادِهِمْ فَيُخْبِرُونَنِي بِهَا إِلَى أَنْ سَأَلَنِي مَلِكُهُمْ يَوْمًا مِنْ الْأَيَّامِ عَنْ
 أَحْوَالِ بِلَادِي وَعَنْ أَحْوَالِ حُكْمِ الْحَلِيفَةِ فِي بِلَادِ مَدِينَةِ بَغْدَادَ

فَأَخْبَرْتُهُ بِعَدْلِهِ فِي أَحْكَامِهِ . فَتَجَبَّ مِنْ أُمُورِهِ وَقَالَ لِي : وَاللَّهِ
 إِنَّ الْخَلِيفَةَ لَهُ أُمُورٌ عَقْلِيَّةٌ وَأَحْوَالٌ مَرْضِيَّةٌ وَأَنْتَ قَدْ حَبَّبْتَنِي فِيهِ
 وَمُرَادِي أَنْ أَجْهَزَ لَهُ هَدِيَّةً وَأَرْسِلَهَا مَعَكَ إِلَيْهِ : فَقُلْتُ : سَمْعًا
 وَطَاعَةً يَا مَوْلَانَا أَوْصِلْهَا إِلَيْهِ وَأَخْبِرْهُ أَنَّكَ حُبٌّ صَادِقٌ : وَلَمْ أَزَلْ
 مُتِمًّا عِنْدَ ذَلِكَ الْمَلِكِ وَأَنَا فِي غَايَةِ الْعِزِّ وَالْإِكْرَامِ وَحُسْنِ مَعِيشَةٍ
 مُدَّةً مِنَ الزَّمَانِ إِلَى أَنْ كُنْتُ جَالِسًا يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ فِي دَارِ
 الْمَلِكِ فَسَمِعْتُ بِخَبَرِ جَمَاعَةٍ مِنْ تِلْكَ الْمَدِينَةِ . أَنَّهُمْ جَهَّزُوا لَهُمْ مَرْكَبًا
 يُرِيدُونَ السَّفَرَ فِيهِ إِلَى نَوَاحِي مَدِينَةِ الْبَصْرَةِ . فَقُلْتُ فِي نَفْسِي
 لَيْسَ لِي أَوْفَقُ مِنَ السَّفَرِ مَعَ هَؤُلَاءِ الْجَمَاعَةِ . فَأَسْرَعْتُ مِنْ وَقْتِي
 وَسَاعَتِي وَقَبَّلْتُ يَدَ ذَلِكَ الْمَلِكِ وَأَعْلَمْتُهُ بِأَنْ مُرَادِي السَّفَرُ مَعَ
 الْجَمَاعَةِ فِي الْمَرْكَبِ الَّذِي جَهَّزُوهُ لِأَنِّي أَشْتَمْتُ إِلَى أَهْلِي وَبِلَادِي .
 فَقَالَ لِي الْمَلِكُ : الرَّأْيُ لَكَ وَإِنْ شِئْتَ الْإِقَامَةَ عِنْدَنَا فَعَلَى الرَّأْسِ
 وَالْعَيْنِ وَقَدْ حَصَلَ لَنَا أَنْسُكَ : فَقُلْتُ : وَاللَّهِ يَا سَيِّدِي قَدْ عَمَّرْتَنِي
 بِجَمِيلِكَ وَإِحْسَانِكَ وَلَكِنِّي قَدْ أَشْتَمْتُ إِلَى أَهْلِي وَبِلَادِي وَعِيَالِي :
 فَلَمَّا سَمِعَ كَلَامِي أَحْضَرَ التَّجَارَ الَّذِينَ جَهَّزُوا الْمَرْكَبَ وَأَوْصَاهُمْ
 عَلَيَّ وَقَدْ وَهَبَ لِي شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ عِنْدِهِ وَدَفَعَ عَنِّي أَجْرَةَ الْمَرْكَبِ
 وَأَرْسَلَ مَعِي هَدِيَّةً عَظِيمَةً إِلَى الْخَلِيفَةِ هَارُونَ الرَّشِيدِ بِمَدِينَةِ
 بَغْدَادَ . ثُمَّ إِنِّي وَدَعْتُ جَمِيعَ أَصْحَابِي الَّذِينَ كُنْتُ أَتَرَدَّدُ عَلَيْهِمْ .
 ثُمَّ زَاتُ ذَلِكَ الْمَرْكَبَ مَعَ التَّجَارِ وَسَرْنَا وَقَدْ طَابَ لَنَا الرِّيحُ وَالسَّفَرُ

وَتَحْنُ مُتَوَكِّلُونَ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى . وَلَمْ تَزَلْ مُسَافِرِينَ مِنْ
بَحْرِ إِلَى بَحْرٍ وَمِنْ جَزِيرَةٍ إِلَى جَزِيرَةٍ إِلَى أَنْ وَصَلْنَا بِالسَّلَامَةِ بِإِذْنِ
اللَّهِ تَعَالَى إِلَى مَدِينَةِ الْبَصْرَةِ . فَطَلْتُ مِنَ الْمَرْكَبِ وَلَمْ أَزَلْ
مُقِيمًا بِأَرْضِ الْبَصْرَةِ أَيَّامًا وَلَيَالِي حَتَّى جَهَّزْتُ نَفْسِي وَحَمَلْتُ حُمُولِي
وَتَوَجَّهْتُ إِلَى مَدِينَةِ بَغْدَادَ دَارِ السَّلَامِ . فَدَخَلْتُ عَلَى الْخَلِيفَةِ
هَارُونَ الرَّشِيدِ وَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ تِلْكَ الْهُدِيَّةَ وَأَخْبَرْتُهُ بِجَمِيعِ مَا
جَرَى لِي . ثُمَّ خَزَنْتُ جَمِيعَ أَمْوَالِي وَأَمْتَعْتِي وَدَخَلْتُ حَارَتِي رَجَاءً نِي
أَهْلِي وَأَصْحَابِي وَفَرَّقْتُ الْهُدَايَا عَلَى جَمِيعِ أَهْلِي وَتَصَدَّقْتُ وَوَهَبْتُ .
وَبَعْدَ مُدَّةٍ مِنَ الزَّمَانِ أَرْسَلَ إِلَيَّ الْخَلِيفَةُ . فَسَأَلَنِي عَنْ سَبَبِ
تِلْكَ الْهُدِيَّةِ وَمِنْ أَيْنَ هِيَ . فَذَاتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . وَاللَّهُ لَا
أَعْرِفُ لِلْمَدِينَةِ الَّتِي هِيَ مِنْهَا أَسَدًا وَلَا طَرِيقًا . وَلَكِنْ لَمَّا غَرِقَ
الْمَرْكَبُ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ . طَلَعْتُ عَلَى جَزِيرَةٍ وَقَدْ صَنَعْتُ لِي
فُلُكًا وَزُرْتُ فِيهِ فِي نَهْرٍ كَانَ فِي وَطَنِ جَزِيرَةٍ . وَأَخْبَرْتُهُ بِمَا جَرَى
لِي فِي السَّفَرَةِ وَكَيْفَ كَانَ خِلَافِي مِنْ ذَلِكَ النَّهْرِ إِلَى تِلْكَ
الْمَدِينَةِ وَبِمَا جَرَى لِي فِيهَا وَبِسَبَبِ إِرْسَالِي الْهُدِيَّةَ . فَتَعَجَّبَ الْخَلِيفَةُ
مِنْ ذَلِكَ غَايَةً أَعْجَبَ وَأَرَى الْمُؤَرِّخِينَ أَنْ يَكْتُبُوا حِكَايَتِي وَيَجْمَعُوهَا
فِي خَزَائِنِهِ لِيَعْتَبَرَ بِهَا كُلُّ مَنْ رَأَاهَا

حِكَايَةُ عَابِدٍ

زَعَمُوا أَنَّ بَعْضَ الْعُبَادِ كَانَ يَتَعَبَّدُ فِي بَعْضِ الْجِبَالِ . وَكَانَ

يَأْوِي إِلَى ذَلِكَ الْجَبَلِ زَوْجٌ مِنَ الْحَمَامِ . وَكَانَ ذَلِكَ الْعَابِدُ
 قَدْ قَسَمَ قُوَّتَهُ نِصْفَيْنِ . وَجَمَلَ نِصْفَهُ لِنَفْسِهِ . وَنِصْفَهُ لَذَلِكَ الزَّوْجِ
 الْحَمَامِ . وَدَعَا الْعَابِدُ لَهَا بِكَثْرَةِ النَّسْلِ . فَكَثُرَ نَسْلُهُمَا . وَلَمْ يَكُنْ
 الْحَمَامُ يَأْوِي سِوَى الْجَبَلِ الَّذِي فِيهِ الْعَابِدُ . وَكَانَ السَّبَبُ فِي
 اجْتِمَاعِ الْحَمَامِ بِالْعَابِدِ كَثْرَةُ تَسْبِيحِ الْحَمَامِ . وَقِيلَ : إِنَّ الْحَمَامَ
 يَهْوِلُ فِي تَسْبِيحِهِ : سُبْحَانَ خَالِقِ الْخَلْقِ . وَقَاسِمِ الرِّزْقِ . وَبَاني
 السَّمَوَاتِ . وَبَاسِطِ الْأَرْضِينَ : وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ الزَّوْجُ الْحَمَامُ فِي ارْتِدَادِ
 عَيْشِ هُوَ وَنَسْلُهُ حَتَّى مَاتَ الْعَابِدُ . فَتَشَتَّتَ شِئْلُ الْحَمَامِ وَتَفَرَّقَ
 فِي الْمَدُنِ وَالْقُرَى وَالْجِبَالِ

حِكَايَةُ الرَّاعِي الْعَابِدِ

ذَكَرُوا أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ الْجِبَالِ رَجُلٌ مِنَ الرُّعَاةِ . وَكَانَ
 صَاحِبَ دِينٍ وَعَقْلٍ وَعِفَّةٍ . وَكَانَ لَهُ أَغْنَامٌ يَرْعَاهَا . وَيَنْتَفِعُ بِأَلْبَانِهَا
 وَأَصْوَافِهَا . وَكَانَ ذَلِكَ الْجَبَلُ الَّذِي يَأْوِي إِلَيْهِ الرَّاعِي كَثِيرَ
 الْأَشْجَارِ وَالْمَرْعَى وَالسَّبَاحِ . وَلَمْ يَكُنْ لَتِلْكَ الْوُحُوشِ قُدْرَةٌ عَلَى
 الرَّاعِي . وَلَا عَلَى غَنَمِهِ . وَلَمْ يَزَلْ مُقِيمًا فِي الْجَبَلِ مُطْمَئِنًّا لَا يُهِيمُهُ
 شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا . لِسَعَادَتِهِ وَإِقْبَالِهِ عَلَى صَلَاتِهِ وَعِبَادَتِهِ . فَتَدَرَّ
 اللَّهُ أَنَّهُ مَرَضَ مَرَضًا شَدِيدًا . فَدَخَلَ الْعَابِدُ فِي كَهْفِ الْجَبَلِ .
 وَصَارَتْ الْأَنْهَارُ تَخْرُجُ بِأَنْهَارٍ إِلَى مَرْعَاهَا . وَتَأْوِي بِالذَّلِيلِ إِلَى الْكُهْفِ
 وَكَانَ قَرِيبًا مِنَ الرَّاعِي قَرْيَةً فِيهَا رَجُلٌ مِنَ الصَّالِحِينَ لَمْ يَعْلَمْ

بِكَانِهِ . فَرَأَى فِي مَنَايِهِ كَأَنَّ قَائِلًا يَقُولُ لَهُ : إِنَّ بِالْقُرْبِ مِنْكَ
 فِي مَكَانٍ كَذَا رَجُلًا صَالِحًا . فَأَذْهَبَ إِلَيْهِ وَكُنْ تَحْتَ طَاعَةِ
 أَمْرِهِ : فَلَمَّا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ تَوَجَّهَ نَحْوَهُ سَائِرًا . فَلَمَّا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْحَرُّ
 انْتَهَى إِلَى شَجَرَةٍ عِنْدَهَا عَيْنُ مَاءٍ تَجْرِي . فَاسْتَرَحَ هُنَاكَ وَجَاسَ
 فِي ظِلِّ تِلْكَ الشَّجَرَةِ . فَإِذَا هُوَ بِوُحُوشٍ وَطُيُورٍ أَتَتْ إِلَى تِلْكَ
 الْعَيْنِ لِتَشْرَبَ مِنْهَا . فَلَمَّا رَأَتْ الْعَابِدَ جَالِسًا تَقَرَّتْ مِنْهُ وَرَجَعَتْ
 وَشَرَدَتْ . فَقَالَ الْعَابِدُ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . إِنِّي لَمْ أَسْتَرَحْ
 هُنَا إِلَّا ضَرَرًا عَلَى هَذِهِ الْوُحُوشِ وَالطُّيُورِ : فَقَامَ وَقَالَ مُعَاتِبًا لِنَفْسِهِ :
 لَقَدْ أَضَرَّ بِهِذِهِ الْحَيَوَانَاتِ فِي هَذَا الْيَوْمِ جُلُوسِي فِي هَذَا الْمَكَانِ .
 فَمَا أَلْذَرُّ بَيْنِي وَبَيْنَ خَالِقِي وَخَالِقِ هَذِهِ الطُّيُورِ وَالْوُحُوشِ فَإِنِّي
 كُنْتُ سَبَبًا لَشُرُودِهَا عَنْ شُرْبِهَا وَعَنْ رِزْقِهَا وَمَرْعَاهَا . فَوَاحِجَاتِي
 مِنْ رَبِّي يَوْمَ يَتَنَصُّ لِلشَّاةِ الْجَمَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ : ثُمَّ بَكَى وَأَنشَدَ
 يَقُولُ هَذِهِ الْأَيَّاتُ

أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ عَلِمَ الْأَنَامُ	لَمَا خَافُوا لَمَّا غَضَلُوا وَنَامُوا
مَوْتَ ثُمَّ بَعَثَ ثُمَّ حَشَرَ	وَتَوَنَّبَحَ وَأَهْوَالَ عِظَامُ
وَمَحْنُ إِذَا انْتَهَيْنَا أَوْ أَمَرْنَا	كَأَهْلِ الْكَهْفِ آيَاقُ نِيَامُ

ثُمَّ بَكَى عَلَى جُلُوسِهِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ عِنْدَ الْعَيْنِ وَمَنْعِهِ الطُّيُورَ
 وَالْوُحُوشَ مِنْ شُرْبِهَا . وَوَلَّى سَائِحًا عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أَتَى إِلَى الرَّاعِي
 فَدَخَلَ إِلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ . فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَعَانَقَهُ وَبَكَى . فَقَالَ لَهُ

الرَّاعِي: مَا الَّذِي أَتَى بِكَ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ الَّذِي لَمْ يَدْخُلْهُ أَحَدٌ
 مِنَ النَّاسِ عَلَيَّ: فَقَالَ لَهُ الْغَايِدُ: إِنِّي رَأَيْتُ فِي مَنَاجِي مِنْ يَصِفُ
 لِي مَكَانَكَ وَيَأْمُرُنِي أَنْ أَسِيرَ إِلَيْكَ وَأَسْلَمَ عَلَيْكَ . فَأَتَيْتُكَ
 مُتَشَلِّلاً لَمَّا أُمِرْتُ بِهِ : فَقَبِلَهُ الرَّاعِي وَطَابَتْ نَفْسُهُ بِصُحْبَتِهِ وَجَلَسَ
 مَعَهُ فِي الْجَبَلِ يَعْبُدَانِ اللَّهَ فِي ذَلِكَ الْغَارِ . فَحَسُنَتْ عِبَادَتُهُمَا وَلَمْ
 يَزَالَا فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ يَعْبُدَانِ رَبَّهُمَا وَيَتَقَوَّانِ مِنْ لُحُومِ الْغَنَمِ
 وَالْأَبْنَاهَا مُتَجَرِّدِينَ عَنِ الْمَالِ وَالْبَنِينَ إِلَى أَنْ أَتَاهُمَا الْيَقِينُ . وَهَذَا
 آخِرُ حَدِيثِهِمَا

حِكَايَاتُ مَلَائِكَةِ الْمَوْتِ الْحِكَايَةُ الْأُولَى

ذَكَرُوا أَنَّ مَلَكًا مِنَ الْمَلَكِ الْمُتَقَدِّمِينَ . أَرَادَ أَنْ يَرْكَبَ
 يَوْمًا . فِي جَمَلَةٍ أَهْلَ مَمْلَكَتِهِ وَأَرْبَابِ دَوْلَتِهِ . وَيُظْهِرَ لِلْخَلَائِقِ عَجَابَ
 زِينَتِهِ . فَأَمَرَ أَصْحَابَهُ وَأَمْرَاءَهُ وَكُتَبَاءَ دَوْلَتِهِ أَنْ يَأْخُذُوا أَهْبَةَ
 الْخُرُوجِ مَعَهُ . وَأَمَرَ خَازِنَ الثِّيَابِ أَنْ يُخْضِرَ لَهُ مِنْ أَفْخَرِ الثِّيَابِ مَا
 يَصْلُحُ لِلْمَلِكِ فِي زِينَتِهِ . وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ خَيْلِهِ الْمُوصُوفَةِ الْعِتَاقِ الْمَعْرُوفَةِ .
 فَفَعَلُوا ذَلِكَ . ثُمَّ إِنَّهُ اخْتَارَ مِنَ الثِّيَابِ مَا أَعْجَبَهُ . وَمِنْ الْخَيْلِ مَا
 اسْتَحْسَنَهُ . ثُمَّ لَبَسَ الثِّيَابَ وَرَكِبَ الْجَوَادَ . وَسَارَ بِالْمَوَكِبِ .
 وَالطُّوقِ الْمَرْصِعِ بِالْجَوَاهِرِ وَأَصْنَافِ الدُّرِّ وَالْيَرَاقِيَتِ . وَجَعَلَ

يَرْكُضُ الْحِصَانَ فِي عَسْكَرِهِ . وَيَفْتَخِرُ بِتَيْبِهِ وَتَجْبِرِهِ . فَأَنَاهُ
إِبْلِيسُ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى مَخْرَجِهِ وَفَتَحَ فِي أَنتِهِ نَفْخَةَ الْكِبَرِ وَالْعَجَبِ
فَرَهَا وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : مَنْ فِي الْعَالَمِ مِثْلِي : وَطَلَقَ يَتَيْبَهُ بِالْعَجَبِ
وَالْكِبَرِ وَيُنْظِرُ الْأَبْهَةَ . وَيَهْوُو الْحِيلَاءَ وَلَا يَنْظُرُ إِلَى أَحَدٍ مِنْ تَيْبِهِ
وَكِبَرِهِ . وَتَعْجِبُهُ وَفَخْرِهِ . فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَجُلٌ عَلَيْهِ ثِيَابُ رُتْنَةٍ .
فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدُّ عَلَيْهِ السَّلَامَ . فَقَبَضَ عَلَى عِزَانِ فَرَسِهِ . فَقَالَ لَهُ
الْمَلِكُ : أَرْفَعْ يَدَكَ . فَإِنَّكَ لَا تَذَرِي بَعِثَانٍ مِنْ قَدِّ أَمْسَكَتَ . فَقَالَ
لَهُ : إِنْ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ : فَقَالَ : أَصْبِرْ حَتَّى أَزِلَ وَأَذْكُرْ حَاجَتَكَ .
فَقَالَ : إِنَّهَا سِرٌّ وَلَا أَقُولُهَا إِلَّا فِي أَذْنِكَ : فَقَالَ بِسْمِعِهِ إِلَيْهِ . وَقَالَ
لَهُ : أَنَا مَلَاكُ الْمَوْتِ . وَأُرِيدُ قَبْضَ رُوحِكَ : وَقَالَ : أَمَانِي بِتَدْرِمَا
أَعُودُ إِلَى بَيْتِي . وَأُودِعُ أَهْلِي وَأَوْلَادِي وَجِيرَانِي وَزَوْجَتِي : فَقَالَ :
كَلَّا . لَا تَعُودُ . وَلَنْ تَرَاهُمْ أَبَدًا . فَإِنَّهُ قَدْ مَضَى أَجَلُ عُثْمَرَكَ : فَأَخَذَ
رُوحَهُ وَهُوَ عَلَى ظَهْرِ فَرَسِهِ . فَخَرَّ مَيِّتًا

وَمَضَى مَلَاكُ الْمَوْتِ مِنْ هُنَاكَ . فَأَتَى رَجُلًا صَالِحًا . قَدْ رَضِيَ
اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ . فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ . فَقَالَ مَلَاكُ الْمَوْتِ : أَيُّهَا
الرَّجُلُ الصَّالِحُ . إِنْ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ وَهِيَ سِرٌّ : فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ
الصَّالِحُ : أَذْكُرْ حَاجَتَكَ فِي أَذْنِي فَقَالَ : أَنَا مَلَاكُ الْمَوْتِ : فَقَالَ
الرَّجُلُ : مَرْحَبًا بِكَ . الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى عَيْبِكَ فَإِنِّي كُنْتُ كَثِيرًا أَتْرَقُبُ
وَعُودَكَ إِلَيَّ . وَلَقَدْ طَالَتْ غَيْبُكَ عَنِ الْمَشَاقِقِ إِلَى قُدُومِكَ :

فَقَالَ لَهُ مَلِكُ الْمَوْتِ : إِنْ كَانَ لَكَ شُغْلٌ فَأَقِضْهُ : فَقَالَ لَهُ لَيْسَ لِي شُغْلٌ أَهْمٌ عِنْدِي مِنْ لِقَاءِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ : فَقَالَ : كَيْفَ تُحِبُّ أَنْ أَقِضَ رُوحَكَ . فَإِنِّي أَمِرتُ أَنْ أَقِضَهَا كَيْفَ أَرَدْتُ وَأَخْذَرْتُ : فَقَالَ : أَهْلَانِي حَتَّى أَسْجُدَ وَأُصَلِّيَ . فَإِذَا سَجَدْتُ وَصَلَّيْتُ فَأَقِضْ رُوحِي . وَأَنَا سَاجِدٌ : فَقَالَ مَلِكُ الْمَوْتِ : إِنْ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَني أَنْ لَا أَقِضَ رُوحَكَ إِلَّا بِاخْتِيَارِكَ . كَيْفَ أَرَدْتُ . وَأَنَا أَفْعَلُ مَا قُلْتُ : فَقَامَ الرَّجُلُ وَسَجَدَ وَصَلَّى فَقَبَضَ مَلِكُ الْمَوْتِ رُوحَهُ . وَهُوَ سَاجِدٌ . وَنَفَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مَحَلِّ الرَّحْمَةِ وَالرِّضْوَانِ وَالْمَغْفِرَةِ

الْحِكَايَةُ الثَّانِيَّةُ

زَعَمُوا أَنَّ مَلِكًا مِنَ الْمُلُوكِ . كَانَ قَدْ جَمَعَ مَالًا عَظِيمًا لَا يُحْصَى عَدْدُهُ . وَاخْتَوَى عَلَى أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ . مِنْ كُلِّ نَوْعٍ خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا لِيُرْفَهُ نَفْسَهُ حَتَّى إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَفَرَّغَ لِمَا جَمَعَهُ مِنْ النِّعَمِ الطَّائِلَةِ بَنَى لَهُ قَصْرًا عَالِيًا مُرْتَفِعًا شَاهِقًا . يَصْلُحُ لِلْمُلُوكِ . وَيَكُونُ بِهِمْ لَذْنًا . ثُمَّ رَكَّبَ عَلَيْهِ بَابَيْنِ مُحْكَمَيْنِ . وَرَبَّ لَهُ الْعِلْمَانِ وَالْأَجْنَادَ وَالْبَوَابِينَ كَمَا أَرَادَ . وَأَمَرَ الطَّبَاحَ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ . أَنْ يَضَعَّ لَهُ شَيْئًا مِنْ أَطْيَبِ الطَّعَامِ . وَجَمَعَ أَهْلَهُ وَحَشَمَهُ . وَأَصْحَابَهُ وَخَدَمَهُ . لِيَأْكُلُوا عِنْدَهُ وَيَتَالَوْا رَفْدَهُ . وَجَلَسَ عَلَى سَرِيرِ مَمْلَكَتِهِ وَسَيَادَتِهِ . وَاتَّكَأَ عَلَى وِسَادَتِهِ . وَخَاطَبَ نَفْسَهُ وَقَالَ : يَا نَفْسُ . قَدْ جَمَعْتُ لَكَ نِعَمَ الدُّنْيَا بِأَسْرَها . فَالآنَ تَفَرَّغِي وَكُلِّي مِنْ هَذِهِ

النِّعَمُ مُهَنَّاةٌ بِالنَّعْرِ الطَّوِيلِ . وَالْحَطَّ الْجَزِيلُ : فَلَمْ يَفْرَغْ مِمَّا حَدَّثَ بِهِ نَفْسَهُ حَتَّى أَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ ظَاهِرِ الْقَصْرِ . عَلَيْهِ ثِيَابٌ رَثَّةٌ وَفِي عُنُقِهِ مِخْلَافَةٌ مُعَلَّمَةٌ عَلَى هَيْئَةِ سَائِلٍ لَيْنَالِ الطَّعَامِ . فَجَاءَ وَطَرَقَ حَاقَةً بَابَ الْقَصْرِ طَرَفَةً عَظِيمَةً هَائِلَةً . كَادَتْ تُزَلُّهُ الْقَصْرُ وَتُرْجِعُ السَّرِيرَةَ . فَخَافَ الْغُلَامَانِ فَوَثَبُوا إِلَى الْبَابِ . وَصَاحُوا بِالطَّارِقِ وَقَالُوا لَهُ : وَيْحَكَ . مَا هَذِهِ الْقَعْلَةُ وَسُوَّ الْأَدَبِ . أَصْبِرْ حَتَّى يَأْكُلَ الْمَلِكُ وَنُعْطِيكَ مِمَّا يَفْضُلُ : فَقَالَ الْغُلَامَانِ : قُولُوا لِصَاحِبِكُمْ يَخْرُجْ إِلَيَّ حَتَّى يَكَلِّمَنِي . فَلِيَ إِلَيْهِ حَاجَةٌ وَشُغْلٌ مِهِمْ وَأَمْرٌ مُهِمٌّ . فَقَالُوا : تَنَحَّ أَيُّهَا الضَّمِيفُ . مَنْ أَنْتَ حَتَّى تَأْمُرَ صَاحِبَنَا بِالْخُرُوجِ إِلَيْكَ : فَقَالَ لَهُمْ : عَرَفُوهُ ذَلِكَ : فَجَاؤُوا إِلَيْهِ وَعَرَفُوهُ . فَقَالَ : هَلَا زَجَرْتُمُوهُ وَجَرَدْتُمْ عَلَيْهِ وَنَهَرْتُمُوهُ : ثُمَّ طَرَقَ الْبَابَ أَعْظَمَ مِنَ الطَّرَفَةِ الْأُولَى . فَهَضَّ الْغُلَامَانُ إِلَيْهِ بِالْعِصِيِّ وَالسِّلَاحِ وَقَصَدُوهُ لِيُغَارِبُوهُ . نَصَاحَ بِهِمْ صَيِّحَةٌ . وَقَالَ : ازْمُمُوا أَمَاكِنَكُمْ . فَأَنَا مَلِكُ الْمَوْتِ : فَرَعَبَتْ قُلُوبُهُمْ وَذَهَبَتْ عُقُولُهُمْ . وَطَاشَتْ حُلُومُهُمْ . وَارْتَعَدَتْ فَرَائِصُهُمْ وَبَطَلَتْ عَنِ الْحَرَكَةِ جَوَارِحُهُمْ . فَقَالَ لَهُمُ الْمَلِكُ : قُولُوا لَهُ يَأْخُذْ بَدَلًا مِنِّي وَعِوَضًا عَنِّي : فَقَالَ مَلِكُ الْمَوْتِ : لَا آخُذُ بَدَلًا . وَلَا أَتِي إِلَّا مِنْ أَجْلِكَ لَا فَرِيقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ النَّعَمِ الَّتِي جَمَعْتَهَا . وَالْأَمْوَالِ الَّتِي حَوَيْتَهَا وَخَزَنْتَهَا : فَعِنْدَ ذَلِكَ تَنَفَّسَ الصُّعْدَاءُ وَبَكَى وَقَالَ : لَعَنَ اللَّهُ أَلْمَالَ الَّذِي غَرَّنِي وَأَضْرَنِي وَمَنَعَنِي عَنْ عِبَادَةِ رَبِّي . وَكَذْتُ

أَظُنُّ أَنَّهُ يَفْعُنِي . فَبَقِيَ الْيَوْمَ حَسْرَةً عَلَيَّ وَوَبَالًا لَدَيَّ . وَهَذَا أَنَا أَخْرُجُ
صَفَرَ الْيَدَيْنِ مِنْهُ وَيَسْمَعُ لِأَعْدَائِي : قَالَ . فَأَنْطَقَ اللَّهُ الْمَالَ وَقَالَ :
لَا يَسَبُّ تَلْعُنِي . أَلَعَنَ نَفْسَكَ . فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَنِي وَإِيَّاكَ مِنْ
تُرَابٍ وَجَعَلَنِي فِي يَدِكَ لِتَرْوِدَ مِنِّي لِأَخْرَاطِكَ وَتَتَصَدَّقَ بِي عَلَى الْفُقَرَاءِ
وَالْمَسَاكِينِ وَالضُّعَفَاءِ . وَلِتَعْمُرَ بِي الْمَسَاجِدَ وَالْجُسُورَ وَالْقَنَاطِرَ .
لَأَكُونَ عَوْنًا لَكَ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ . وَأَنْتَ جَمَعْتَنِي وَخَزَنْتَنِي وَفِي
هَوَاكَ أَنْفَقْتَنِي وَلَمْ تَشْكُرْ لِحَقِّي بَلْ كَفَرْتَنِي . فَلَا أَنْ تَرْكَنْتَنِي
لِأَعْدَائِكَ وَأَنْتَ بِحَسْرَتِكَ وَنَدَامَتِكَ . فَأَيُّ ذَنْبٍ لِي حَتَّى تَسْبِيَنِي :
ثُمَّ إِنَّ مَلِكَ الْمَوْتِ قَبِضَ رُوحَهُ . وَهُوَ عَلَى سَرِيرِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْكُلَ
الطَّعَامَ . فَحَرَّ مِيتًا سَاقِطًا مِنْ فَوْقِ سَرِيرِهِ كَقَوْلِهِ : حَتَّى إِذَا فَرَّحُوا
بِمَا أُوتُوا . أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ
الْحِكَايَةُ الثَّانِيَّةُ

حُكِيَ أَنَّ مَلِكًا جَبَّارًا مِنْ مُلُوكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ . كَانَ فِي
بَعْضِ الْأَيَّامِ جَالِسًا عَلَى سَرِيرِ مَمْلَكَتِهِ . فَرَأَى رَجُلًا قَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ
مِنْ بَابِ الدَّارِ . وَلَهُ صُورَةٌ مُنْكَرَةٌ وَهَيْئَةٌ هَائِلَةٌ . فَأَتَمَّازَ مِنْ
هُجُومِهِ عَلَيْهِ . وَفَزَعَ مِنْ هَيْئَتِهِ قَوْبًا فِي وَجْهِهِ . وَقَالَ : مَنْ أَنْتَ
أَيُّهَا الرَّجُلُ . وَمَنْ أَذْنُ لَكَ فِي الدُّخُولِ عَلَيَّ وَأَمْرَكَ بِالْمُجِيءِ إِلَيَّ
دَارِي : فَقَالَ : أَمْرُنِي صَاحِبُ الدَّارِ . وَأَنَا لَا يَخْجِبُنِي حَاجِبٌ وَلَا
أَحْتَاجُ فِي دُخُولِ الْمُلُوكِ إِلَى إِذْنٍ . وَلَا أَرْهَبُ سِيَاسَةَ سُلْطَانٍ وَلَا

كَثْرَةَ أَعْوَانٍ . أَنَا الَّذِي لَا يَرْغُبُنِي جَبَّارٌ . وَلَا لِأَحَدٍ مِنْ قَبْضَتِي
فِرَارٌ . أَنَا هَادِمُ اللَّذَاتِ وَمُفَرِّقُ الْجَمَاعَاتِ : فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ هَذَا
الْكَلَامَ خَرَّ عَلَى وَجْهِهِ وَدَبَّتِ الرُّعْدَةُ فِي بَدَنِهِ وَوَقَعَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ .
فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ : أَنْتَ مَلِكَ الْمَوْتِ : قَالَ : نَعَمْ : قَالَ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ
بِاللَّهِ إِلَّا مَا أَمَهْلَتَنِي يَوْمًا وَاحِدًا لِأَسْتَغْفِرَ مِنْ ذَنْبِي . وَأَطْلُبَ الْعُذْرَ
مِنْ رَبِّي وَارْدَ الْأَمْوَالِ الَّتِي فِي خَزَائِنِي لِأَرْبَابِهَا . وَلَا أَتَحْمِلَ مَشَقَّةَ
حِسَابِهَا . وَوَيْلَ عِقَابِهَا : فَقَالَ مَلِكُ الْمَوْتِ : هِيَاتِ هِيَاتِ . لَا سَبِيلَ
لَكَ إِلَى ذَلِكَ . وَكَيْفَ أَمَهْلُكَ وَأَيَّامُ عُمرِكَ مَحْسُوبَةٌ . وَأَنْفَاسُكَ
مَعْدُودَةٌ . وَأَوْفَاتُكَ مَشْبُوتَةٌ مَكْتُوبَةٌ : فَقَالَ أَمَهْلَنِي سَاعَةً : فَقَالَ : إِنَّ
السَّاعَةَ فِي الْحِسَابِ وَقَدْ مَضَتْ وَأَنْتَ عَافِلٌ . وَأَنْقَضَتْ وَأَنْتَ
ذَاهِلٌ . وَقَدْ اسْتَوْفَيْتَ أَنْفَاسَكَ . وَلَمْ يَبْقَ لَكَ إِلَّا نَفْسٌ وَاحِدَةٌ :
فَقَالَ : مَنْ يَكُونُ عِنْدِي إِذَا نُقِلْتُ إِلَى الْحَدِيدِ : قَالَ : لَا يَكُونُ عِنْدَكَ
إِلَّا عَمَلُكَ : فَقَالَ : مَا لِي عَمَلٌ : قَالَ : لَا جَرَمَ إِنَّهُ يَكُونُ مَقِيلُكَ فِي النَّارِ
وَمَصِيرُكَ إِلَى غَضَبِ الْجَبَّارِ : ثُمَّ قَبَضَ رُوحَهُ فَخَرَّ سَاقِطًا عَنْ سَرِيرِهِ .
وَوَقَعَ إِلَى الْأَرْضِ . فَحَصَلَ الصُّبْحُ فِي أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ . وَارْتَفَعَتِ
الْأَضْوَاءُ وَعَلَا الصَّيْحَاُ وَالْبُكَاءُ . وَلَوْعَلُّوهُمَا مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ مِنْ
سُخْطِ رَبِّهِ لَكَانَ بُكَاءُهُمْ عَلَيْهِ أَكْثَرَ وَعَوْلُهُمْ أَشَدَّ وَأَوْفَرَ .

ذِكْرُ الْمَوْتِ الدَّائِمِ

حُكِيَ أَنَّ إِسْكَندَرَ ذَا الْقَرْنَيْنِ اجْتَاَزَ فِي سَفَرِهِ يَوْمَ ضَمَمَاءَ

لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا مِنْ أَسْبَابِ الدُّنْيَا. وَقَدْ حَفَرُوا قُبُورَ مَوْتَاهُمْ عَلَى
أَبْوَابِ دُورِهِمْ. وَكَانُوا فِي كُلِّ وَقْتٍ يَتَعَمَّدُونَ تِلْكَ الْقُبُورِ .
وَيَكْنُسُونَ الثَّرَابَ عَنْهَا . وَيُنْظِفُونَهَا وَيُزَوِّرُونَهَا . وَيَعْبُدُونَ اللَّهَ تَعَالَى
فِيهَا . وَلَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا الْحَشِيشُ وَتَبَاتِ الْأَرْضِ . فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ
إِسْكَندَرُ ذُو الْقَرْنَيْنِ رَجُلًا يَسْتَدْعِي مَلَائِكَتَهُمْ إِلَيْهِ . فَلَمَّ يُجِبهُ .
وَقَالَ : مَا لِي إِلَيْهِ حَاجَةٌ : فَسَارَ ذُو الْقَرْنَيْنِ إِلَيْهِ . وَقَالَ : كَيْفَ
حَالُكُمْ وَمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ . فَإِنِّي لَا أَرَى لَكُمْ شَيْئًا مِنْ ذَهَبٍ وَلَا مِنْ
فِضَّةٍ وَلَا أَجِدُ عِنْدَكُمْ شَيْئًا مِنْ نَعِيمِ الدُّنْيَا : فَقَالَ لَهُ : إِنْ نَعِمَ الدُّنْيَا
لَا يَشْبَعُ مِنْهُ أَحَدٌ : فَقَالَ لَهُ إِسْكَندَرُ : لِمَ حَفَرْتُمُ الْقُبُورَ عَلَى أَبْوَابِكُمْ :
فَقَالَ : لِيَكُونَ نُصَبَ أَعْيُنُنَا . فَتَنْظُرُ إِلَيْهَا وَتَجِدُّ ذِكْرَ الْمَوْتِ وَلَا
نُنْسِيَ الْآخِرَةَ وَيَذْهَبُ حُبُّ الدُّنْيَا مِنْ قُلُوبِنَا . فَلَا نَشْتَغِلُ بِهَا عَنْ
عِبَادَةِ رَبِّنَا تَعَالَى : فَقَالَ إِسْكَندَرُ : كَيْفَ تَأْكُلُونَ الْحَشِيشَ : قَالَ :
لِأَنَّا نَكْرَهُ أَنْ نَجْعَلَ فِي بُطُونِنَا قُبُورَ الْحَيَوَانَاتِ . وَلِأَنَّ لَذَّةَ الطَّعَامِ
لَا تَتَجَاوَزُ الْخَلْقَ : ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ فَأَخْرَجَ فِخْفًا مِنْ رَأْسِ آدَمِيِّ فَوَضَعَهُ
بَيْنَ يَدَيْ إِسْكَندَرِ . وَقَالَ لَهُ : يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ . أَتَعْلَمُ مَنْ كَانَ
صَاحِبَ هَذَا : قَالَ : لَا : قَالَ : كَانَ صَاحِبُهُ مَلَكَاً مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا .
فَكَانَ يَظْلِمُ رَعِيَّتَهُ وَيَجُورُ عَلَيْهِمْ وَعَلَى الضُّعَفَاءِ وَيَسْتَفْرِغُ زَمَانَهُ فِي
جَمْعِ حُطَامِ الدُّنْيَا . فَخَبَضَ اللَّهُ رُوحَهُ وَجَعَلَ النَّارَ مَقَرَّهُ وَهَذَا رَأْسُهُ :
ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ وَوَضَعَ فِخْفًا آخَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ . وَقَالَ لَهُ : أَتَعْرِفُ هَذَا :

قَالَ: لَا: قَالَ هَذَا كَانَ مَلَكًا مِنْ مُلُوكِ الْأَرْضِ وَكَانَ عَادِلًا فِي رَعِيَّتِهِ . شَفُوقًا عَلَى أَهْلٍ وَلَا يَتِيهِ وَلُكِيهِ . فَقَبَضَ اللَّهُ رُوحَهُ وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ وَرَفَعَ دَرَجَتَهُ : وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ ذِي الْقَرْنَيْنِ وَقَالَ: تَرَى أَنْتَ أَيُّ هَذَيْنِ الرَّأْسَيْنِ . فَبَكَى ذُو الْقَرْنَيْنِ بُكَاءً شَدِيدًا وَصَمَّهُ إِلَى صَدْرِهِ وَقَالَ لَهُ: إِنْ أَنْتَ رَغَبْتَ فِي صُحْبَتِي . سَلَّمْتُ إِلَيْكَ وَزَارْتَنِي وَقَاسَمْتُكَ فِي مَمْلَكَتِي: فَقَالَ الرَّجُلُ: هَيْهَاتَ . هَيْهَاتَ . مَا لِي رَغْبَةٌ فِي هَذَا: فَقَالَ لَهُ إِسْكَندَرُ: وَلَمْ ذَلِكَ: قَالَ: لِأَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ أَعْدَاؤُكَ بِسَبَبِ أُمَالٍ وَالْمَلِكِ الَّذِي أُعْطِيَتْهُ . وَجَمِيعُهُمْ أَصْدِقَائِي فِي الْحَقِيقَةِ بِسَبَبِ الْقَنَاعَةِ وَالصِّلَاكَةِ . لِأَنِّي لَيْسَ لِي مُلْكٌ وَلَا طَمَعٌ فِي الدُّنْيَا . وَلَا لِي إِلَيْهَا طَلَبٌ . وَلَا فِيهَا أَدَبٌ . وَلَيْسَ لِي إِلَّا الْقَنَاعَةُ حَسْبُ . فَضَمَّهُ إِسْكَندَرُ إِلَى صَدْرِهِ . وَقَبْلَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَأَنْصَرَفَ



فَتَحَبُّ

مِمَّا كَتَبَهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ
فِي الْجُودِ وَالْكَرَمِ وَالْمُكَافَاةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ



فِي طَلِبَتِي أَعْمِيْنِ
حُكِّيَ أَنَّ رَجُلَيْنِ أَعْمِيْنِ كَانَا يَجْلِسَانِ عَلَى طَرِيقِ أُمِّ جَعْفَرٍ .

وَكَاثَتْ مَوْصُوفَةً بِالْكَرَمِ . وَكَانَ أَحَدُهُمَا ذَا عِيَالٍ وَأَهْلٍ وَكَانَ يَقُولُ :
 اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي مِنْ فَضْلِكَ الْوَاسِعِ . وَكَانَ الْآخَرُ عَزَبًا لَا أَهْلَ لَهُ
 وَكَانَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي مِنْ فَضْلِ أُمِّ جَعْفَرٍ . فَصَارَتْ تُرْسِلُ
 الطَّابِ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ دَرَاهِمَيْنِ وَتُرْسِلُ لِطَابِ فَضْلَاهَا رَغِيفَيْنِ بَيْنَهُمَا
 دَجَاجَةٌ مَشْوِيَّةٌ فِي بَطْنِهَا عَشْرَةُ دَنَائِيرٍ لَمْ تَعْلَمْهُ بِهَا . فَكَانَ يَكْرَهُ
 ذَلِكَ وَيَقُولُ لِلْآخَرِ : خُذْ هَذَيْنِ الرَغِيفَيْنِ وَالْدَجَاجَةَ وَأَعْطِنِي
 الدَّرَاهِمَيْنِ فَيَفْعَلُ ذَلِكَ . فَمَضَى عَلَى ذَلِكَ شَهْرٌ . ثُمَّ أَرْسَلَتْ أُمُّ جَعْفَرٍ
 تَقُولُ : قُولُوا لِطَابِ فَضْلَنَا أَمَا أَغْنَاكَ عَطَاؤُنَا . فَقَالَ لَهُمْ : قُولُوا لَهَا
 مَا أَعْطَيْتِهِ . فَقَالَتْ : ثَلَاثُمِائَةِ دِينَارٍ . فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ بَلْ كَانَتْ تُرْسِلُ
 لِي دَجَاجَةً وَرَغِيفَيْنِ كُلَّ يَوْمٍ . وَكُنْتُ أَيْبَعُهَا لِصَاحِبِي بِدَرَاهِمَيْنِ .
 فَقَالَتْ أُمُّ جَعْفَرٍ : صَدَقَ الرَّجُلُ . إِنَّهُ طَابَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ فَأَغْنَاهُ
 اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَلَمْ يَقْصِدْ غِنَاهُ . وَالْآخَرُ طَلَبَ مِنْ فَضْلِنَا
 فَرَحِمَهُ اللَّهُ

(نوادير القليوبي)

فِي قِطْعٍ يَقُوتُ قِطْعًا

حَكَى ابْنُ حَلَّكَانَ وَغَيْرُهُ فِي تَرْجُمَةِ الْإِمَامِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ بَابِشَادَ
 النَّخَوِيِّ . أَنَّهُ كَانَ يَوْمًا عَلَى سَطْحٍ جَامِعٍ مِصْرَ يَأْكُلُ شَيْئًا وَعِنْدَهُ
 بَعْضُ أَصْحَابِهِ . فَخَضَرَهُمْ قِطْعٌ فَرَمَوْا لَهُ لُقْمَةً فِي فِيهِ وَغَابَ عَنْهُمْ . ثُمَّ
 عَادَ إِلَيْهِمْ فَرَمَوْا لَهُ لُقْمَةً ثَانِيَةً فَأَخَذَهَا وَذَهَبَ . ثُمَّ عَادَ فَرَمَوْا لَهُ شَيْئًا
 فَأَخَذَهُ وَذَهَبَ . ثُمَّ عَادَ فَقَعَلَ ذَلِكَ مِرَارًا كَثِيرَةً وَهُمْ يَرْمُونَ لَهُ وَهُوَ

يَأْخُذُ وَيَغِيبُ ثُمَّ يَعُودُ مِنْ قَوْمِهِ فَتَحِبُّوا مِنْهُ . فَتَبِعُوهُ فَإِذَا هُوَ يَأْخُذُ
ذَلِكَ الطَّعَامَ وَيَدْخُلُ بِهِ إِلَى خِرْبَةٍ فِيهَا شَبَهُ الْبَيْتِ الْحَرَابِ وَفِي سَطْحِ
ذَلِكَ الْبَيْتِ قِطْعُ أَعْمَى . فَإِذَا هُوَ يَضُمُّ الطَّعَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَتَحِبُّوا مِنْ
ذَلِكَ . فَقَالَ الشَّيْخُ ابْنُ بَابِشَادَ : إِذَا كَانَ هَذَا حَيَوَانًا أُخْرَسَ قَدْ
سَخَّرَ اللَّهُ لَهُ هَذَا الْقِطْعَ وَهُوَ يَتَوَمُّ بِكَمَائِيَّتِهِ وَلَمْ يَحْرِمْهُ الرِّزْقَ فَكَيْفَ
يُضَيِّعُ مِثْلِي . ثُمَّ قَطَعَ الشَّيْخُ عِلَاقَتَهُ وَتَرَكَ خِدْمَةَ السُّلْطَانِ وَلَزِمَ
بَيْتَهُ وَتَرَكَ جَمِيعَ أَشْغَالِهِ تَوَكَّلًا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى إِلَى أَنْ مَاتَ
(حَيَاةُ الْحَيَوَانِ لِلدَّامِيرِيِّ)

فِي جُودِ مَلِكٍ

قِيلَ إِنَّ الْمَلِكَ خَسِرُوا بْنُ بَرْوِزْ كَانَ يُحِبُّ أَكْلَ السَّمَكِ وَكَانَ
يَوْمًا جَالِسًا فِي الْمُنَظَرَةِ وَشِيرِينَ عِنْدَهُ فَجَاءَ صَيَّادٌ وَمَعَهُ سَمَكَةٌ
كَبِيرَةٌ وَأَهْدَاهَا لِحَسْرُو وَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَمَرَ لَهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ
دِرْهَمٍ . فَقَالَتْ شِيرِينَ : يَلَسَ مَا صَنَعْتَ فَقَالَ الْمَلِكُ لِمَ . فَقَالَتْ :
لِأَنَّكَ إِذَا أُعْطِيتَ بَعْدَ هَذَا لِأَحَدٍ مِنْ حَشَمِكَ هَذَا الْقَدْرَ . قَالَ :
قَدْ أَعْطَانِي مِنْ عَطِيَّةِ الصَّيَّادِ . فَقَالَ : لَقَدْ صَدَقْتَ . وَلَكِنْ يَفْجُئُ
بِالْمُلُوكِ أَنْ يَرْجِعُوا فِي هِبَاتِهِمْ وَقَدْ قَاتَ الْأَمْرُ . فَقَالَتْ شِيرِينَ : أَنَا
أَدَبْتُ هَذَا الْحَالَ . فَقَالَ وَكَيْفَ ذَلِكَ فَقَالَتْ تَدْعُو الصَّيَّادَ وَتَقُولُ
لَهُ هَذِهِ السَّمَكَةُ ذَكَرُ هِيَ أَمْ أَنْتَى . فَإِنْ قَالَ ذَكَرُ فَقُلْ : إِنَّمَا
طَلَبْتُ أَنْتَى . وَإِنْ قَالَ أَنْتَى فَقُلْ : إِنَّمَا طَلَبْتُ ذَكَرًا . فَنُودِيَ

الصَّيَّادُ قَعَادَ . وَكَانَ الصَّيَّادُ ذَا ذَكَاءٍ وَفِطْنَةٍ . فَقَالَ لَهُ خَسِرُوا هَذِهِ
 السَّمَكَةَ ذَكَرْتُ أَمْ أَنْتَى . فَقَبِلَ الصَّيَّادُ الْأَرْضَ وَقَالَ لَهُ : هَذِهِ السَّمَكَةُ
 حَتَّى لَا ذَكَرْتُ وَلَا أَنْتَى . فَصَحَّكَ خَسِرُوا مِنْ كَلَامِهِ وَأَمَرَ لَهُ بِأَرْبَعَةِ
 آلَافِ دِرْهَمٍ . فَمَضَى الصَّيَّادُ إِلَى الْحَازِنِ وَقَبَضَ مِنْهُ ثَمَانِيَةَ آلَافِ
 دِرْهَمٍ . وَوَضَعَهَا فِي جِرَابٍ كَانَ مَعَهُ . وَجَمَّاهَا عَلَى عُنُقِهِ وَهُمْ بِالْخُرُوجِ
 فَوَقَعَ مِنَ الْجِرَابِ دِرْهَمٌ وَاحِدٌ . فَوَضَعَ الصَّيَّادُ الْجِرَابَ عَنْ كَاهِلِهِ
 وَأَتَمَحَنَى عَلَى الدَّرْهَمِ فَأَخَذَهُ وَالْمَلِكُ وَشِيرِينَ يُنْظَرَانِ إِلَيْهِ . فَقَالَتْ
 شِيرِينَ لِحَسْرَتِهِ : أَرَأَيْتَ خِسَّةَ هَذَا الرَّجُلِ وَسَفَالَتَهُ . سَقَطَ مِنْهُ دِرْهَمٌ
 وَاحِدٌ فَأَتَقَى عَنْ كَاهِلِهِ ثَمَانِيَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ وَأَتَمَحَنَى عَلَى الدَّرْهَمِ
 فَأَخَذَهُ وَلَمْ يَسْهَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَتْرُكَهُ لِيَأْخُذَهُ غُلَامٌ مِنْ غُلَمَانِ الْمَلِكِ .
 فَحَرَدَ خَسِرُوا مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ : صَدَقْتَ يَا شِيرِينَ . ثُمَّ أَمَرَ بِإِعَادَةِ
 الصَّيَّادِ وَقَالَ لَهُ : يَا سَاقِطَ الْهَمَّةِ لَسْتَ بِإِنْسَانٍ وَضَعْتَ هَذَا الْمَالَ
 عَنْ عُنُقِكَ لِأَجْلِ دِرْهَمٍ وَاحِدٍ وَأَسِفْتُ أَنْ تَتْرُكَهُ فِي مَكَانِهِ .
 فَقَبِلَ الصَّيَّادُ الْأَرْضَ وَقَالَ : أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنِّي لَمْ
 أَرْفَعْ ذَلِكَ الدَّرْهَمَ لِحَظَرِهِ عِنْدِي . وَإِنَّمَا رَفَعْتُهُ عَنِ الْأَرْضِ لِأَنْ
 عَلَى وَجْهِهِ صُورَةُ الْمَلِكِ وَعَلَى الْوَجْهِ الْأَخْرَاسُ الْمَلِكِ . فَحَشِيتُ أَنْ
 يَأْتِيَ أَحَدٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ يَمْنَعُ عَلَيْهِ قَدَمِيهِ فَيَكُونُ ذَلِكَ اسْتِخْفَافًا بِاسْمِ
 الْمَلِكِ وَأَكُونُ أَنَا الْمُوَاخَذُ بِهِذَا . فَعَجِبَ خَسِرُوا مِنْ كَلَامِهِ وَاسْتَخْسَنَ
 مَا ذَكَرَهُ فَأَمَرَ لَهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ . فَعَادَ الصَّيَّادُ وَمَعَهُ اثْنَا

عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ . وَأَمَرَ خَسِرَ وَمُنَادِيًا يُدِئِي لَا يَتَدَبَّرُ أَحَدٌ بِرَأْيِ
النِّسَاءِ فَإِنَّهُ مَنْ تَدَبَّرَ بِرَأْيِهِنَّ وَاعْتَمَدَ بِأَمْرِهِنَّ خَسِرَ دِرْهَمَهُ

(التبر المسبوك للغزالي)

فِي جُودِ مَعْنٍ بِنُ زَائِدَةَ

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا يُحْكِي فِي الْجُودِ وَالْكَرَمِ مَا حَكَاهُ مَرْوَانُ
ابْنُ أَبِي حَفْصَةَ الشَّاعِرُ قَالَ : أَخْبَرَنِي مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ
مُتَوَلِّ بِلَادَ أَلْيَمَنَ . أَنَّ الْمَنْصُورَ وَجَّهَ فِي طَلْبِي وَجَعَلَ لِمَنْ يَخْمَانِي
إِلَيْهِ مَالًا . قَالَ : فَأَضْطَرَرْتُ لِشِدَّةِ الطَّلَبِ إِلَى أَنْ تَعَرَّضْتُ لِلشَّمْسِ
حَتَّى لَوَحَتْ وَجْهِي وَخَفَّتْ عَارِضِي وَلَيْسَتْ جِبَّةٌ صُوفٍ وَرَكِبْتُ
جَمَلًا وَخَرَجْتُ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْبَادِيَةِ لِأَقِيمَ بِهَا . قَالَ : فَلَمَّا خَرَجْتُ مِنْ
بَابِ حَرْبٍ وَهُوَ أَحَدُ أَبْوَابِ بَغْدَادَ . تَبِعَنِي أَسْوَدُ مُقَلَّدٌ بِسَيْفٍ حَتَّى
إِذَا غِبْتُ عَنِ الْحَرْسِ قَبِضَ عَلَى خِطَامِ الْجَمَلِ فَأَنَاحَهُ وَقَبَّرَ عَلَى يَدِي .
فَقُلْتُ لَهُ : وَمَا بِكَ . قَالَ : أَنْتَ طَلَبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَقُلْتُ : وَمَنْ أَنَا
حَتَّى أُطْلَبَ . فَقَالَ : أَنْتَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ . فَقُلْتُ لَهُ : يَا هَذَا أَتَى اللَّهَ
عَزَّ وَجَلَّ وَأَيُّنَ أَنَا مِنْ مَعْنٍ . فَقَالَ : دَعِ هَذَا فَإِنِّي لَأَعْرِفُ بِكَ
مِنْكَ . فَلَمَّا رَأَيْتُ مِنْهُ الْجِدَّةَ قُلْتُ لَهُ : هَذَا عَتِدُ جَوْهَرٍ فَقَدْ حَمَلْتُهُ
مَعِيَ بِأَضْمَافٍ مَا جَمَلَهُ الْمَنْصُورُ لِمَنْ يَجِيئُهُ بِي . فَخَذَهُ وَلَا تَكُنْ سَبَابًا
لِسَفْكَ دَمِي . قَالَ : هَاتِيهِ . فَأَخْرَجْتُهُ إِلَيْهِ فَظَرَ فِيهِ سَاعَةً وَقَالَ :
صَدَقْتَ فِي قِيَمَتِهِ وَلَسْتُ قَابِلُهُ حَتَّى أَسْأَلَكَ عَنْ شَيْءٍ فَإِنْ صَدَقْتَنِي

أَطْلَقْتُكَ . فَقُلْتُ : قُلْ . قَالَ : إِنَّ النَّاسَ قَدْ وَصَفُوكَ بِالْجُودِ . فَأَخْبِرْنِي
هَلْ وَهَبْتَ مَالَكَ كُلَّهُ . قُلْتُ : لَا . قَالَ : فَصَفَّهُ . قُلْتُ : لَا . قَالَ :
فَتَلَّثَمَهُ . قُلْتُ : لَا . حَتَّى بَلَغَ الْعُشْرَ فَاسْتَحْيَيْتَ وَقُلْتَ : أَظُنُّ أَنِّي قَدْ
فَعَلْتُ هَذَا . قَالَ : وَمَا ذَاكَ بِعَظِيمٍ . أَنَا رَجُلٌ وَرَزَقِي مِنْ أَبِي
جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ كُلِّ شَهْرٍ عِشْرُونَ دِرْهَمًا وَهَذَا الْجَوْهَرُ قِيمَتُهُ أَلُوفٌ
دِنَارٍ قَدْ وَهَبْتُهُ لَكَ وَوَهَبْتُكَ لِنَفْسِكَ وَلِجُودِكَ الْمَأْثُورِ بَيْنَ النَّاسِ .
وَاتَعَلَّمْ أَنَّ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مَنْ هُوَ أَجْوَدُ مِنْكَ فَلَا تُعْجِبَكَ نَفْسُكَ
وَلْتُخْتَرْ بَعْدَ هَذَا كُلُّ جَوْدٍ فَعَلْتَهُ وَلَا تَتَوَقَّفَ عَنْ مَكْرُمَةٍ . ثُمَّ رَمَى
الْعَدَدَ فِي حُجْرِي وَتَرَكَ خِطَامَ الْجَمَلِ وَوَلَّى مُنْصَرِفًا . فَقُلْتُ : يَا هَذَا
لَقَدْ فَضَحْتَنِي وَاسْفَكَ دَمِي عَلَيَّ أَهْوَنُ مِمَّا فَعَلْتَ فَخُذْ مَا دَفَعْتُهُ لَكَ
فَإِنِّي غَنِيٌّ عَنْهُ . فَضَحِكَ وَقَالَ : أَرَدْتُ أَنْ تُكَذِّبَنِي فِي مَقَالِي هَذَا .
وَاللَّهِ لَا أَخَذْتُهُ وَلَا أَخَذَ لِمَعْرُوفٍ ثَمَنًا أَبَدًا . وَمَضَى لِسَبِيلِهِ . ثُمَّ
طَلَبْتُهُ بَعْدَ أَنْ آمَنْتُ وَبَدَلْتُ لِمَنْ يَجِبِي بِهِ مَا شَاءَ فَمَا عَرَفْتُ لَهُ خَبْرًا

(ثمرات الاوراق للحموي)

فِي الْمَكَافَاةِ

مِمَّا جَاءَ فِي الْمَكَافَاةِ مَا حُكِيَ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلِ قَالَ :
كُنْتُ يَوْمًا عِنْدَ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ الْأَبْرَمَكِيِّ وَقَدْ خَلَا فِي مَجْلِسِهِ
لِإِحْكَامِ أَمْرِ مِنَ أُمُورِ الرَّشِيدِ . فَبَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ
جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِ الْحَوَانِجِ فَقَضَاهَا لَهُمْ . ثُمَّ تَوَجَّهُوا لِشَأْنِهِمْ فَكَانَ

آخِرُهُمْ قِيَامًا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ الْأَحْوَلِ . فَظَرَ يَجِيءُ إِلَيْهِ وَالْتَفَتَ
 إِلَى الْفَضْلِ ابْنِهِ وَقَالَ : يَا بُنَيَّ إِنَّ لَأَبِيكَ مَعَ أَبِي هَذَا أُلْتَقَى حَدِيثًا .
 فَإِذَا فَرَعْتُ مِنْ شُغْلِي هَذَا فَذَكِّرْنِي أَحَدَثَكَ . فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ
 شُغْلِهِ وَطَعِمَ قَالَ لَهُ ابْنُهُ الْفَضْلُ : أَعَزَّكَ اللَّهُ يَا أَبِي أَمَرْتَنِي أَنْ
 أَذْكُرَكَ حَدِيثَ أَبِي خَالِدٍ الْأَحْوَلِ . فَلِ : نَعَمْ يَا بُنَيَّ . لَمَّا قَدِمَ أَبُوكَ
 مِنَ الْعِرَاقِ أَيَّامَ الْمُهَدِيِّ كَانَ فَقِيرًا لَا يَمْلِكُ شَيْئًا . فَاشْتَدَّ بِي الْأَمْرُ
 إِلَى أَنْ قَالَ لِي : مَنْ فِي مَنْزِلِي إِنْ أَكْتَمْنَا حَالَنَا وَزَادَ ضَرْرُنَا وَلَنَا
 الْيَوْمَ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ نَقْتَاتُ بِهِ . قَالَ : فَبَكَيْتُ يَا بُنَيَّ
 لِذَلِكَ بَكَاءً شَدِيدًا . وَبَقِيتُ وَلَمَّا حَيَّرَانِ مُطْرِقًا مُفْكَرًا . ثُمَّ تَذَكَّرْتُ
 مِنْدِيلًا كَانَ عِنْدِي فَقُلْتُ لَهُمْ : مَا حَالُ الْمُنْدِيلِ . فَقَالُوا : هُوَ بَاقٍ
 عِنْدَنَا . فَقُلْتُ : أَذْفَعُوهُ إِلَيَّ . فَأَخَذْتُهُ وَدَفَعْتُهُ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِي
 وَقُلْتُ لَهُ : بِهِ بِمَا تَيْسَّرَ . فَبَاعَهُ بِسَبْعَةِ عَشَرَ دِرْهَمًا . فَدَفَعْتَهَا إِلَى
 أَهْلِي وَقُلْتُ : اتَّقُواهَا إِلَى أَنْ يَرْزُقَ اللَّهُ غَيْرَهَا . ثُمَّ بَكَرْتُ مِنْ الْعَدِ
 إِلَى بَابِ أَبِي خَالِدٍ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ وَزِيرُ الْمُهَدِيِّ . فَإِذَا النَّاسُ وَقُوفٌ
 عَلَى دَارِهِ يَنْتَظِرُونَ خُرُوجَهُ فُخِرَجَ عَلَيْهِمْ رَاكِبًا . فَلَمَّا رَأَى سَلَامَ
 عَلِيٍّ وَقَالَ : كَيْفَ حَالُكَ . فَقُلْتُ : يَا أَبَا خَالِدٍ مَا حَالُ رَجُلٍ يَبِيعُ مِنْ
 مَنْزِلِهِ بِالْأَمْسِ مِنْدِيلًا بِسَبْعَةِ عَشَرَ دِرْهَمًا . فَظَرَ إِلَيَّ نَظْرًا شَدِيدًا
 وَمَا أَجَابَنِي جَوَابًا . فَرَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي كَسِيرَ الْقَلْبِ وَأَخْبَرْتُهُمْ بِمَا
 اتَّفَقَ لِي مَعَ أَبِي خَالِدٍ . فَقَالُوا : يَا سَ وَاللَّهِ مَا فَعَلْتَ . تَوَجَّهْتَ إِلَى

رَجُلٍ كَانَ يَرْتَضِيكَ لِأَمْرِ جَلِيلٍ فَكَشَفَتْ لَهُ سِرَّكَ وَأَطْلَعَتْهُ عَلَى
 مَكْنُونِ أَمْرِكَ . فَأَزْرَيْتَ عِنْدَهُ نَفْسَكَ وَصَغُرَتْ عِنْدَهُ مَنْزِلَتُكَ بَعْدَ
 أَنْ كُنْتَ عِنْدَهُ جَلِيلًا . فَمَا يَرَاكَ بَعْدَ الْيَوْمِ إِلَّا بِهَذِهِ الْعَيْنِ . فَقُلْتُ :
 قَدْ قَضَى الْأَمْرُ الْآنَ بِمَا لَا يُمْكِنُ اسْتِدْرَاكُهُ . فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ
 بَكَرْتُ إِلَى بَابِ الْخَلِيفَةِ . فَلَمَّا بَلَغْتُ الْبَابَ اسْتَقْبَلَنِي رَجُلٌ فَقَالَ لِي :
 قَدْ ذُكِرْتَ السَّاعَةَ بِبَابِ أُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَلَمْ أَتَيْتُ لِقَوْلِهِ .
 فَاسْتَقْبَلَنِي آخَرُ فَقَالَ لِي كَقَوْلِهِ الْأَوَّلِ . ثُمَّ اسْتَقْبَلَنِي حَاجِبُ أَبِي
 خَالِدٍ فَقَالَ لِي : أَيْنَ تَكُونُ قَدْ أَمَرَنِي أَبُو خَالِدٍ بِإِجْلَاسِكَ إِلَيَّ أَنْ
 يُخْرِجَ مِنْ عِنْدِ أُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَجَلَسْتُ حَتَّى خَرَجَ . فَلَمَّا رَأَيْتُ دَعَانِي
 وَأَمَرَ لِي بِمَرْكُوبٍ فَرَكِبْتُ وَسِرْتُ مَعَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ فَلَمَّا نَزَلَ
 قَالَ : عَلَيَّ يَا فُلَانُ وَفُلَانُ الْخَنَاطِينَ فَأَحْضِرَا . فَقَالَ لَهَا : أَلَمْ تَشْتَرِيَا
 مِنِّي عَمَلَاتِ السَّوَادِ بِثَمَانِيَةِ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ قَالَا : نَعَمْ .
 قَالَ : أَلَمْ أَشْتَرِطْ عَلَيْكُمَا شِرْكَةَ رَجُلٍ مَعَكُمْ قَالَا : بَلَى . قَالَ :
 هُوَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَطْتُ شِرْكَتَهُ لَكُمَا ثُمَّ قَالَ لِي : قُمْ مَعَهُمَا .
 فَلَمَّا خَرَجْنَا قَالَا لِي : ادْخُلْ مَعَنَا بَعْضَ الْمَسَاجِدِ حَتَّى نُكَلِّمَكَ فِي
 أَمْرٍ يَكُونُ لَكَ فِيهِ الرِّيحُ الْهَنِيءُ . فَدَخَلْنَا مَسْجِدًا فَقَالَ لِي : إِنَّكَ
 تَحْتَاجُ فِي هَذَا الْأَمْرِ إِلَى وَكَلَاءٍ وَأَمَنَاءٍ وَكِيَائِينَ وَأَعْوَانٍ وَمُؤَنٍّ لَمْ
 تَقْدِرْ مِنْهَا عَلَى شَيْءٍ . فَهَلْ لَكَ أَنْ تَبْعِنَا شِرْكَتَكَ بِمَا لَمْ نَعْمَلْهُ
 لَكَ فَتَنْفَعُ بِهِ وَيَسْقُطَ عَنْكَ الْتَعَبُ وَالْكَأَفُ . فَقُلْتُ لَهَا : وَكَمْ

تَبْدَلَانِ لِي . فَقَالَا : مِائَةٌ أَلْفٍ دِرْهَمٍ . فَقُلْتُ : لَا أَفْعَلُ مَا زَالَا
يَزِيدَانِي وَأَنَا لَا أَرْضَى إِلَى أَنْ قَالَا لِي : ثَلَاثُمِائَةٍ أَلْفٍ دِرْهَمٍ وَلَا
زِيَادَةَ عِنْدَنَا عَلَى هَذَا . فَقُلْتُ : حَتَّى أَشَاوِرَ أَبَا خَالِدٍ . قَالَا : ذَلِكَ
لَكَ . فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ وَأَخْبَرْتُهُ فَدَعَا بِهِمَا وَقَالَ لَهُمَا : هَلْ وَافَقْتُمَا عَلَى
مَا ذَكَرَ . قَالَا : نَعَمْ . قَالَ : أَذْهَبَا فَبَيْضَاهُ أَلْمَالُ السَّاعَةِ . ثُمَّ قَالَ لِي :
أَصْلِحْ أَمْرَكَ وَتَهَيَّأْ فَقَدْ قَدِّمْتُكَ الْعَمَلَ . فَأَصْلَحْتُ شَأْنِي وَقَدِّدَنِي مَا
وَعَدَنِي بِهِ . فَمَا زِلْتُ فِي زِيَادَةٍ حَتَّى صَارَ أَمْرِي إِلَى مَا صَارَ . ثُمَّ
قَالَ لَوْلَدِهِ الْفَضْلُ : يَا بُنَيَّ فَمَا تَقُولُ فِي ابْنِ مَنْ فَعَلَ بِأَبِيكَ هَذَا
الْفِعْلَ وَمَا جَزَاؤُهُ . قَالَ : حَقٌّ لِعَمْرِي وَجَبَ عَلَيْكَ لَهُ . فَقَالَ : وَاللَّهِ
يَا وَلَدِي مَا أَجْدُ لَهُ مَكْفَأَةً غَيْرَ أَنِّي أَعَزَلُ نَفْسِي وَأَوْلِيهِ . فَقَعَلَ
ذَلِكَ وَهَكَذَا تَكُونُ الْمَكْفَأَةُ (للابشيحي)

الصَّانِعُ وَصَانِعُ الْحَلِيفَةِ

حُكِيَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَبْنَاءِ النَّاسِ كَانَتْ لَهُ يَدٌ فِي صِنَاعَةِ
الصِّيَاغَةِ وَكَانَ أَوْحَدَ أَهْلِ زَمَانِهِ . فَسَاءَ حَالُهُ وَافْتَقَرَ بَعْدَ غِنَاهُ
فَكَرِهَ الْإِقَامَةَ فِي بَلَدِهِ فَأَتَقَلَ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ فَسَأَلَ عَنْ سُوقِ الصَّنَاعَةِ
فَوَجَدَ دُكَّانًا لِمُعَلِّمِ السُّلْطَنَةِ وَتَحْتَ يَدِهِ صُنَاعٌ كَثِيرٌ يَعْمَلُونَ
الْأَشْغَالَ لِلِسُّلْطَنَةِ وَلَهُ سَعَادَةٌ ظَاهِرَةٌ مَا بَيْنَ مَمَالِيكَ وَخَدَمٍ وَقَاشٍ
وغير ذلك . فَتَرَصَّلَ الصَّانِعُ الْغَرِيبُ إِلَى أَنْ بَقِيَ مِنْ أَحَدِ الصَّنَاعِ
الَّذِينَ فِي دُكَّانِ هَذَا الْمُعَلِّمِ . وَأَقَامَ يَعْمَلُ عِنْدَهُ مُدَّةً وَكُلَّمَا فَرَغَ

النَّهَارُ دَفَعَ لَهُ دِرْهَمَيْنِ مِنْ فِضَّةٍ وَتَكُونُ أَجْرَةُ عَمَلِهِ تُسَاوِي عَشْرَةَ
 دَرَاهِمَ فَيَكْسِبُ عَلَيْهِ ثَمَانِيَةَ دَرَاهِمَ فِي كُلِّ يَوْمٍ . فَاتَّفَقَ أَنَّ الْمَلِكَ
 طَلَبَ الْمُعَلِّمَ وَنَاوَلَهُ فَرْدَةً سِوَارٍ مِنْ ذَهَبٍ مُرَصَّعَةً بِخُصُوصٍ فِي
 غَايَةِ مِنَ الْحُسْنِ قَدْ عَمِلَتْ فِي غَيْرِ بِلَادِهِ كَانَتْ فِي يَدِ إِحْدَى حَفَاطِيهَا
 فَأُنْكَسَرَتْ . فَقَالَ لَهُ : اَلْحَمَّهَا . فَأَخَذَهَا الْمُعَلِّمُ وَقَدْ اضْطَرَبَ عَلَيْهِ فِي
 عَمَلِهَا . فَلَمَّا أَخَذَهَا وَارَاهَا لِلصَّنَاعِ الَّذِينَ عِنْدَهُ وَعِنْدَ غَيْرِهِ قَمَا قَالَ لَهُ
 أَحَدُهُ إِنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى عَمَلِهَا . فَازْدَادَ الْمُعَلِّمُ لِذَلِكَ عَمَّا وَهَضَتْ مُدَّةُ
 وَهْيَ عِنْدَهُ لَا يَعْلَمُ مَا يَصْنَعُ . فَاشْتَدَّ الْمَلِكُ عَلَى إِحْضَارِهَا وَقَالَ : هَذَا
 الْمُعَلِّمُ نَالَ مِنْ جِهَتِنَا هَذِهِ النِّعْمَةَ الْعَظِيمَةَ وَلَا يُحْسِنُ أَنْ يُلْحِمَ
 سِوَارًا . فَلَمَّا رَأَى الصَّانِعُ الْغَرِيبُ شِدَّةَ مَا نَالَ الْمُعَلِّمُ قَالَ فِي نَفْسِهِ :
 هَذَا وَقْتُ الْمُرُوءَاتِ أَعْمَالُهَا وَلَا أُوَاخِذُهُ بِخُلْعِهِ عَلَيَّ وَعَدَمِ إِنْصَافِهِ
 وَلَعَلَّهُ يُحْسِنُ إِلَيَّ بَعْدَ ذَلِكَ . فَحَطَّ يَدُهُ فِي دَرَجِ الْمُعَلِّمِ وَأَخَذَهَا
 وَفَكَ جَوَاهِرَهَا وَسَبَكَمَهَا . ثُمَّ صَاغَهَا كَمَا كَانَتْ وَنَظَّمَ عَلَيْهَا جَوَاهِرَهَا
 فَعَادَتْ أَحْسَنَ مِمَّا كَانَتْ . فَلَمَّا رَأَاهَا الْمُعَلِّمُ فَرِحَ فَرَحًا شَدِيدًا . ثُمَّ
 مَضَى بِهَا إِلَى الْمَلِكِ فَلَمَّا رَاهَا اسْتَحْسَنَهَا وَادَّعَى الْمُعَلِّمُ أَنَّهَا صَنَعَتْهُ .
 فَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَخَلَعَ عَلَيْهِ خَلْعَةً سَنِيَّةً . فَبَجَاءَ وَجَلَسَ مَكَانَهُ فَبَقِيَ
 الصَّانِعُ يَرْجُو مَكَافَأَتَهُ عَمَّا عَمَلَهُ بِهِ قَمَا أُلْتَمَتْ إِلَيْهِ الْمُعَلِّمُ . وَلَمَّا كَانَ
 النَّهَارُ مَا زَادَهُ عَلَى الدِّرْهَمَيْنِ شَيْئًا . قَمَا مَضَتْ إِلَّا أَيَّامٌ قَلِيلٌ وَإِذَا
 الْمَلِكُ اخْتَارَ أَنْ يَعْمَلَ زَوْجِي أَسَاوِرَ عَلَى تِلْكَ الصُّورَةِ فَطَلَبَ

الْمُعَلِّمَ وَرَسَمَ لَهُ بِكُلِّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَأَكَّدَ عَلَيْهِ فِي تَحْسِينِ الصِّفَةِ
وَسُرْعَةِ الْعَمَلِ . فَجَاءَ إِلَى الصَّانِعِ وَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالِ الْمَلِكُ . فَأَمْتَشَلْ
مَرْسُومَهُ وَلَمْ يَزَلْ مُتَّصِبًا إِلَى أَنْ عَمِلَ الزَّوْجَيْنِ وَهُوَ لَا يَزِيدُهُ شَيْئًا
عَلَى الدَّرْهَمَيْنِ فِي كُلِّ يَوْمٍ . وَلَا يَشْكُرُهُ وَلَا يَعِدُّهُ بِخَيْرٍ وَلَا يَتَجَمَّلُ
مَعَهُ . فَرَأَى الْمُنْصَحَةُ أَنْ يَنْقُشَ عَلَى زَوْجٍ مِنْهُمَا آيَاتًا يَشْرَحُ فِيهَا
حَالَهُ لِيَقِفَ عَلَيْهَا الْمَلِكُ . فَنَقَشَ فِي بَاطِنِ أَحَدِهِمَا هَذِهِ الْآيَاتُ
نَقْشًا خَفِيًّا يَقُولُ :

مَصَابِ الدَّهْرِ كَفِّي	إِنْ لَمْ تَكْفِي فَعَمِّي
خَرَجْتُ أَطْلُبُ رِزْقِي	وَجَدْتُ رِزْقِي تَوَفِّي
فَلَا يَرْزُقِي أَحْظَى	وَلَا يَصْنَعِي كَفِّي
كَمْ جَاهِلٌ فِي الثَّرْيَا	وَعَالِمٌ مُتَخَفِي

قَالَ : وَعَزَمَ الصَّانِعُ عَلَى أَنَّهُ إِنْ ظَهَرَتِ الْآيَاتُ لِلْمُعَلِّمِ . شَرَحَ
لَهُ مَا عِنْدَهُ وَإِنْ غُمَّ عَلَيْهِ وَلَمْ يَرَهَا كَانَ ذَلِكَ سَبَبَ تَوْصُلِهِ إِلَى
الْمَلِكِ . ثُمَّ لَقَّاهُمَا فِي قُطْنٍ وَنَاوَلَهُمَا لِلْمُعَلِّمِ . فَرَأَى ظَاهِرَهُمَا وَلَمْ يَرِ
بَاطِنَهُمَا لِجَمَلِهِمَا بِالصَّنْعَةِ وَلِمَا سَبَقَ لَهُ فِي الْقَضَاءِ . فَأَخَذَهُمَا الْمُعَلِّمُ وَمَضَى
بِهِمَا فَرِحًا إِلَى الْمَلِكِ وَفَدَّمَهُمَا إِلَيْهِ . فَلَمْ يَشْكُ فِي أَنَّهما صَنَعْتُهُ
فَخَلَعَ عَلَيْهِ وَشَكَرَهُ . ثُمَّ جَاءَ فَجَلَسَ مَكَانَهُ وَلَمْ يَأْتِنْتَ إِلَى الصَّانِعِ وَمَا
زَادَهُ فِي آخِرِ النَّهَارِ شَيْئًا عَلَى الدَّرْهَمَيْنِ . فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّانِي
خَلَا خَاطِرُ الْمَلِكِ فَاسْتَحْضَرَ الْحَظِيَّةَ الَّتِي عَمِلَ لَهَا السَّوَارِينَ الذَّهَبَ .

فَحَضَرَتْ وَهَمَا فِي يَدَيْهَا فَأَخَذَهُمَا لِيُعِيدَ نَظَرَهُ فِيهِمَا وَفِي حُسْنِ
صَنَعَتِهِمَا . فَقَرَأَ الْآيَاتِ فَتَعَجَّبَ وَقَالَ : هَذَا شَرْحُ حَالِ صَانِعِيهِمَا
وَالْمُعَلِّمُ يُكَذِّبُ . فَقَضِبَ عِنْدَ ذَلِكَ وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ الْمُعَلِّمِ . فَلَمَّا
حَضَرَ قَالَ لَهُ : مَنْ عَمِلَ هَذَيْنِ السَّوَارِينَ . قَالَ : أَنَا أَيُّهَا الْمَلِكُ .
قَالَ : فَمَا سَبَبُ نَفْسِ هَذِهِ الْآيَاتِ . قَالَ : لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِمَا آيَاتٌ .
قَالَ : كَذَبْتَ ثُمَّ أَرَاهُ النَّفْسَ وَقَالَ : إِنْ لَمْ تَصْدُقْنِي الْحَقَّ لِأَضْرِبَنَّ
عُنُقَكَ . فَأَصْدَقَهُ الْحَقَّ فَأَبَرَّ الْمَلِكُ بِإِحْضَارِ الصَّانِعِ . فَلَمَّا حَضَرَ
سَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ فَحَكَى لَهُ قِصَّتَهُ وَمَا جَرَى لَهُ مَعَ الْمُعَلِّمِ . فَرَسِمَ الْمَلِكُ
بِعَزْلِ الْمُعَلِّمِ وَأَنْ تُسَابَ نِعْمَتُهُ وَتُعْطَى لِالصَّانِعِ وَأَنْ يَكُونَ عِوَضًا
عَنْهُ فِي الْخِدْمَةِ . ثُمَّ خَلَعَ عَلَيْهِ خِلاعةً سَنِيَّةً وَصَارَ مُقَدَّمًا سَعِيدًا . فَلَمَّا
نَالَ هَذِهِ الدَّرَجَةَ وَتَمَكَّنَ عِنْدَ الْمَلِكِ تَلَطَّفَ بِهِ حَتَّى رَضِيَ عَنْ
الْمُعَلِّمِ الْأَوَّلِ وَصَارَ أَشْرِيكَينَ وَمَكَثَا عَلَى ذَلِكَ إِلَى آخِرِ الْعُمُرِ
إِحْسَانُ كَرِيمٍ إِلَى عَدُوِّهِ

حُكِيَ أَنَّهُ كَانَ بَيْنَ عَسَّانَ بْنِ عَبَّادٍ (وَبَيْنَ) عَلِيِّ بْنِ مُوسَى
عِدَاوَةٌ عَظِيمَةٌ وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى ضَامِنًا أَعْمَالِ خَرَجِ كُضْبَاعٍ .
وغيرِهِ فَبَقِيَ عَلَيْهِ بَقِيَّةٌ مُقَدَّارُ أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . فَأُلْحَ عَلَيْهِ
الْمَأْمُونُ بِطَلَبِهَا وَشَدَّدَ بِهَا إِلَى أَنْ قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ صَالِحٍ حَاجِبِهِ :
أَمْسِلْهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَإِنْ أَحْضَرَ أَمَّالًا وَإِلَّا فَأَضْرِبْهُ بِالسَّيَاطِ حَتَّى
يُدْفَعَ أَمَّالًا أَوْ يَتَأَفَّ . فَأَنْصَرَفَ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى مِنْ دَارِ الْمَأْمُونِ

وَقَدْ ارْتَاعَ وَهُوَ لَا يَدْرِي وَجْهًا يَنْجِيهِ إِلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ كَاتِبُهُ : إِذَا
عَرَجْتَ عَلَى غَسَّانَ بْنِ عَبَّادٍ وَعَرَفْتَهُ خَبَرَكَ رَجَوْتُ أَنْ يُعِينِكَ
عَلَى أَمْرِكَ . فَقَالَ لَهُ : إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مِنَ الْعِدَاوَةِ مَا عَرَفْتَ .
فَقَالَ لَهُ : نَعَمْ وَلَكِنَّ الرَّجُلَ أَرْيَحِي كَرِيمٌ لَا تَنْمُتُهُ الْعِدَاوَةُ الَّتِي
بَيْنَكُمَا عَنْ فِعْلِ الْمَعْرُوفِ الَّذِي هُوَ مِنْ شَيْمِ الْكِرَامِ . فَقَامَ عَلِيُّ بْنُ
مُوسَى وَمَضَى إِلَى أَنْ جَاءَ وَدَخَلَ مَعَ كَاتِبِهِ عَلَى غَسَّانَ بْنِ عَبَّادٍ .
فَلَمَّا رَأَاهُ غَسَّانُ قَامَ إِلَيْهِ وَتَلَقَّاهُ جَمِيلًا وَوَفَّاهُ حَتَّى فِي الْخِدْمَةِ وَقَالَ
لَهُ : دَعِ الْأَثَرَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَلَى حَالِهِ وَلَكِنْ دُخُوكَ إِلَى
دَارِي تَوْجِبُ حُرْمَتَهُ بُلُوغَ مَا رَجَوْتُهُ مِنِّي فَأَذْكُرُ إِنْ كَانَ لَكَ حَاجَةٌ .
فَقَصَّ كَاتِبُهُ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ . فَقَالَ لَهُ غَسَّانُ : أَرْجُو أَنْ يَكْفِيكَ اللَّهُ
تَعَالَى صُعُوبَةَ أَمْرِكَ وَلَمْ يَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا . فَقَامَ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى
مِنْ عِنْدِهِ وَهُوَ نَادِمٌ عَلَى قَصْدِهِ غَسَّانَ وَيَتَسُّ مِنْ أَمْرِهِ وَقَالَ
لِكَاتِبِهِ : مَا أَقْدَتْنِي بِالْدُخُولِ عَلَى غَسَّانَ سِوَى تَهْنِئَةِ الْإِمَامَةِ وَالْهُوَانِ .
فَلَمْ يَصِلْ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى إِلَى دَارِهِ أَنْ حَضَرَ إِلَيْهِ كَاتِبُ غَسَّانَ
وَمَعَهُ الْبَقَالُ وَعَلَيْهَا أُمَالٌ فَتَقَدَّمَ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى وَتَسَلَّمَ وَبَاتَ فَرِحًا
مَسْرُورًا . وَعِنْدَ الصُّبْحِ بَكَرَ إِلَى دَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَدْفَعَ أُمَالَ
فَوَجَدَ غَسَّانَ قَدْ سَبَقَهُ هُنَاكَ وَدَخَلَ عَلَى الْمَأْمُونِ وَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ لِعَلِيِّ بْنِ مُوسَى بِحَضْرَتِكَ حُرْمَةً وَخِدْمَةً وَسَابِقَ أَصْلٍ
وَقَدْ لَحِقَهُ مِنَ الْخُسْرَانِ فِي ضَمَانِهِ مَا تَعَارَفَهُ النَّاسُ وَقَدْ تَوَعَّدْتُهُ مِنْ

الضَرْبِ بِالسَّيَاطِ مَا أَطَارَ عَقْلُهُ وَأَذْهَبَ لُبُّهُ . فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
 أَنْ يَجْزِيَنِي مِنْ حُسْنِ كَرَمِهِ بَعْضُ مَا عَلَيْهِ فَيُحْيِي صَدِيقَةً لِي مِنْ
 إِحْسَانِهِ . وَلَمْ يَزَلْ غَسَّانُ يَتَلَطَّفُ بِالْمَأْمُونِ حَتَّى حَطَّ عَنْهُ نِصْفُ
 مَا عَلَيْهِ وَأَقْصَرَ مِنْهُ بِالنِّصْفِ عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . فَقَالَ غَسَّانُ
 لِمَأْمُونٍ : سَمِعَا وَطَاعَةً وَلَكِنْ عَلَى أَنْ يُجِدَّدَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَهُ الضَّمَانُ
 وَيُجْلَعَ عَلَيْهِ لِكُنَى تَقْوَى نَفْسُهُ وَيَعْرِفَ بِهَا مَكَانَ الرِّضَا عَلَيْهِ مِنْ
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَتَاهُ اللَّهُ . فَأَجَابَ الْمَأْمُونُ إِلَى ذَلِكَ . فَقَالَ لَهُ غَسَّانُ :
 إِنْ شَاءَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَتَحْمَلِ الدَّوَاةَ إِلَى حَضْرَتِهِ لِتَوْقِيعِ مَا سَمِعَ
 بِهِ فِي مَا قَالَ . قَالَ : أَفْعَلْ . فَحَمَلَتُ الدَّوَاةَ إِلَى الْمَأْمُونِ وَقَدَّمَهَا
 غَسَّانُ لَهُ فَوَقَّعَ حَبِيبُ لَيْلٍ بِنُ مَوْسَى . وَخَرَجَ عَلِيُّ بْنُ مَوْسَى
 وَالْجَلَمُ عَلَى كَتِفَيْهِ وَالتَّوْقِيعُ بِيَدِهِ . فَلَمَّا حَضَرَ إِلَى دَارِهِ حَمَلَ مِنْ
 أَلْمَالِ عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ وَأَرْسَلَهَا إِلَى غَسَّانَ وَشَكَرَهُ عَلَى جَمِيلِ
 فِعْلِهِ . فَقَالَ غَسَّانُ لِكِتَابَتِهِ : وَاللَّهِ مَا شَفَعْتُ بِهِ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا
 لِيَتَوَقَّرَ عَلَيْهِ الْعِشْرُونَ أَلْفَ دِينَارٍ وَيَنْتَفِعَ بِهَا هُوَ فَأَمَضَ بِهَا إِلَيْهِ
 وَرَدَّهَا لَهُ فَلَسْتُ وَاللَّهِ أَخِذَهَا فَيُحْيِي لَهُ . فَلَمَّا رَجَعَ الْكِتَابُ إِلَى
 عَلِيِّ بْنِ مَوْسَى مَوْلَاهُ وَبَلَّغَهُ مَا قَالَ عَرَفَ عِنْدَ ذَلِكَ قَدْرَ مَا فَعَلَهُ
 غَسَّانُ مِنَ الْجَمِيلِ . وَلَمْ يَزَلْ يَخْدُمُهُ وَيُوقِّرُهُ إِلَى آخِرِ الْعُمُرِ
 الْأَصْمَعِيُّ وَرَجُلٌ سَخِيٌّ

حَكِي الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : قَصَدْتُ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ رَجُلًا كُنْتُ

آتِيهِ أَحْيَانًا كَثِيرَةً لِّكَرَمِهِ وَجُودِهِ . فَلَمَّا أَتَيْتُ دَارَهُ وَجَدْتُ عَلَى بَابِهِ
 بَوَّابًا فَنَعِنِي مِنَ الدُّخُولِ إِلَيْهِ وَقَالَ لِي : وَاللَّهِ يَا أَصْمَعِي مَا أَوْفَّقَنِي
 عَلَى بَابِهِ لِأَنْعَمَ مِثْلَكَ إِلَّا لِرُقَّةِ حَالِهِ وَقُصُورِ يَدِهِ وَمَا هُوَ فِيهِ مِنَ
 الضِّيقِ . فَقُلْتُ لَهُ : أُرِيدُ أَنْ أَكْتُبَ لَهُ رُقَّةً أَتُوصِلُهَا إِلَيْهِ . فَقَالَ :
 سَمِعًا وَطَاعَةً . فَأَحْضَرَ لِي قِرْطَاسًا وَقَلَمًا وَدَوَاةً فَأَخَذْتُ وَكُتِبَتْ
 لَهُ شِعْرًا :

إِذَا كَانَ الْكَرِيمُ لَهُ حِجَابٌ فَمَا فَضْلُ الْكَرِيمِ عَلَى اللَّئِيمِ
 ثُمَّ طَوَيْتُ الرُّقَّةَ وَدَفَعْتُهَا إِلَى الْحَاجِبِ وَقُلْتُ لَهُ : أَوْصِلْ هَذِهِ
 الرُّقَّةَ إِلَيْهِ . فَقَعَلَ وَمَضَى بِالرُّقَّةِ قَلِيلًا . ثُمَّ عَادَ إِلَيَّ بِالرُّقَّةِ عَيْنَهَا
 وَقَدْ كُتِبَ تَحْتَ شِعْرِي جَوَابًا شِعْرًا :

إِذَا كَانَ الْكَرِيمُ قَالِيلَ مَالٍ تَحَبَّبَ بِأَحْجَابٍ عَنِ الْغَرِيمِ
 وَمَعَ الرُّقَّةِ صُرَّةٌ فِيهَا خَمْسُمِائَةِ دِينَارٍ . فَتَحَبَّبْتُ مِنْ سَخَائِهِ مَعَ
 قِلَّةِ مَا بِيَدِهِ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : وَاللَّهِ لَا تُخْفَنَ هَارُونَ الرَّشِيدَ بِهَذَا
 الْخَبَرِ . فَأَنْطَلَقْتُ حَتَّى أَتَيْتُ قَصْرَ الْخِلَافَةِ فَأَسْتَأْذَنْتُ وَدَخَلْتُ
 فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ . فَلَمَّا رَأَى قَالَ لِي : مِنْ أَيْنَ يَا أَصْمَعِي .
 قُلْتُ : مِنْ عِنْدِ رَجُلٍ مِنَ الْأَكْرَمِ الْأَحْيَاءِ بَعْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ :
 وَمَنْ هُوَ . فَدَفَعْتُ لَهُ الرُّقَّةَ وَالصُّرَّةَ وَبَسَرَدْتُ عَلَيْهِ الْخَبَرَ . فَلَمَّا
 رَأَى الصُّرَّةَ قَالَ : هَذِهِ مِنْ بَيْتِ مَالِي وَلَا بُدَّ لِي مِنَ الرَّجُلِ .
 فَقُلْتُ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أَسْتَعِي أَنْ أَكُونَ سَبَبَ رَوْعِهِ

يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْهِ . فَقَالَ : لَا يَغَمُّكَ ذَلِكَ . ثُمَّ أَتَتْ إِلَى بَعْضِ
خَاصَّتِهِ وَقَالَ لَهُ : أَمْضِ مَعَ الْأَصْحَمِيِّ فَإِذَا أَرَاكَ دَارًا فَأَدْخُلْ وَقُلْ
لِصَاحِبِهِ : أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنْ دُعَاؤُكَ لَهُ بِلطَافَةٍ مِنْ غَيْرِ
أَنْ تُرْعِجَهُ . قَالَ الْأَصْحَمِيُّ : فَضَيْنَا وَدَعَوْنَا الرَّجُلَ فُجَاءً وَدَخَلَ عَلَى
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَسَلَّمْ بِالْخِلَافَةِ . فَقَالَ لَهُ هَارُونُ الرَّشِيدُ أَلَسْتَ أَنْتَ
الَّذِي وَقَفْتَ لَنَا بِالْأَمْسِ وَشَكَوْتَ لَنَا رِقَّةَ حَالِكَ وَقُلْتَ إِنَّكَ فِي
ضَيْقٍ شَدِيدٍ مِنَ الْإِحْتِيَاجِ فَرَحْمَاكَ وَوَهَبْنَا لَكَ هَذِهِ الصَّرَّةَ لِتُصْلِحَ
بِهَا حَالَكَ وَقَدْ قَصَدَكَ الْأَصْحَمِيُّ بَيْتٍ مِنَ الشَّعْرِ فَدَفَعْتَهَا لَهُ .
فَقَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ فِي مَا شَكَوْتُهُ لِأَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ مِنْ رِقَّةِ حَالِي وَشِدَّةِ أَحْتِيَاجِي وَلَكِنِّي اسْتَحْيَيْتُ مِنْ اللَّهِ
تَعَالَى أَنْ أُعِيدَ قَاصِدِي إِلَّا كَمَا أَعَادَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ هَارُونُ
الرَّشِيدُ : لِلَّهِ دَرُّ بَطْنِ أَتَاكَ فَمَا وَلَدَتْ الْعَرَبُ أَكْرَمَ مِنْكَ . ثُمَّ بَالَعَ
بِإِكْرَامِهِ وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَجَعَلَهُ مِنْ خَاصَّتِهِ

إِكْرَامُ ثَلَاثَةِ أَصْدِقَاءَ مُخْلِصِينَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا

نُقِلَ عَنِ الْوَاقِدِيِّ قَالَ : كَانَ لِي صَدِيقَانِ أَحَدُهُمَا هَاشِمِيُّ
وَكُنَّا فِي الصَّدَاقَةِ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ . فَتَأَلَّى ضَيْقُهُ شَدِيدَةً وَقَدْ
حَضَرَ الْغَيْدُ . فَقَالَتْ لِي أُمِّي : يَا مَوْلَايَ أَمَا نَحْنُ فَقَدْ نَصَبْنَا عَلَى
الْبُؤْسِ وَالشِّدَّةِ وَأَمَا صَبِينَا هَؤُلَاءِ فَهَذَا تَقَطَّعَ قَلْبِي عَلَيْهِمْ حَزَنًا

وَرَحْمَةً لِّأَنَّهُمْ يَرْوْنَ صَبِيَّانَ حَيْرَانَيْنَا وَمَعَارِفِنَا وَقَدْ تَرَيْنَا فِي الْغَيْدِ
وَهُمْ فَرِحُونَ . فَلَا بَأْسَ إِذَا أُحْتَلَّتَا فِي مَا يُمْكِنُنَا أَنْ نَصْرِفَهُ فِي
كُسُوتِهِمْ . فَرَأَيْتُ كَلَامَهَا صَوَابًا وَقَدْ قَطَعْتُ فُؤَادِي مِنْ هَذَا
الْحَدِيثِ . فَكَرَرْتُ فِي الْحِلَّةِ وَكَتَبْتُ إِلَى صَدِيقِي الْهَاشِمِيِّ أَسْأَلُهُ
التَّوَسُّعَةَ عَلَيَّ بِمَا يُمْكِنُهُ وَيَحْضُرُهُ . فَوَجَّهَ إِلَيَّ كَيْسًا فِيهِ أَلْفُ
دِرْهَمٍ . فَمَا اسْتَمَرَّ قَرَارُهُ حَتَّى كَتَبَ لِي صَدِيقِي الْآخَرُ يُشْكُو إِلَيَّ
مِثْلَمَا شَكَوْتُ أَنَا إِلَى صَدِيقِي الْهَاشِمِيِّ . فَوَجَّهْتُ إِلَيْهِ بِالْكَيْسِ عَلَى
حَالِهِ وَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ وَأَنَا مُسْتَعِجِلَةٌ مِنْ أُمْرَاتِي . فَلَمَّا دَخَلْتُ
عَلَيْهَا وَقَدْ عَلِمْتُ بِمَا فَعَلْتُ لَمْ تُعَذِّبْنِي . فَبَيْنَمَا أَنَا كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ عَلَيَّ
صَدِيقِي الْهَاشِمِيُّ وَمَعَهُ الْكَيْسُ وَهُوَ بَاقٍ بِخُتْمِهِ قَالَ : أَصْدُقْنِي عَمَّا
فَعَلْتَهُ بِمَا وَجَّهْتُ بِهِ إِلَيْكَ . فَأَخْبَرْتُهُ بِالْحِكَايَةِ عَلَى حَقِيقَتِهَا . فَقَالَ :
إِنَّكَ أَرْسَلْتَ تَطْلُبُ مِنِّي التَّوَسُّعَةَ وَأَنَا وَاللَّهِ ثُمَّ وَاللَّهِ لَا أَمْلِكُ شَيْئًا
سِوَى هَذَا الْكَيْسِ الَّذِي بَعَثْتُ بِهِ إِلَيْكَ . ثُمَّ إِنِّي بَعْدَمَا أَرْسَلْتُهُ
لَكَ كَتَبْتُ إِلَى صَدِيقِنَا أَسْأَلُهُ الْمُوَاسَاةَ إِنْ كَانَ يُمْكِنُهُ فَوَجَّهَ إِلَيَّ
الْكَيْسَ بِذَاتِهِ وَهُوَ بِخُتْمِي وَهَذَا أَنَاذًا أَتَيْتُ بِهِ إِلَيْكَ . وَبِحَيْثُ إِنَّا
كُنَّا فِي ضَيْقٍ وَلَا يُوجَدُ عِنْدَنَا غَيْرُ هَذَا الْكَيْسِ فَهَامَ نَقْشَتَهُ .
ثُمَّ إِنَّهُ فَتَحَهُ وَأَخْرَجَ مِنْهُ مِئَةَ دِرْهَمٍ لِلْمَرْأَةِ وَفَرَّقَ عَلَى كُلِّ مِنَّا
أَنَا وَصَدِيقِي ثَلَاثَ مِئَةِ دِرْهَمٍ . وَأَخَذَ هُوَ مِثْلَنَا ثَلَاثَ مِئَةٍ . وَبَلَغَ
الْمُأْمُونُ ذَلِكَ فَأَرْسَلَ اسْتَدْعَانِي وَسَأَلَنِي عَنِ الْفَضِيَّةِ فَشَرَحْتُهَا لَهُ كَمَا

هِيَ فَاسْتَدْعَى صَدِيقِي وَأَمَرَ لِكُلِّ مِنَّا بِأَتْنِي دِينَارٍ وَلَا تَرَأْيِي بِأَتْنِي
دِينَارٍ (لابن خلّكان)

فِي تَقْدِيمِ الْأَكْرَامِ لِأَهْلِهِ

مِنْ غِزَارَةِ حَفِظِ الْوُزَارَتَيْنِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ عَبْدِ نَوَاسٍ
حَدَّثَ الْوَزِيرُ الْأَجَلُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْوَزِيرِ أَبِي مَرْوَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ
ابْنُ أَبِي أَلَمْلَاءَ زَهْرَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ زَهْرٍ . وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هَذَا قَدْ
مَاتَ عَنْ سِنٍّ عَالِيَةٍ نَفِثَ عَلَى الثَّمَانِينَ قَالَ : بَيْنَا أَنَا قَاعِدٌ فِي دِهْلِيزِ
دَارِنَا وَعِنْدِي رَجُلٌ نَاسِخٌ أَمَرْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ الْأَغَانِي .
فَجَاءَ النَّاسِخُ يَا لِكُرَارِيسِ الَّتِي كَتَبَهَا . فَقُلْتُ لَهُ : أَيْنَ الْأَصْلُ الَّذِي
كَتَبْتَ مِنْهُ لِأَفَابِلَ مَعَكَ بِهِ . قَالَ : مَا أَتَيْتُ بِهِ مَعِيَ . فَبَيْنَا أَنَا مَعَهُ
فِي ذَلِكَ إِذْ دَخَلَ الدِّهْلِيزَ عَلَيْنَا رَجُلٌ بَذَّ أَهِيئَةً عَلَيْهِ ثِيَابٌ غَلِيظَةٌ
أَكْثَرُهَا صُوفٌ . وَعَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةٌ قَدْ لَانَتْهَا مِنْ غَيْرِ إِتْقَانٍ لَهَا .
فَحَسِبْتُهُ لَمَّا رَأَيْتُهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَسَأَلْتُهُ وَقَعْدَ وَقَالَ لِي :
يَا بَنِي اسْتَأْذِنْ لِي عَلَى الْوَزِيرِ أَبِي مَرْوَانَ . فَقُلْتُ لَهُ : هُوَ نَائِمٌ .
هَذَا بَعْدَ أَنْ تَكَلَّفَتْ جَوَابَهُ غَايَةَ التَّكَلُّفِ حَتَّى عَلِيَ ذَلِكَ ثَرْوَةُ الصَّبِيِّ
وَمَا رَأَيْتُ مِنْ خُسُوفَةِ هَيْئَةِ الرَّجُلِ . ثُمَّ سَكَتَ عَنِّي سَاعَةً وَقَالَ : مَا
هَذَا الْكِتَابُ الَّذِي بِأَيْدِيكُمْ . فَقُلْتُ لَهُ : مَا سَوَّالُكَ عَنْهُ . قَالَ أَحِبُّ
أَنْ أَعْرِفَ اسْمَهُ فَإِنِّي كُنْتُ أَعْرِفُ أَسْمَاءَ الْكِتَابِ . فَقُلْتُ : هُوَ كِتَابُ
الْأَغَانِي . فَقَالَ : إِلَى أَيْنَ بَلَغَ الْكِتَابُ مِنْهُ . قُلْتُ : بَلَغَ مَوْضِعَ كَذَا

وَجَعَلْتُ أَتَحَدَّثُ مَعَهُ عَلَى طَرِيقِ السُّخْرِيَّةِ بِهِ وَالصُّحُكِ عَلَى قَالِهِ .
فَقَالَ : وَمَا لِكَاتِبِكَ لَا يَكْتُبُ . قُلْتُ : طَلَبْتُ مِنْهُ الْأَصْلَ الَّذِي يَكْتُبُ
مِنْهُ لِأَعَارِضَ بِهِ هَذِهِ الْأَوْرَاقَ . فَقَالَ : لَمْ أَجِئْ بِهِ مَعِيَ . فَقَالَ :
يَا بُنَيَّ خُذْ كَرَارِيْسَكَ وَعَارِضْ . قُلْتُ : بِمَاذَا وَأَيْنَ الْأَصْلُ . قَالَ :
كُنْتُ أَحْفَظُ هَذَا الْكِتَابَ فِي مُدَّةِ صِبَايَ . قَالَ : فَتَبَسَّمتُ مِنْ
قَوْلِهِ فَلَمَّا رَأَى تَبَسُّمِي . قَالَ : يَا بُنَيَّ أَمْسِكْ عَلَيَّ . قَالَ : فَأَمْسَكْتُ
عَلَيْهِ وَجَعَلْتُ يَقْرَأُ . فَوَاللَّهِ مَا أَخْطَأَ وَآوَا وَلَا فَاءَ قَرَأَ هَكَذَا مَخَوًا مِنْ
كَرَّاسَتَيْنِ (كَرَّاسَيْنِ) . ثُمَّ أَخَذْتُ لَهُ فِي وَسْطِ السَّفَرِ وَآخِرِهِ
فَرَأَيْتُ حِفْظَهُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ سَوَاءً فَاشْتَدَّ عَجْبِي وَقَمْتُ مُسْرِعًا حَتَّى
دَخَلْتُ عَلَى أَبِي فَأَخْبَرْتُهُ بِالْخَبَرِ وَوَصَفْتُ لَهُ الرَّجُلَ . فَقَامَ كَمَا هُوَ
مِنْ فَوْرِهِ وَكَانَ مُتَمَنِّيًا بِرَدَائِ لَيْسَ عَلَيْهِ قِمِصٌ . وَخَرَجَ حَاسِرَ الرَّأْسِ
حَافِيًا الْقَدَمَيْنِ لَا يَرْفُقُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَنَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يُوسِيْنِي
لَوْمًا حَتَّى تَرَامَى عَلَى الرَّجُلِ وَعَانَقَهُ وَجَعَلَ يَقَبِّلُ رَأْسَهُ وَيَدَيْهِ
وَيَقُولُ : يَا مَوْلَايَ أَعْذَرْنِي فَوَاللَّهِ مَا أَعْلَنِي هَذَا الْخَلْفُ إِلَّا السَّاعَةَ
وَجَعَلَ يَسُبُّنِي وَالرَّجُلُ يُخَيِّضُ عَلَيْهِ وَيَقُولُ : مَا عَرَفَنِي . وَأَبِي يَقُولُ :
هَبْهُ مَا عَرَفَكَ فَمَا عَذَرُهُ فِي حَسَنِ الْأَدَبِ . ثُمَّ أَذْخَلَهُ الدَّارَ وَالْكَرْمَ
مَجْلِسَهُ وَخَلَا بِهِ فَتَحَدَّثَا طَوِيلًا . ثُمَّ خَرَجَ الرَّجُلُ وَأَبِي بَيْنَ يَدَيْهِ
حَافِيًا حَتَّى بَلَغَ الْبَابَ . وَأَمَرَ بِدَائِتِهِ الَّتِي يَرْكَبُهَا فَأَمْرَجَتْ وَحَافَ
عَلَيْهِ لِيَرْكَبَهَا ثُمَّ لَا تَرْجِعُ إِلَيْهِ أَبَدًا . فَلَمَّا أَنْفَعَلَ قُلْتُ لِأَبِي : مَنْ

هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي عَظَّمْتُهُ هَذَا التَّعْظِيمَ . قَالَ لِي : أَسْكُتْ وَنَحْكُ .
هَذَا أَدِيبُ الْأَنْدَلُسِ وَإِمَامُهَا وَسَيِّدُهَا فِي عِلْمِ الْأَدَابِ . هَذَا أَبُو
مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ عَبْدِوَنَ . أَيْسَرُ تَحْفُوظَاتِهِ كِتَابُ الْأَغَانِي وَمَا
حِفْظُهُ فِي ذِكْرِ خَاطِرِهِ وَجُودَةِ قَرِيحَتِهِ (محيي الدين المراكشي)

فِي وَضْعِ الْمَعْرُوفِ فِي مَوْضِعِهِ وَالْإِصْطِفَاءِ بَعْدَ الْخَيْرَةِ
قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِيَدَبَا الْفَيْلَسُوفِ أَضْرِبْ لِي مَثَلًا فِي
شَأْنِ الَّذِي يَضَعُ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَيَرْجُو الشُّكْرَ عَلَيْهِ .
قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّ طَبَائِعَ الْخَلْقِ مُخْتَلِفَةٌ وَلَيْسَ مِمَّا خَلَقَهُ
اللَّهُ فِي الدُّنْيَا مِمَّا يَمْشِي عَلَى أَرْبَعِ قَوَائِمٍ أَوْ عَلَى رَجُلَيْنِ أَوْ يَطِيرُ
بِجَنَاحَيْنِ شَيْءٌ هُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْإِنْسَانِ . وَلَكِنْ مِنَ النَّاسِ الْبَرُّ
وَالْفَاجِرُ . وَقَدْ يَكُونُ فِي بَعْضِ الْبَهَائِمِ وَالسَّبَاعِ وَالطَّيْرِ مَا هُوَ أَوْفَى
مِنْهُ ذِمَّةً وَأَشَدُّ مُحَامَاةً عَلَى حُرْمَةٍ وَأَشْكُرُ لِلْمَعْرُوفِ وَأَقُومُ بِهِ .
وَحِينَئِذٍ يَجِبُ عَلَى ذَوِي الْعَقْلِ مِنَ الْمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ أَنْ يَضَعُوا
مَعْرُوفَهُمْ مَوَاضِعَهُ وَلَا يُضِعُوهُ عِنْدَ مَنْ لَا يَحْتَمِلُهُ وَلَا يَقُومُ بِشُكْرِهِ .
وَلَا يَضْطَعُوا أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ الْخَيْرَةِ بِطَرَائِقِهِ وَالْمَعْرِفَةِ بِوَفَائِهِ وَمَوَدَّتِهِ
وَشُكْرِهِ وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَخْتَصُّوا بِذَلِكَ قَرِيبًا لِقَرَابَتِهِ إِذَا كَانَ غَيْرَ مُخْتَمِلٍ
لِلصَّنِيعَةِ وَلَا أَنْ يَمْنَعُوا مَعْرُوفَهُمْ وَرَفَدَهُمْ لِلْبَعِيدِ إِذَا كَانَ يَفْهَمُ
بِنَفْسِهِ وَمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ . لِأَنَّهُ يَكُونُ حِينَئِذٍ عَارِفًا بِحَقِّ مَا أَصْطَنَعَ إِلَيْهِ
مُؤَدِيًا لِشُكْرِ مَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ مُحَمَّدًا بِأَنْضَعِ مَعْرُوفًا بِالْخَيْرِ صَدُوقًا

عَارِفًا مُؤَثِّرًا لِحَمِيدِ أَلْعَمَالِ وَالْقَوْلِ . وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ عُرِفَ بِالْخِصَالِ
 الْمُحْمَدَةِ وَوُثِقَ مِنْهُ بِهَا كَانَ لِلْمَعْرُوفِ مَوْضِعًا وَلِتَقْرِيبِهِ وَأَصْطِطَاعِهِ
 أَهْلًا . فَإِنَّ الطَّيِّبَ الرَّفِيقَ الْعَاقِلَ لَا يَقْدِرُ عَلَى مُدَاوَاةِ أَرِيضٍ إِلَّا
 بَعْدَ النَّظَرِ إِلَيْهِ وَالْجَسِّ لِعُرُوقِهِ وَمَعْرِفَةِ طَبِيعَتِهِ وَسَبَبِ عِلَّتِهِ . فَإِذَا
 عَرَفَ ذَلِكَ كُلَّهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ أَقْدَمَ عَلَى مُدَاوَاتِهِ . فَكَذَلِكَ الْعَاقِلُ لَا
 يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَصْطَفِيَ أَحَدًا وَلَا يَسْتَحْلِصَهُ إِلَّا بَعْدَ الْخَبَرَةِ . فَإِنَّ مَنْ أَقْدَمَ
 عَلَى مَشْهُورِ الْعَدَالَةِ مِنْ غَيْرِ اخْتِبَارٍ كَانَ مُحَاطَرًا فِي ذَلِكَ وَمُشْرِفًا
 مِنْهُ عَلَى هَلَاكِهِ وَقَسَادِهِ . وَمَعَ ذَلِكَ رَبَّمَا صَنَعَ الْإِنْسَانُ الْمَعْرُوفَ مَعَ
 الضَّعِيفِ الَّذِي لَمْ يُجَرِّبْ شُكْرَهُ وَلَمْ يَعْرِفْ حَالَهُ فِي طَبَائِعِهِ فَيَقُومُ
 بِشُكْرِ ذَلِكَ وَيُكَافِي عَلَيْهِ أَحْسَنَ الْمَكَافَاةِ . وَرَبَّمَا تَحَذَّرَ الْعَالِلُ
 مِنَ النَّاسِ وَلَمْ يَأْمَنْ عَلَى نَفْسِهِ أَحَدًا مِنْهُمْ . وَقَدْ يَأْخُذُ ابْنُ عَرِسٍ
 فَيَدْخُلُهُ فِي كُدِّهِ وَيَخْرِجُهُ مِنَ الْأُخْرَى كَالَّذِي يَحْمِلُ الطَّائِرَ عَلَى
 يَدِهِ فَإِذَا صَادَ شَيْئًا انْتَفَعَ بِهِ وَأَطْعَمَهُ مِنْهُ . وَقَدْ قِيلَ : لَا يَنْبَغِي
 لِلَّذِي الْعُتْلُ أَنْ يَحْتَقِرَ صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا مِنَ النَّاسِ وَلَا مِنْ أَلْبَاهِمِهِمْ
 وَلَكِنَّهُ جَدِيرٌ بِأَنْ يَبْلُوَهُمْ وَيَكُونَ مَا يَضَعُ إِلَيْهِمْ عَلَى قَدَرِ مَا يَرَى
 مِنْهُمْ وَقَدْ مَضَتْ فِي ذَلِكَ أَمْثَالُ ضَرْبِهَا الْحُكْمَاءُ (كَلِمَةٌ وَدَمْنَةٌ)

الْحَيَّةُ وَالْإِنْسَانُ

ذَكَرَ أَنَّ وَاحِدًا مِنَ الْأَكْيَاسِ طَلَبَ الْعِزَّةَ عَنِ النَّاسِ وَلَا زَمَ
 انْقِطَاعَهُ وَانْقَطَعَ عَنِ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ . وَاشْتَمَلَ لِإِقَامَةِ أَوْدِهِ بِالزَّرَاعَةِ .

وَأَنْزَلَ فِي ذَيْلِ جَبَلٍ . وَصَاحَبَ حَيَّةً كَانَتْ تَأْتِيهِ بِكَلَامِهِ .
وَتَأْكُلُ مِنْ فَضْلَاتِ طَعَامِهِ . فَتَرَقَّتْ بَيْنَهُمَا الْمُلَاهِدَةُ إِلَى أَنْ بَلَغَتْ
إِلَى الْمَأْقَدَةِ . بِأَنْ تَكُونَ صَادِقَةً خَالِيَةً عَنِ الْمُمَادَّةِ . وَلَا تَكُونَ كَصُحْبَةِ
أَبْنَاءِ الزَّمَانِ . تَكْرَعُ مِنَ الْعَدْرِ فِي غُدْرَانٍ . وَلَا مَشُوبَةً يَنْفَاقِ . وَلَا
مَدْخُولَةً بِرِبَاءٍ وَشَفَاقٍ . وَأَنْ تَتَعَقَّدَ بَيْنَهُمَا الْمَوَدَّةُ وَالْإِخَاءُ . فِي
حَالَتِي الشَّدَةِ وَالرَّخَاءِ . قَرًّا عَلَى هَذَا مُدَّةً وَكُلُّ حَافِظٍ عَهْدَهُ
مُرَاعٍ صُحْبَتُهُ وَوَدَّهِ . وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا عَنَّتْ لَهُ قَضِيَّةٌ عَرَضَهَا عَلَى
الْحَيَّةِ وَأَسْتَشَارَهَا وَأَخَذَ أَخْبَارَهَا . وَتَخْرُجُ هِيَ إِلَيْهِ . وَتَتَرَامَى عَلَى
رِجْلَيْهِ . قَبْلِي بَعْضِ الْأَيَّامِ . وَعَامٍ مِنَ الْأَعْوَامِ . وَقَعَ بَرْدٌ شَدِيدٌ .
وَنَلَجَ وَجَلِيدٌ . فَرَأَى الْحَيَّةَ وَقَدْ سَقَطَتْ قُوَاهَا . وَتَحَدَّتْ أَعْضَاهَا .
وَوَقَعَتْ فِي شَرِّ حَالٍ . وَبَرَدٍ وَوَبَالٍ . فَحَمَّاهُ الشَّفَقَةُ وَالصَّدَاقَةُ
وَالْعَهْدُ الَّذِي أَحْكَمَا وَثَاقَهُ عَلَى أَنْ آوَاهَا وَحَمَلَهَا فِي مَخْلَاقَةِ حِمَارِهِ
وَأَدْنَاهَا وَوَضَعَ الْغِلَاقَةَ فِي رَأْسِ الْبَهِيمِ . وَتَوَجَّهَ لِضَرُورَةِ ذَلِكَ
الْفَهْمِ . فَحَسَّتِ الْحَيَّةُ بِنَفْسِ أَبِي زِيَادٍ . وَتَحَرَّكَ عِرْقُ الدُّوَانِ
الْقَدِيمِ وَعَادَ . وَفَعَلَ خُبْنُهَا خَاصِيَّتَهُ الْمَأْلُوفَةَ . وَلَبَّيْتُهَا سِيَّتَهُ
الْمَعْرُوفَةَ . مُتَّبِعًا حَدِيثَهُ . حَرَامٌ عَلَى النَّفْسِ الْحَيِّثَةِ . أَنْ تَخْرُجَ مِنْ
الدُّنْيَا حَتَّى تَسِيَّ إِلَى مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا . فَعَضَّتِ الْحَيَّةُ شَفَةَ الْحِمَارِ
وَبَرَدَ مَكَانُهُ مِنْ حَرِّهَا . وَهَرَبَتِ الْحَيَّةُ إِلَى حُجْرِهَا . وَإِنَّمَا أَوْرَدْتُ
هَذَا الْمَثَلَ لِتَعَلُّمُوا يَا ذَوِي الْإِفْضَالِ أَنَّ مَنْ صَحِبَ الْأَشْرَادَ . وَرَغِبَ

فِي مَوَدَّةِ الْفُجَّارِ . لَا يَأْمَنُ الْعِشَارُ . وَلَا يَسْلَمُ مِنَ الْأَنْكَادِ وَالْبَوَارِ
(فاكهة الخلفاء لابن عربشاه)

كِسْرَى وَالْمُتَحَاكِمَانِ

حُكِيَ أَنَّ الْمَلِكَ كِسْرَى كَانَ أَعْدَلَ أَلْسُلُوكٍ قِيلَ : إِنَّ رَجُلًا
أَشْتَرَى دَارًا مِنْ رَجُلٍ آخَرَ فَوَجَدَ الْمُشْتَرِي فِيهَا كَنْزًا فَمَضَى إِلَى
الْبَائِعِ وَأَخْبَرَهُ بِهِ فَقَالَ لَهُ الْبَائِعُ : إِنَّمَا يَنْتُكَ دَارًا لَا أَعْرِفُ فِيهَا كَنْزًا
وَأِنْ كَانَ فِيهَا كَنْزٌ فَهُوَ لَكَ . فَقَالَ الْمُشْتَرِي : لَا بُدَّ أَنْ تَأْخُذَهُ
فَأَنَّهُ لَيْسَ دَاخِلًا فِيمَا أَشْتَرَيْتُ . فَطَالَ الْجِدَالُ بَيْنَهُمَا فَتَحَاكَمَا إِلَى
الْمَلِكِ كِسْرَى . فَلَمَّا وَقَفَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَذَكَرَا لَهُ أَمْرَ الْكَنْزِ أَطْرَقَ مَلِيًّا
ثُمَّ قَالَ لَهُمَا : هَلْ لَكُمَا أَوْلَادٌ . فَقَالَا : نَعَمْ . فَقَالَ كِسْرَى لَهُمَا :
أَتَقَعَا ذَلِكَ الْكَنْزَ فِي مَصَالِحِهِمَا . ففَعَلَا ذَلِكَ (للقلوبى)

الْمُجُوسِيَّانِ وَالنَّارِ

حُكِيَ أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ مَالِكِ بْنِ دِيَارِ مُجُوسِيَّانِ يَعْْبُدَانِ
النَّارَ . فَقَالَ الْأَصْفَرُ لِأَخِيهِ الْأَكْبَرِ : أَيُّهَا الْأَخُ إِنَّكَ عَبَدْتَ هَذِهِ
النَّارَ ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ سَنَةً وَأَنَا عَبَدْتُهَا خَمْسًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً فَتَعَالِ
نَنْظُرْ هَلْ تُحْرِقُنَا كَمَا تُحْرِقُ غَيْرَنَا مِمَّنْ لَمْ يَعْْبُدْهَا . فَإِنْ لَمْ تُحْرِقْنَا
عَبَدْنَاَهَا وَإِلَّا فَلَا . فَأَوْقَدَ نَارًا ثُمَّ قَالَ الْأَصْفَرُ لِأَخِيهِ : هَلْ تَضَعُ
يَدَكَ قَبْلِي أَمْ أَنَا قَبْلَكَ . فَقَالَ لَهُ : ضَعِ أَنْتَ فَوْضِعَ الْأَصْفَرِ يَدَهُ
فَحَرَّقَتْ إَصْبَعَهُ فَفَرَعَ يَدَهُ وَقَالَ : آهِ أَعْبُدْكَ كَذَا وَكَذَا سَنَةً وَأَنْتِ

تُؤَذِّنِي ثُمَّ قَالَ: يَا أَخِي تَعَالَ تَعْبُدُ مَنْ لَوْ أَذَنْبُنَا وَتَرَكْنَاهُ خَمْسَمِائَةِ
سَنَةً لَتَجَاوَزَ عَنَّا بِطَاعَةِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ وَأَسْتَعْفَارِ مَرَّةٍ وَاحِدَةٍ. فَأَجَابَهُ
أَخُوهُ إِلَى ذَلِكَ

(للقليوبي)

فِي حِيلَةِ قَانِدِ جَيْشِ

مِنْ عَجَائِبِ مَا حَكِي أَنْ بَعْضَ السَّلَاطِينِ غَضِبَ عَلَى صَاحِبِ
طَبْرَسْتَانَ. فَبَدَّلَ الطَّبْرِيُّ جُهْدَهُ فِي إِزَالَةِ ذَلِكَ فَمَا أَمَكْنَهُ. فَبَعَثَ
السُّلْطَانُ إِلَيْهِ جَيْشًا كَثِيفًا. فَعَلِمَ الطَّبْرِيُّ أَنَّ الْجَيْشَ لَا يَنْزِلُونَ إِلَّا
بَنِيضَةٍ مُعَيَّنَةٍ تَحْتَ جَبَلٍ. فَأَمَرَ بِقَطْعِ أَشْجَارِ تِلْكَ الْغَيْضَةِ وَتَرْكِهَا
كَمَا كَانَتْ قَانِعَةً. وَسَتَرَ مَوْضِعَ الْقَطْعِ بِالثَّرَابِ. فَلَمَّا وَصَلَ الْجَيْشُ
وَنَزَلُوا بِهَا كَنَّ الطَّبْرِيُّ هُوَ وَأَصْحَابُهُ خَافَ ذَلِكَ الْجَبَلِ. وَشَدَّ
الْجَيْشُ دَوَابَّهُمْ فِي أَشْجَارِ تِلْكَ الْغَيْضَةِ وَكَانَتْ كُلُّهَا مَقْطُوعَةً. فَخَرَجَ
عَلَيْهِمُ الطَّبْرِيُّ بِأَصْحَابِهِ وَصَاحَ بِهِمْ: فَفَرَّتِ الدَّوَابُّ وَتَسَانَطَتْ
أَلَا تُشْجَارُ لِأَنَّ الدَّوَابَّ جَرَّتْهَا. فَوَلَّى الْجُنْدُ هَارِبِينَ فَرَعِينَ لَا يُلَوِي
أَحَدٌ إِلَى أَحَدٍ وَتَبِعَهُمُ الطَّبْرِيُّ بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ فَنَجَا أَقْلُهُمْ وَتَلَفَ
أَكْثَرُهُمْ. فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى السُّلْطَانِ سَأَلَهُمْ عَنْ شَأْنِهِمْ فَقَالُوا: نَزَلْنَا
بِالْمَوْضِعِ الْفُلَانِيِّ وَأَتَانَا فِي جَنَحِ اللَّيْلِ جُنْدٌ مِنَ الشَّيَاطِينِ تَضَرَّبْنَا
بِالْأَشْجَارِ الطَّوِيلَةِ. فَلَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ مِنَ الْمُتَوَمِّينَ بَعْدَ ذَلِكَ الْمَشْيِ
إِلَى طَبْرَسْتَانَ

(للقزويني)

فِي الصَّبْرِ وَالْمُرُوءَةِ

يُرْوَى عَنْ بَعْضِ الْكُرَمَاءِ أَنَّهُ اسْتَدْعَى جَمَاعَةً إِلَى بُسْتَانٍ لَهُ .
وَعَمِلَ لَهُمْ سَمَاعًا . وَكَانَ لَهُ وَلَدٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا وَكَمَلِهِمْ
ظَرْفًا وَأَتَمَّهُمْ أَدَبًا وَلُطْفًا . فَكَانَ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ يَخْدُمُ الْجَمَاعَةَ
وَيُؤَانِسُهُمْ . فَأَتَّفَقَ أَنَّهُ طَاعَ إِلَى أَعْلَى مَكَانٍ فِي الدَّارِ فَوَقَعَ مَيْتًا .
فَارَادَتْ أُمُّهُ وَجَوَارِيهِ أَنْ يُظْهِرْنَ الْبُكَاءَ عَلَيْهِ . فَطَلَعَ وَالِدُهُ إِلَيْهِنَّ .
وَحَلَفَ أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ أَحَدٌ مِنْهُنَّ حَتَّى يَنْصَرِفَ الْقَوْمُ . فَإِنَّ ذَلِكَ
يُنْغِصُ عَلَيْهِمْ عَرْسَهُمْ وَلَذَّتْهُ . فَأَمْتَلُوا مَا أَشَارَ بِهِ . وَعَادَ إِلَى الْآتُومِ .
فَحَضَرَ السَّمَاعَ وَأَظْهَرَ الْمُسْرَةَ وَالْأَنْسَ بِهِمْ . فَجَعَلَ الْجَمَاعَةُ يَنْفَعِدُونَ
الشَّابَّ وَيَسْأَلُونَ عَنْهُ . فَيَقُولُ وَالِدُهُ : أَعْلَهُ قَدْ نَامَ . فَأَذْرَكُهُمُ اللَّيْلُ .
وَبَاتُوا فِي السَّمَاعِ لَا يَشْعُرُونَ بِمَا صَارَ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ . فَلَمَّا أَصْبَحُوا
قَدَّمَ لَهُمُ الْغَدَاءَ فَأَكَلُوا وَأَرَادُوا إِلَّا نَصِرَافَ . فَقَالَ : لَعَنَكُمْ تَحْضُرُونَ
جَنَازَةَ وَلَدِي فَإِنَّهُ قَدْ مَاتَ الْبَارِحَةَ . وَقَصَّ عَلَيْهِمُ الْقِصَّةَ . فَلَمْ
يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا اسْتَعْظَمَ مُرُوءَتَهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِجَوِيلِ صَبْرِهِ وَعِظَمِ
كَرَمِهِ (تَرْيِينِ الْإِسْوَاقِ)

مَوْتُ الْمُتَنَبِّيِّ

قِيلَ إِنَّ أَبَا الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيَّ كَانَ رَاجِعًا مِنْ بِلَادِ قَارِسَ إِلَى
بَغْدَادَ بِجَازِرَةٍ أَجَارَهُ بِهَا عَضُدُ الدَّوْلَةِ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفَرَسَانِ .

فَخَرَجَ عَلَيْهِ قُطَاعُ الطَّرِيقِ فَهَرَبَ الْمُتَنَبِّي مِنْهُمْ . فَقَالَ لَهُ غَلَامُهُ :
أَتَهْرَبُ وَأَنْتَ الْقَائِلُ فِي شِعْرِكَ :
الْحَيْلُ وَالْأَيْلُ وَالْيَدَا تَعْرِفُنِي

وَالضَّرْبُ وَالْحَرْبُ وَالْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ
فَكَرَّ رَاجِعًا فَقُتِلَ فِي سَنَةِ ٣٥٤ فَكَانَ ذَلِكَ أَلَيْتُ سَبَبًا لِقَتْلِهِ
(للقليوبي)

الْحَرِيرِيُّ وَالْغَلَامُ

يُحْكِي عَنِ الْحَرِيرِيِّ أَنَّهُ كَانَ بَشَعَ الْمُنْظَرِ رَثَّ الْهَيْئَةِ . فَجَلَسَ
غَلَامُهُ يَوْمًا فِي خَلْوَةٍ وَأَرَادَ أَنْ يَتَعَلَّمَ النَّظْمَ فَأَوَّلُ مَا نَظَّمَ نِصْفُ
بَيْتٍ وَهُوَ : وَجْهُ الْحَرِيرِيِّ وَجْهُ قِرْدٍ . فَسَمِعَهُ الْحَرِيرِيُّ فَقَالَ :
وَالضَّرُورَةُ أَحْوَجُنَا إِلَيْهِ . فَجَلَّ الْغَلَامُ مِنْ سَيِّدِهِ وَسَكَتَ . ثُمَّ
اجْتَمَعَ الْحَرِيرِيُّ مَعَ الْحَلِيفَةِ وَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ . فَقَالَ لَهُ لِأَيِّ شَيْءٍ لَمْ
تَصْبِرْ حَتَّى يُكَمِّلَهُ . فَقَالَ : رَأَيْتُهُ أَفْتَتَحُنِي بِقِرْدٍ فَخَشِيتُ أَنْ يُكَمِّلَنِي
بِكَبٍ فَكَمَلْتُهُ لَهُ
(لalnواحي)

فهرسة

الجزء الاول

من امثال لقمان الحكيم

وجه

٣

٣

٣

٤

٥

٥

٥

٦

٦

٦

٧

٧

٨

٨

٨

٩

٩

١٠

١٠

١١

١١

١١

١١

١٣

١٣

اسد وثوران

غزال

اسد وثعلب

اسد وانسان

غزال واسد

غزال وثعلب

ارنب ولبوة

امراة ودجاجة

بعوضة وثور

بستاني

انسان وفرس

انسان وخترير

ساحفة وارنب

ذيب

الدوسج

سبي

سبي وعقرب

حمامة

حداد وكلب

انطن والرجلان

الشمس والريج

ديكان

ذياب

الوز والمطاف

بتة وضوء كوكب

نخب

من الكتاب المعروف بالف ليلة وليلة

صفحة	
١٣	حكاية الملك جلياد وابنه
١٦	حكاية السنور والفار
٢١	حكاية الناسك وما جرى له
٢٥	حكاية السمك وما جرى لهم
٢٨	حكاية الغراب والحية
٢٩	حكاية حمار الوحش والتملب
٣٢	حكاية ابن الملك السامح
٣٦	حكاية الغراب
٣٨	حكاية الحايوي واولاده وزوجته واهل بيته
٤١	حكاية المنكبوت والريح
٥٥	حكاية الطيور والوحوش مع ابن ادم
٦٨	حكاية الطيور
٧٢	الدُّرَّاج والسلاحف
٧٥	الاعراب والذئب
٧٧	السندباد الحمالي
٩١	حكاية عابد
٩٢	حكاية الراعي العابد

تسليم
١٩٥٨

حكاية ملاك الموت

٩٤	الحكاية الاولى
٩٦	الحكاية الثانية
٩٨	الحكاية الثالثة
٩٩	ذكر الموت الدائم

نخب

مما كتبه بعض العلماء في الجود والكرم والمكافاة وغير ذلك

صفحة	
١٠١	في طلبي اعميين
١٠٢	في قط يقات قطاً
١٠٣	في جود ملك
١٠٥	في جود ممن بن زائدة
١٠٦	في المكافاة
١٠٩	الصانع وصانع الخليفة
١١٢	احسان كريم الى عدو
١١٤	الاصمعي ورجل سني
١١٦	اكرام ثلاثة اصدقاء - مفصلين بعضهم بعضاً
١١٨	في تقديم الاكرام لاهل
١٢٠	في وضع المعروف في موضعه والاصطفاء بعد الخبرة
١٢١	الحية والانسان
١٢٣	كسرى والتحاكمان
١٢٣	المجوسيان والنار
١٢٤	في حيلة قائد جيش
١٢٥	في الصبر والمرورة
١٢٥	موت المتني
١٢٦	الحريري والغلام

